الأعمال الكاملة

لبدر العبريّ

الجزء الثّلاثون

شوال [1442هـ] 2021م – محرم [1443هـ] 2021م

المقالات واللّقاءات والحوارات والأنشطة والأجوبة

مقدّمة الأجزاء

الإنسان بطبعه متطور في فكره ونظرته إلى الحياة، فما تكتبه قبل سنوات قد لا تقبله اليوم، وما تكتبه اليوم قد ترفضه أو تتراجع عنه أو تطوّره بعد عشر أخرى، وهذا طبع الإنسان.

وما كان في هذه الأعمال حصيلة تأمل وفكر وأحداث أبقيتها كما هي، ووضعتها حسب السنوات دون تعقيب أو حذف، لذا قد يجد القارئ الكريم بعض التّناقض، ولكنه ليس تناقضا بل تطورا، كما أنه سيجد بعض التّكرار، أثبت ذلك لأنّ في الجديد زيادة لا يوجد في السّابق.

وهذا لا يعني أنّ هذه هي الأعمال الكاملة، فبعضها فقدتها مع الزّمن، وما وجدته أثبته ودوّنته لعل القارئ الكريم يجد لي من العذر والتّقويم، وبالله التّوفيق.

مقدّمة الجزء الثّلاثين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فيسرني أن أقدّم لكم الجزء الثّلاثين من أعمالي الكاملة للفترة من شوال [1442هـ] 2021م – محرم [1443هـ] 2021م، والّذي يتضمن المقالات واللّقاءات والحوارات والأنشطة والأجوبة، وفي هذه الفترة رجع المتحور الهندي من كورونا بقوّة على نهاية يونيو، ورجع بسببه الغلق، وحدث أول إغلاق شامل لمدة أربعة أيام، أيام عيد الأضحى الكبير، وبه حدثت وفيات كثيرة، وضعف الجانب الصّحي، كما نشطت مساحات تويتر الصّوتيّة، وأحدثت ربكة فكريّة، حدث بسببها اعتقالات واستدعاءات، وشاركت في هذه الفترة في الملتقى الدّولي بمناسبة انتصار المقاومة الفلسطينيّة على الكيان الصّهيوني، تنظيم ممثليّة الولي الفقيه لبعثة الحج والزّيارة، الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، بورقة بعنوان: القضيّة الفلسطينيّة وسؤال ماذا بعد؟، الخميس 13 ذو القعدة 1442هـ/ 24 يونيو 2021م، كما شاركت في مؤتمر العرب الأمريكيين لهذا العام 2021م افتراضيّا عن طريق ZOOM، من 17 – 18 يوليو، بعنوان: التّمكين المجتمعي: استلهام من الماضى، ورؤى من الحاضر.

أيضا أنهيت في هذه الفترة تدوين الرّحلة التّكساسيّة أي إلى تكساس بالولايات المتحدة الأمريكيّة، وأنهيت كتاب التّعارف: معرفة بالذّات وتعرف على الآخر، كما نشر بحثي: مستقبل العالمين العربي والإسلامي في ضوء المتغيرات المعاصرة في مجلّة الاجتهاد والتّجديد – لبنان، عدد: 56، ونشر مقالي: الذّكريات الأولى مع الكتاب ومع مكتبة النّدوة بهلا في كتاب زهرة على السّور العتيق، من إعداد سعيد بن سلطان الهاشمي، ونشر دار نثر 2021م.

كما آلمنا سماع وفاة المفكر والبرفيسور العراقي الرّوسي ميثم الجنابي في يوم الأحد 18 يونيو 2021م، متأثرا بمرض كورونا، وقلت في تأبينه: "رحم الله البرفسور ميثم الجنابي، فجعت صباح اليوم بنبأ وفاة العلّامة المفكر النّجفي ولادة الرّوسي موطنا ميثم الجنابي، لم أكن أتصور أنّ الرّحيل سريع جدّا، فتعرفي عليه قريب عن طريق الأستاذ هاشم أبو محمّد في يناير الماضي، ولم يتوقف التّواصل بيننا أسبوعيّا، نتبادل المقالات والمعارف، فوجدته مؤرخا ناقدا، إنسانيّ النّزعة، متواضعا ومحبّا عاشقا لعمان، أرسل لي في الخامس من يوليو الماضي ملصقا لرجل رافعا يده، وحاملا

إشارة الحب، وكأنّه يستشرف الوداع، ليعلمنا أنّ الحياة محبّة، فلا نفارقها إلا بمحبّة، شاركنا في أواخر يناير الماضي على قناة أنس حول حقائق التّأريخ وتأريخ الحقيقة، كما شاركنا في رمضان الماضي في النّدوة الرّمضانيّة الثّانية حول النّص الدّيني والقراءة التّأريخيّة، والأصل يكون معنا شهر يونيو الماضي حول مراجعات حول الخوارج، فله رؤية نقديّة للكتابات التّراثيّة حول هذا، فأجلنا الجلسة إلى ما بعد أغسطس، ولكن شاء القدر أن يذهب جسده لتبقى روحه نستلهم منها هذه الهمّة والنّشاط، فرحم الله البرفسور ميثم الجنابي، وجزاه خيرا عمّا قدّم، وأحسن الله العزاء لذويه وأقاربه وأمته والإنسانيّة، وغفر الله له ولنا جميعا، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله على كلّ حال".

كما فجعنا صباح الثّلاثاء 27 يوليو 2021م بوفاة المفكر الكبير صادق جواد سليمان اللّواتي العماني، بسبب مرض سابق عانى منه في الرّئتين Pneumonia، وآلمنا كثيرا ذهابه، ولكنّه قدر الله، ولا رادّ لأمره، وقلت في تأبينه: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فجعنا صباح اليوم بوفاة المربي والمفكر الكبير صادق جواد، فقد كان لنا أبا ومربيّا ومعلما وموجها، لم أدرك أن سفره إلى الهند هو لقاؤنا الأخير وقد أرسل لي في رسالته قبل شهر: "معظم الوقت أقضيه في خلوة مع النفس، بين تأمل وقراءة وكتابة ومتابعة للأحداث. أحيانا يخطر أنني قد حظيت بعناية كونية تتيح لي التمهل في وتيرة الحياة، وتفسح لي فرصة تعريض النظر ما أمكن في طبيعة هذا الوجود، عبر هذه المرحلة الأخيرة قبل الوفاة"، فرحمه ورضي عنه، وعزاؤنا لمحبيه وأبنائه وأقربائه وللوطن العربي والإسلامي والإنساني".

المقالات

الهوّيّة من حيث الماهيّة والأنسنة[1]

مصطلح الماهيّة من المصطلحات المنطقيّة والفلسفيّة القديمة، فهو عند المناطقة القدامى بمعنى الحيوان النّاطق، أي تشكل هوّيّة جديدة في التّطور الحيواني من الجنس الأكبر (الحيوان) إلى هوّيّة الحيوان النّاطق (الإنسان العاقل).

وعند الطّبيعيين جواب لسؤال ما هو؟ فماهيّة الإنسان من خلال تطوّره البيولوجي، ووصوله إلى هذه الصّورة في الوجود، ومدى علاقة هذه الماهيّة بالطّبيعة والكون.

ولا زالت جدليّة الماهيّة الإنسانيّة محل جدل وبحث لما تشكله من عالم معقد في حدّ ذاته في ضوء عالم مصغّر كما يقول عليّ بن أبي طالب [ت 40هـ]:

وتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

إلا أنّ الماهيّة كمكوّن فكري وفلسفي عاد الاشتغال بها اليوم لارتباطها بالأنسنة من جهة، والهوّيّة من جهة ثانية، فأصبحت الماهيّة كما يرى صادق جواد [معاصر] هي "تُعرّف الإنسان من حيث كينونته الوجوديّة، أي تلك الّتي نشأ من رحمها أصلا، وبقي عليها فطرة، مدى ما عاش، أيّا كانت معرفات هوّيّته".

فالماهيّة هنا ارتبطت بالفطرة، وفي القرآن {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الرّوم/ 30]، والفطرة هي الماهيّة الأولى الّتي يولد عليها الإنسان أيّا كان منبت ولادته، فهو يولد على الفطرة بهوّيّته البشريّة من حيث النّوع في الجنس الحيواني، إلا

[1] نشرت المقالة في جريدة عُمان.

أنّه لا يتشكل في هوّيّات كسبيّة وانتمائيّة، فهذه تتشكل لاحقا من خلال البيئة أولا، وما يتدرج في كسبه من معارف وقناعات طيلة حياته ثانيا.

وفي توراة العبرانيين أي العهد القديم عند المسيحيين: "فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم" [تكوين: 1/ 27]، والصّورة هنا فطرة الخلق الأولى كان ذكرا أو أنثى بعيدا عن الهوّيّات الانتمائيّة اللّاحقة، ولهذا في توراة السّامريين لفظة بقدرته بدل صورته، وعند العرفانيين والغنوصيين هذا من مظاهر التّجلي في الإنسان الكامل، أو ما يسميه المناطقة بالإنسان العاقل، والتّجلي يظهر في الإنسان حين الولادة في فطرة أو ماهيّة صورةِ هذا الوجود على ما هو، أي أنّه هو هو من حيث الخروج إلى عالم الحياة.

واليوم تظهر جدليّة الماهيّة من جديد وفق منظومة "حقوق الإنسان" المرتبطة بالأنسنة، وكما يرى النّعيمي: محمّد بن سالم أنّ "الأنسنة اسم أطلقه شيلر [ت 1805م] على المذهب الّذي استخدمه في مؤلفاته، ويرتبط بحكمة بورتاغوراس [ت 411ق.م]: الإنسان هو المقياس لكلّ الأشياء" ولكن يبقى البحث هل الأنسنة هنا بمعنى الماهيّة أو تشمل ما بعد الماهيّة ليدخل فيها الهوّيّات الجامعة لا المفرقة.

فالأنسنة يختلف تحديدها من حيث علاقتها بالماهيّة وبالهوّيّة من جهة، ومن حيث كونها مرجعيّة مقابل اللّاهوت من جهة ثانية، والأمر الثّاني ليس محلّ بحثنا الآن، الّذي يهمنا الأول أي من حيث علاقتها بالماهيّة وبالهوّيّة، فإذا قلنا الأنسنة هي جنس الإنسان بحسناته وسلبياته، سواء بدايته حيوانيّة متطوّرة إلى البشريّة فالإنسان العاقل وما بعده وصولا إلى الإنسان الكامل، أم آدميّة الإنسان خلقا من الابتداء، والتّطوّر في فكره وكشفه للكون لا في بيولوجية، فهذان الفريقان لا يختلفان في أنّ الأنسنة هنا تشمل الهوّيّة والماهيّة.

أمّا إذا قلنا إنّ الأنسنة باعتبار الفطرة الّتي ولد عليها الإنسان بعيدا عن أيّ انتماءات كسبيّة لاحقا فتكون قرينة الماهيّة لا الهوّيّة.

والفارق بين هذا دقيق جدّا، وفي الوقت نفسه يشكل بعدا مهمّا في ظلّ ثقافة حقوق الإنسان الّتي يتحاكم إليها العالم اليوم في دساتيره وعلاقته بالآخر على المستوى الدّولي من جهة، وعلى مستوى الدّولة الواحدة في ظلّ دولة المواطنة من جهة ثانية، وكذا على مستوى الفردانيّة، وعلى مستوى الحقوق الجمعيّة والتّعاقديّة في المجتمع الواحد.

كما أنّ العالم يتجه اليوم إلى تحجيم وتضييق دائرة الاستبداد، والّذي يرتكز كثيرا على الهوّيّات، فكلّما اتّسعت الهّوّيات الانتمائيّة، وفي الوقت نفسه كان لها الحاكميّة والهيمنة والأسبقيّة تراتبيّا من حيث الحكم الجمعي مقابل تهميش الماهيّة وتضييقها؛ فهنا تتسع دائرة الاستبداد، خصوصا إذا ارتبطت الهوّيّات بالسّلطة، ومثاله: مصلحة الجماعة مقدّمة على مصلحة الفرد، فهذا يستقيم إذا كانت مصلحة الجماعة وفق قانون بني من الأساس على اعتبار الماهيّة، ولكن إذا بني على اعتبار هوّيّة السّلطة، واستغلال الهوّيّات الانتمائيّة لحفظ الجماعة ظاهرا، ولكنّها لا تتعدى شعارات لحفظ السّلطة، هنا تتّسع دائرة الاستبداد.

لهذا يعنى الشّأن العالمي اليوم أيضا بتحجيم السّلطات وفصلها تحت مظلّة القانون، فهناك سلطة الدّولة المدنيّة فقط، وتحتها سلطات ثلاث منفصلة عن بعضها: تشريعيّة ورقابيّة وقضائيّة، والجامع الّذي يدور وفق مدار المواطنة هو القانون تحت مسمّى الدّستور أو النّظام الأساسي وما يتفرع عنهما، فهذا القانون إمّا أن ينطلق من الهوّيّات الضّيقة، فتضيق دائرة العدالة والحريات، وإمّا أن ينطلق من الماهيّة الجامعة فتتسع دائرة العدالة والحريات.

أيضا يعنى الشّأن العام في العالم اليوم بتحقيق بعد التّعايش، وأن يكون المواطنون والمقيمون في دولة ما سواسية أمام القانون، وما يترتب على ذلك من واجبات وحقوق، وهذا لا يمكن تحققه إلا من خلال حسن التّعامل مع الهوّيّات عن طريق مراعاة الماهيّة.

فتحقيق دائرة الأنسنة، وإنزال الكرامة الإنسانيّة لا يتأتى إلا باعتبار أنّ الأنسنة تتجسد ابتداء من الماهيّة، ثمّ تتسع إلى الهوّيّات من خلال حضور النّزعة الإنسانيّة، بمعنى أنّ خروج الإنسان إلى الحياة متجسّدا من نفس وروح، هذا النّفس الواحدة وإن اختلفت ألوانها وأشكالها، فهي لا تفرّق عن أيّ نفس أخرى، والرّوح الّتي بثت فيها الحياة لا يجوز أن تنزع أو ترفع بأيّ حال إلا بحقّها القانوني، لهذا يولد الإنسان وقد تجسّدت فيه الحرّية والعدالة والمساواة وما ينتج عنها من قيم كبرى.

هذا الإنسان من خلال الكسب التّقليدي والبحثي والمعرفي سيتشكل وفق هوّيّات متعددة، كهوّية اللّغة والمعتقد والدّين والمذهب والعادات والتّقاليد والعرف الاجتماعي ونحوها، فهذه هوّيّات كسبيّة لا تنزع، وحق الإنسان فيها، ولكن في الوقت نفسه لا تكون حاكمة على الماهيّة، فإذا كانت الحاكميّة للهوّيّة سنخرج من الأنسنة إلى الإنسانويّة، ومن تحقيق الكرامة وفق النّزعة الإنسانيّة إلى عالم الاستبداد وهيمنة الهوّيّة الواحدة.

ولكي لا أبتعد كثيرا عن الواقع من خلال الدّولة القطريّة الّتي يتشكل بها عالم الإنسان اليوم، فلكلّ دولة قطريّة أغلبيّة وأقليّة من حيث الدّين والمذهب واللّغة والجنس والعادات والتّقاليد، فتغليب هوّيّة على هوّية أخرى يخرجنا من دولة المواطنة إلى دولة القبيلة والجنس والمذهب، ومن تحقق السّلطة الواحدة الحافظة للماهيّة بين الكل إلى تشكل شبه سلطات وفق هوّيّات متنازعة، وهذا ما نجده في العديد من الدّول القطريّة الّتي يكثر فيها النّزاعات العرقيّة والدّينيّة والمذهبيّة والأثنيّة عموما، بمعنى أنّ

دولة المواطنة من حيث الشّأن العام لا يوجد فيها أغلبيّة وأقليّة، ولكن يوجد فيها مواطنون وفق ماهيّة واحدة، ولكن من حيث الهوّيّات فطبيعي وجود أغلبيّة وأقليّة، ولكنها تبقي في جانبها التّعددي الطّبيعي.

والانطلاق من الماهيّة والالتفات إليها كمقياس إنسانيّ جامع يولّد العكس، أي يؤدي إلى الحفاظ على الهوّيّات واستثمارها إيجابيّا في المجتمع، فالتّعدديّة إمّا أن تكون تكوينيّة وهذه مرتبطة بالماهيّة، وإمّا أن تكون كسبيّة فهذه مرتبطة بالهوّيّة، فكون اختلاف النّاس في اللّون والشّكل لا يفرق في اختلافهم لغة ودينا ومذهبا وعرفا، فالماهيّة حافظة للجميع، وبالتّالي اتّساع دائرة التّعايش والتّعارف، وفي الوقت نفسه نقترب من جانب إحياء الإنسان وإنمائه والرّقيّ به، تحت مظلّة الدّولة القطريّة كهوّيّة في حدّ ذاتها متضمّنة لهوّيات متعددة في داخلها، أو تحت مظلّة هوّيّات عالم الإنسان في العالم أجمع، ليكون الرّابط في المجتمع العالمي والقطري البناء والإحياء، وليس التّنافر والصّراع.

الاتّجاهات الخمس في مفهوم الدّولة العلمانيّة في العالم الإسلامي[1]

لستُ هنا في صدد تفكيك الدّولة العلمانيّة من التّعاريف والمصاديق المطروحة، ولست في بيان جدليّة الأصلحيّة بالنّسبة للعالم الإسلامي، كذلك لست في مجال بيان علاقة الدّولة العلمانيّة بالدّولة المدنيّة، خصوصا من خلال قيمتي المساواة والعدالة، ولكن رجع الجدل اليوم في وسائل التّواصل، وخصوصا في مساحات تويتر من جهة، وفي قضيّة أفغانستان من جهة أخرى، ورأيتُ العديد – فيما يبدو لي – إمّا أن يكون ناقما على العلمانيّة، يراها مصدر كلّ شر، وإمّا أن يراها هي الخلاص الموعود، وجنّة أفلاطون في الأرض، بعيدا عن النّظرة الموضوعيّة من الجانبين.

والعَلمانيّة بفتح العين من العالم، أي الكلّ على مبدأ المساواة من حيث الفردانيّة من جهة، ومن حيث تعدد الهوّيّات: دينيّة، عرقيّة، قبيليّة، فيكون الشّأن العام حافظا للجميع من جهة، ومحقّقا لمبدأ المساواة من جهة أخرى، فكما يحمي الحقوق الفرديّة؛ لا يلغي الهوّيّات، ولكن الجميع سواء من حيث الشّأن العام.

والعِلمانيّة بكسر العين من العلم، ومنها العلمويّة، والعلمويّة فصل العلم عن الدّين، والعِلمانيّة فصل الدّولة عن الدّين، من هنا حدث الجدل في التّيارات اللّاهوتيّة، ابتداء في اليهوديّة والمسيحيّة، وانتهاء في الإسلام؛ لتأخر حركة التّنوير في العالم الإسلامي، إلا أنّ الفصل لا يعني الإلغاء أو التّهميش، ولكن يكون الدّين والمذهب مرتبطا بالهوّيّة، والشّأن العام مرتبطا بالفردانيّة والقيم الكبرى المطلقة كالمساواة والعدل، والمضافة كالعلم والحريّة.

ولقد ناقشت في بحث لي بعنوان "مستقبل العالمين العربي والإسلامي في ضوء المتغيرات المعاصرة" جدليّة فهم العلمانيّة، وأراها لا تخرج عن خمس مسارات أو اتّجاهات.

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

الاتّجاه الأول: العلمانيّة المشوهة، وهو تشويه من الدّاخل ومن الخارج، والتّشويه من الدّاخل بسبب ادّعاء بعض الدّول أنّها دول علمانيّة، ولكنّها تمارس الاستبداد من جهة، والنّفعيّة الفئويّة من جهة ثانيّة، وهذا حدث في بعض الدّول العربيّة المنتسبة إلى العلمانيّة، لكن سجونها مليئة بالمختلفين في الرّأي الآخر، وهناك قمع للأقليات الدّينيّة والعرقيّة، مع قمع لكل من يخالف اتّجاه الدّولة سياسيّا وعرقيّا ودينيّا ومذهبيّا، كما أنّ الفريق المقرب من السّلطة يكون صاحب الامتيازات النّفعيّة عن غيره، فتكثر الرّشاوى والفساد المالي والإداري، لهذا يرى من في الخارج أنّ نموذج العلمانيّة نموذج فاشل، لا يختلف عن غيره من الأنظمة، ويجد من في الخارج مثل هذه النّماذج دليلا لفشل العلمانيّة، وأنّها بلاء على المجتمعات، فهو إمّا أن يقدّم نظريّة جديدة تتجاوز العلمانيّة، أو تؤطرها بنقد منهجي، ولكن غالبا ما يرجع إلى الماضي، ويرى فيه الخلاص، ويحاول استنساخ تجارب ماضويّة، أو يقدّم مشروعا غير مؤطر، وأقرب إلى العموميات، ممّا يؤثر في العقل الجمعي.

الاتّجاه الثّاني: العلمانيّة المستبدّة، وهذه من الاتّجاه السّابق، ولكن يغلب عليها الاستبداد، كما حدث في الدّولة البلشفيّة في روسيا، ويزيدها سوءا لمّا تبرر ثقافيّا ودينيّا، أو تستغل بعض النّظريّات الفلسفيّة والدّينيّة استغلالا استبداديّا، كنظريّة الإنسان الأعلى عند نيتشة [ت 1900م]، ونظريّة العادل المستبد عند محمّد عبده [ت 1905م]، وهذه أثرها كأثر الاتّجاه الأول من الدّاخل والخارج.

الاتّجاه الثّالث: العلمانيّة الشّاملة، وهذه أقرب إلى العِلمانيّة من العَلمانيّة، بمعنى عِلمنة الدّولة كليّا، وظهر هذا الاتّجاه في الغرب بعد الثّورة الصّناعيّة، إلا أنّ فصل العلم عن الدّين هذا جانب منهجي، فالدّين له مساره الظّرفي والأخلاقي، والعلم له مساره البحثي والكشفي، وفصلهما حتّى لا تعوق الهوّيّات حركة الكشف والبحث، وفي الوقت نفسه لها قيمتها الأخلاقيّة والقيميّة، وحرّيتها اللّاهوتيّة والطّقسيّة، بيد أنّ العلمويّة لا تتوافق مع صيرورة الدّولة بالمعنى الشّمولي؛ لأنّ اختصاص الدّولة كما

أسلفنا حفظ الكل، فكما تحفظ الهوّيّات هي حافظة أيضا لمسار العلم أي أن يكون للعلم حرّيّته في البحث والكشف، دون أن تكون الهوّيّات الدّينيّة عائقا تحت مظلّة الإلحاد والزّندقة.

الاتّجاه الرّابع: العلمانيّة الجزئيّة، وهذه عند عبد الوهاب المسيريّ [ت 2008م]، ورؤيته تقوم على "فصل الدّين عن الدّولة، لكنّها تلزم الصّمت بشأن المجالات الأخرى من الحياة، أي لا تنكر بالضّرورة وجود مطلقات وكلّيات أخلاقيّة وإنسانيّة، وربما دينيّة، أو وجود ماورائيّات وميتافيزيقا .... فهي لا تسقط الواحديّة الطّبيعيّة أو الماديّة على الإنسان؛ بل تترك للإنسان حيّزه الإنسانيّ يتحرك فيه إن شاء" [المسيري، بحث مصطلح العلمانيّة، منشور في كتاب العلمانيّة تحت المجهر، ص: 121]، وهذا الاتّجاه يتوافق مع العديد من اللّاهوتيين من كافّة الأديان، ويرونها حلّا منطقيّا للصّراعات العرقيّة والدّينيّة والمذهبيّة، بل بعضهم حاول تبريرها من النّصوص المقدّسة، واعتبر العلمانيّة بهذا المفهوم كامنة في جميع النّصوص المقدّسة، بيد أنّ المسيري لم يقدّم رؤية واضحة فيما يتعلق بمرجعيّة الشّأن العام – فيما يبدو لي -، هل يكون المشترك الهوّيّاتي هنا مع الشّأن العام لا يتجاوز القيم والأخلاقيات، مع ترك ما دون ذلك للاجتهاد الإنساني، وما قد يتعارض يبقى خصوصيات من حيث الهوّيّة لا تتدخل فيه الدّولة، وإنّما تعنى بحماية الشّأن العام الفرداني من جهة، وحرّية الهوّيّات من جهة ثانية، فلا تتدخل الهوّيّة فيما يتعلّق بالشّأن العام في الدّولة، ولا تتدخل الدّولة في خصوصيّات الهوّيّات، وعموما جدليّة التّقاطع ما بين الدّولة والهوّيّات الدّينيّة لا زال محل جدل، حتّى عند من يقول بالعلمانيّة الجزئيّة، ولعلّها حتّى الآن أفضل رؤيّة لاهوتيّة قدّمت في هذا، وأعطت نوعا من التّوافقيّة، ولكن تحتاج إلى مراجعات أكبر؛ لأنّ الاجتهاد الإنساني أصبح اليوم واسعا، وجدليّة الهوّيّة الدينيّة ومدارها حول الشّأن العام لا زال عالقا من نظريّة الحاكميّة، وحتّى نظريّة الأديان

باعتبارها ثقافة ظرفيّة أكثر منها لزومات مطلقة فيما له علاقة بالشّأن العام، لا بالخصوصيات الهوّياتيّة.

الاتّجاه الخامس: العلمانيّة الثّالثة عند عصام القيسي [معاصر]، وهو حاول أن يقدّم إجابة عن العموميّة الّتي قدّمتها رؤية عبد الوهاب المسيريّ، إلا أنّ القيسي لم يخرج عن الخط اللّاهوتي، واعتبر العلمانيّة الثّالثة حلّا للدّول ذات غالبيّة إسلاميّة، خصوصا متعددة المذاهب، فيرى أن نتجاوز فيما يتعلّق بالشّأن العام من الحديث والرّواية إلى القرآن، فالرّواية يلازمها الظّنيّة والظّرفيّة، فهي ظنيّة الثّبوت، والجامع بين النّاس فيما يتعلق بالشّأن العام قطعيّ الثّبوت، ثمّ ننظر في هذا قطعيّ الثّبوت – أي القران – فيرى أنّ "معظم الخطاب القرآني ينصرف إلى القصص والأخبار (العقائد)، والنّسبة الباقية منه موزعة على توجيهات أخلاقيّة لضمير الفرد والجماعة، وأحكام قانونيّة للفرد وللجماعة، فأمّا النّسبة الكبيرة من خطاب القصص والأخبار، فلا علاقة له - مباشرة -بسياسات الدّولة وقانونها الدّستوريّ، ويسري هذا الحكم - أيضا - على الخطاب الأخلاقيّ للقرآن، وأمّا القسم الثّالث من الخطاب القرآنيّ (الأحكام القانونيّة)، فالأمر فيه على تفصيل: ما كان منه قطعي الدّلالة يمضي بوصفه قانونا شرعيّا ملزما بحكم الدّستور الّذي سلّم بالمرجعيّة العليا للدّين الإسلاميّ، وما كان منه قابلا للتّأويل على أكثر من دلالة، يبقى نصّا ملزما على وجه الإجمال فقط، ويختار المشرع المدنيّ بعد ذلك التّأويل الّذي يراه مناسبا، على أن يعد التّأويل المختار منتجا وضعيّا لا قداسة له" [عصام القيسي، مقال العلمانيّة الثّالثة: خارطة طريق إسلاميّة، نشر مجلّة ذوات الالكترونيّة ومؤسسة مؤمنون بلا حدود].

فالعلمانيّة الثّالثة محاولة للاقتراب من العلمانيّة الجزئيّة في صورة لاهوتيّة مخصوصة بالعالم الإسلامي، بيد أنّه في ظاهرها لم تخرج عن الأدوات القديمة في التّفريق بين قطعيّة والثّبوت والدّلالة، لهذا ستجد ذاتها في إشكاليّة في ضوء القراءات الإنسانويّة والتّأريخيّة الظّرفيّة للنّص القطعي ذاته ثبوتا ودلالة، وإن كان نسبة ذلك

قليلة، إلا أنّه محل جدل في ضوء التّوجهات المعاصرة اليوم في الدّول الإسلاميّة ذاتها، ولم يعد ذات صبغة واحدة، أو ذات توجهات مذهبيّة فقط، بقدر ما يشمل أيضا التّوجهات اليساريّة الأخرى.

لهذا أرى العلمانيّة لا ينظر إليها ابتداء بسلبيّة من الخارج، ولا يمكن إلغاؤها لملازمتها للدّولة المدنيّة والقطريّة اليوم، ولا داعي لتلك الحساسيّة المفرطة من ذكر اسمها فقط، أو دعوى أنّها طريق لهدم الهوّيّات بما فيها الأديان، وفي الوقت نفسه نحن أمام أربع جدليات: جدليّة علمانيّة الدّولة القطريّة، وعلمانيّة الهوّية العربيّة لتشابهها من حيث القوميّة، وعلمانيّة المجتمعات المسلمة لذات المصدريّة اللّاهوتيّة، وعلمانيّة المجتمع الإنساني وفق المشترك الإنساني الأوسع، لهذا أرى ضرورة التّوسع في دراسة العلمانيّة انطلاقا من الذّات الإنسانيّة الجامعة، ثمّ ما دونها من هوّيات انتمائيّة، لاهوتيّة أو عرقيّة أو قطريّة، دون إلغاء للآخر، وترك التّدافع طبيعيّا للعقل حتّى يولّد نظريّات جامعة في ضوء تطور المعرفة والعالم الإنساني.

الأضحية ومقتضى دائرة الإلزام في الخطاب[1]

من حسنات المتقدّمين من الأصوليين والكلاميين أنّهم فرّقوا في الخطاب من حيث الثّبوت بين ما هو قطعيّ وبين ما هو ظنّيّ، وكذلك في الألفاظ من حيث الدّلالة بين ما هو قطعيّ وبين ما هو ظنيّ، ومع سعة الظّنّ في الجانبين إلا أنّه في دائرة الإلزام من حيث الحكم التّكليفي الأصل أنّه يضيق، فكلّما اتّسعت دائرة الظّنّ كلّما ضاقت دائرة الإلزام.

ودائرة الإلزام تدور من حيث الألفاظ إمّا صراحة في الأمر والنّهي، وإمّا كناية ومجاز فيهما، ومع ذلك حتّى اللّفظ الصّريح في الأمر محل جدل كبير، فيختصر محمّد الخضري بك [1345هـ/ 1927م] في كتابه أصول الفقة [ص: 196 – 197] المذاهب في ذلك إلى خمسة مذاهب: "تدل على طلب الفعل على جهة الإيجاب، تدل على طلب الفعل على جهة النّدب، تدل على مطلق الطّلب، تدل على مجرد الإذن، لا تدل على أحد من معانيها الاستعماليّة إلا بالقرينة"، وهكذا النّهي حيث يذكر السّالميّ [ت 1332هـ/ 1914م] في طلعة الشّمس [1/180- 181] أربعة مذاهب: يدل على طلب التّرك على جهة الإيجاب، يدل على طلب التّرك على جهة الكراهة، وتوقف قوم عن التّعيين بينهما، وقيل في أصله مشترك بين الأمرين إلا بقرينة.

وفي نظري الأصل في التّشريع الإباحة، والدّخول في دائرة الإلزام أمرا أو نهيا يحتاج إلى قرينة صارفة؛ لأنّ دائرة الإلزام ضيقة ومغلقة، والأصل ما دون ذلك، فإذا جئنا إلى الخطاب العام نجد دلالة الأمر والنّهي لا تقتصر فحسب عند علويّة الخطاب، بل لابدّ من البحث في ألفاظ الخطاب، وبما أنّ الحكم الأصوليّ هو "خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلبا أو وضعا"، هذا الخطاب علويّ/لاهوتيّ المرجعيّة، ولكن مصادره ستتمدد من الكتاب إلى السّنّة فالرّواية، وعند الإماميّة يتوسعون في الرّواية فيدخلون مرويات آل البيت، وعند أهل الحديث يدخلون السّلف الصّالح

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

خصوصا الصّحابة، وهكذا فيمن أدخل قرائن عمل أهل المدينة، أو عمل الأشياخ أو عمل العترة، وإن كانت هذه أقرب إلى القرائن المثبتة أو النّافية للرّواية، ولكن لها موقعها في الخطاب.

وبهذا سيكون الحكم الفقهي هو "الصّفة الّتي هي أثر ذلك الخطاب"، وعليه كلمّا اتّسعت مصدريّة الخطاب كلّما اتّسع الحكم الفقهي، وهنا لسنا في محل بحث توسع المصدريّة، فهذا مبحث آخر، ولكننا في محلّ بحث ما يتعلق باللّفظ من حيث دائرة الإلزام، حيث نجد أنّ النّص القرآنيّ هو النّص اللّاهوتي/ العلوي المتّفق عند المسلمين قطعا من حيث الثّبوت، إلا أنّ هذا النّص ذاته في جملته نص مفتوح، أي قابل للتّأويل، ويعني أنّه في دلالته من حيث الجملة ظنّيّ، وبما أنّ دلالته ظنّيّة فلا يمكن أن تتسع دائرة الإلزام فتكون ضيقة أيضا؛ لأنّها محتملة لأكثر من وجه، فإذا كان القرآن كذلك فما دونه أولى؛ لأنّ الهيمنة والتّصديق له، وبه مدار الأحكام ومحوريتها، وفي هذا يقول الشّيخ الشّقصي [ت 1090هـ] في منهج الطّالبين [1/ 78]: "وأحكام الشّريعة كلّها مأخوذة من طريق واحد، وأصل واحد، وهو كتاب ربّ العالمين"، ويقول [1/ 79]: "فوجب إتباع السّنة بكتاب الله" أي تكون تحت هيمنته حتى في الأحكام.

فإذا جئنا إلى الأضحية نجدها من حيث الخطاب [الإفتائي – الإرشادي] اليوم أقرب إلى الإلزام، دون مراعاة التّراتبيّة والسّعة كما يقول القرضاوي [معاصر] في مئة سؤال عن الحج والعمرة والأضحية والعيدين [ص: 197]: "ومن المهم أن يعرف النّاس أنّ السّنة سنّة، والفرض فرض، بحيث تظل الأحكام على مرتبتها الشّرعية؛ لأنّ من الخطر أن يظن النّاس أنّ المستحب واجب، والمندوب فرض، والمكروه حرام، والصّغيرة كبيرة".

ونحن لمّا نتأمل القرآن الكريم لا نجد آية صريحة إلى تشير إلى الأضحيّة، مجرد فهومات من بعض الآيات كآية الحج: 37، وهي تتحدّث عن الهدي، وسورة الكوثر، وهي تتحدّث عن حصر الصّلاة والذّبح لله تعالى، وكلّ ما ورد عن طريق الرّوايات، وجمعها ظنيّة الثّبوت، وفي هذا يقول ابن بركة [ت ق4هـ]: "والضّحايا عندنا ليست بواجبة على أهل الأمصار، لعدم الدّليل على إيجاب ذلك، ويستحب للمسلمين إثباتها، والتّقرب بها إلى الله بها، لما جاء فيها من الفضل وجزيل الثّواب" [منهج الطّالبين، 78/1]، وعليه أطبق جمهور العلماء قديما وحديثا على سنّيتها واستحبابها، ولا تصل إلى دائرة الإلزام، "الأضحية هي سنّة عند جمهور العلماء، والأئمّة الثّلاثة، مالك [ت 179هـ] والشّافعي [ت 204هـ] وأحمد [ت 241هـ] قالوا بسنيّة الأضحية، والإمام أبو حنيفة [ت 150هـ] هو الّذي قال بوجوبها على أهل اليسار" [مئة سؤال، ص: 187]، وعلى سنّيتها أيضا الزّيديّة والإماميّة.

ولمّا شاع عند البعض في العهد الأول إلزاميتها أنكر ذلك الصّحابة عمليّا، كما يذكر قطب الأئمّة [ت 1332هـ/ 1914م] في الذّهب الخالص [ص: 305]: "وبعث ابن عبّاس [ت 68هـ] عكرمة [ت 105هـ] بدرهمين يشتري لحما، وقال: قل لمن لقيت هذه أضحية ابن عبّاس ليعلموا أنّ الضّحية لا تجب، وضحى بلال [ت 20هـ] بديك يعني أنّها لا تجب".

فإذا كانت دائرة الإلزام مرتفعة عن أصل الحكم، فمن باب أولى أن ترتفع عن الأجزاء، خصوصا وقت الضّرورات، وفي هذا يذكر قطب الأئمّة في الذّهب الخالص [ص: 305- 306] عن جابر بن زيد [ت 93هـ]: "واشترى جابر بن زيد فاكهة، فأكل وأطعم الفقراء بعد أن أراد أضحية ولم يجد إلا مهزولا"، وفعل جابر ذلك ليبين للنّاس سعة الأمر.

والأصل في خطاب التّيسير أن يكون مصاحبا وقت اليسر، فكيف وما يمر به المجتمع اليوم من آثار جائحة كورونا، وما قررته اللّجنة العليا من إغلاق تام، فينبغي أن يكون خطاب التّيسير هو الشّائع كما يقول القرضاوي [مئة سؤال، ص: 189]: "وإذا كانت التّضحية سنّة فلا إثم على من تركها في حالة السّعة، فما بالك في حال العسر والأزمة الاقتصاديّة"!!!

وقد يقول قائل: إنّه لم يقل أحد بوجوب الأضحية، أو شدد في ذلك، ولكنّ المجتمع بحسب عاداته وتقاليده هو من يشدّد على نفسه، وهو من يرهن نفسه ويكلّفها قرضا، ويستدين لها، رغم ضائقته المالية، وهذا صحيح من جهة، إلا أنّ مقدار كلمات الوجوب، والحث شبه الإلزامي يجعل المسألة أقرب إلى الإلزام في العقل الباطني، وهذا نجده في استقراء الأسئلة الّتي تطرح بشكل يومي، ممّا يدل على عدم وضوح المسألة في المطلق من حيث الإلزاميّة إنشاء كما هو مذهب الجمهور على الأقل، وحتى من قال بالإلزاميّة قيّدها باليسار والقدرة، وهذا كما أسلفنا في أصل الإلزام لا دليل عليه.

ولعلّ من حسنات جائحة كورونا أنّها عالجت العديد من القضايا، وعلى رأسها التّكلف والسّرف في الأفراح والأتراح، فأرجعت النّاس إلى السّنة الطّبيعيّة، وهذا ما يرجى من قضيّة السّرف في الذّبح في الأعياد، والتّكلف بسببها عموما، وفي معالجة قضيّة الأضاحي، والرّجوع إلى السّعة حولها، فالله يتقرب إليه بالتّيسير لا بالعسر والمباهاة، فيمكن للإنسان أن يطعم أهله بالشّيء البسيط من اللّحم، ولا داعي إلى السّرف، والمقتدر يعطي غير المقتدر مالا أو لحما، وهذا هو التّقوى في عموم الذّبح، وهو مصداق قوله تعالى: {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ} [الحج/ 37]، فجميل أن يكون من حسنات كورونا مراجعة مثل هذه العادات والتّشريعات الاجتماعيّة كحال الزّواج والتّرح وغيرها.

ومن الإلزام أيضا ما يشاع أنّه لا يجوز للإنسان أن يأخذ شيئا من أظافره وشعر رأسه وجسمه إذا أراد أن يضحي، وهو أمر شاع مؤخرا، لا يكاد يذكر في الكتب الفقهيّة عندنا، وهذا من خصوصيات الهدي للقارن ممّن ساق الهدي، أو من دخل في الحج للمتمتع والمفرد، وإن كان المفرد ليس عليه هدي، وتعجب القرضاويّ من هذا الحكم لمّا جاء إلى الخليج، "السّؤال – أي قص الشّعر والأظافر أيام الحج – شائع هنا في منطقة الخليج وخصوصا في بلاد الحنابلة، ما كنّا نعرف عن هذا في مصر لأنّها على المذهبين الشّافعي والمالكي" [مئة سؤال، ص: 193].

والمسألة ذاتها خارجة عن دائرة الإلزام، فلا ينبغي الخطاب حولها من المنطلق الاستعلائي الإلزامي، بقدر ما ينبغي أنّ نوّسع دائرة الاستحباب والسّعة في الخطاب التّكليفي؛ لأنّه أصل الخطاب، { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة/ 185].

الأيام الأخيرة مع صادق جواد[1]

لمّا رجعت من مصر في أواخر مارس الماضي قبل رمضان بأيام كان كثير التّواصل معي: "متى ستأتي إلينا؟" قلت له: مشكلة الحجر حينها في (الفندق) لمدة ثمانية أيام، وفي اليوم الأخير مباشرة بعد قص سوار اليد الإلكتروني، ذهبت إليه ظهرا، فجلست معه حتّى اللّيل، وسألني عن مصر وأحوالها، ويركز على الجانب الفكري، ومستوى الوعي عند النّاس، فقال أريد أعمل حلقة عبر zoom عن التّلازميّات الضّروريّة لانضباط الأداء الإنساني، وكان قد كتب مسوّدة في ذلك، وجلسنا نتناقش حولها طويلا، وقال لي: "مشكلة النّاس لا يضبطون المصطلح"، وصادق جواد كان معتزا بلغته العربيّة مع تحدّثه بالإنجليزيّة والفارسيّة والأورديّة، وأخبرني أنّه تعلّم الصّرف منذ فترة مبكرة في مطرح مع أحد المشائخ من العراق الّذين درسوا في قم، أي تقريبا هذا في الأربعينيات من القرن العشرين، وهو متقن في صرف الكلمة، ومعرفة جذورها، ويرى هذه السّعة في اللّغة العربيّة غير موجودة في الإنجليزيّة.

قلتُ له: الأفضل تكون الحلقة بعد رمضان؛ لأنّه غدا لديك حلقة مفتوحة في صالون الإنسانيّة لأحمد سعد زايد من مصر عبر اليوتيوب، ولديك ندوة في رمضان مسجلة في قناتنا حول العقل والعقلانيّة وعلاقتها بالإلحاد، فقال لي: "لا بأس لنجعلها بعد رمضان".

وهنا تواصلت معي مديرة مدرسة جابر بن زيد تريد الالتقاء بصادق جواد حول موضوع القيم، فنسقنا يوم الثّاني من رمضان صباحا، وطال الحديث حتّى الظّهر، كما زاره في رمضان الدّكتور بهمن أكبري رئيس الملحقيّة الثّقافيّة في السّفارة الإيرانيّة في مسقط سابقا، ومع كثرة هذه الزّيارات إلا أنّه كان يأنس بها، ويفرح خصوصا لمّا يزوره من الشّباب، ويناقشون معه قضايا فلسفيّة وفكريّة وجدليّة، كما أنّه مستمع جيد لهم، ويوجه لهم الأسئلة أيضا، وأخبرني: أنّه سعيد جدّا بهذا الحراك العلميّ

[1] نشرت المقالة في صحيفة شؤون عمانيّة.

والفلسفيّ، وسعيد بإسهامات الشّباب، وقال لي: "هذه الانشراحة لم تكن موجودة سابقا في عمان، وكانت على مستوى محدود جدّا، وكان النّاس عندهم شيء من الخوف".

وانشرح صادق جواد كثيرا بجلسات برنامج (شاي كرك) كما سعد أيضا ببرنامج الأستاذ محمّد النّدابي، وقال لي قبل سفره إلى الهند: "أريد أسجل حلقة أخرى قبل سفري مع الأستاذ النّدابي، رأيته شابّا نشيطا وواعيا"، وتواصلت شخصيّا مع النّدابي، إلا أنّه لسبب زواجه كان موعده متزامنا مع سفر صادق جواد، وقلتُ لصادق سوف أقوم شخصيّا بعقد زواجه، قال لي: "أريد أن أحضر هذه اللّقاءات الاجتماعيّة، واستحضر معالمها وذكرياتها، وأنا في وداعي لهذه الحياة، فهل تستأذن للنّدابي أن أحضر؟" ولم يكن توجد ممانعة عند النّدابي: قلت له وبمشاورة بعض جماعته: إنّ هذه التّجمعات تمتلئ عادة بالنّاس وإن كانت على مستوى العائلة، فخشينا عليه بسبب كورونا، وأنا شخصيّا أصبت بكورونا بسبب تجمعات عقد الزّواج.

قال لي: "أريد أن أزور الأصدقاء، أريد أن أسلّم عليهم"، وكأنّه يريد أن يودعهم، وذكر لي مجموعة من الشّباب والمثقفين والكتّاب، فقلتُ له: ما رأيك نعمل جولة في عمان في إجازة عيد الفطر، فأعجب بالفكرة، فذهبنا ثاني يوم العيد بصحبة الطّالبين وضاح الهاشميّ وعظيم الدّين من الهند إلى إزكي، والتقينا بالشّيخ عليّ التوبي، وابنه الدّكتور معمّر، وكنت قبل سفري إلى مصر أعطيته كتابي الدّكتور معمّر: بين العلم والإيمان، وهكذا نتطوّر، فاتّصل بي بعد يوم تقريبا لمدة ساعة يحدّثني عن إعجابه بكتاب بين العلم والإيمان، وقال أريد أريد التقي بالدّكتور، وفعلت تواصلت مع الدّكتور، وذهبنا معا إلى صادق، ورأيت صادقا يحبّ أن يستمع من الدّكتور كثيرا، ثمّ باحثه في بعض مسائل الكتاب، وكان ذلك بحضور بعض الأخوة.

ثمّ ذهبنا إلى بهلا والتقى بالوالد والأخوة، ثمّ زار الأستاذ خميس العدويّ وحدث بينهما حديث طويل حتّى العصر، ثمّ ذهبنا إلى مركز الوّراق للأستاذ سالم الجديدي، وأعجب كثيرا بالمركز، وبهمّة صاحبه.

وبعدها ذهبنا إلى عبري لزيارة الشّيخ زهران العبري، وبسبب الحجر كان مبيتنا معه، وهنا جاء بعض الشّباب والمثقفين، وطال حديثم مع صادق جواد إلى منتصف اللّيل، وهو بكامل نشاطه وحيّويته، مستمعا ومجيبا ومناقشا، مع أنني ذهبت إليه صباحا ووجدته يمشي، فهو يمشي ساعتين صباحا، ولا يحبّ أحدا يكون معه؛ لأنّه كثير التّأمل مع الطّبيعة؛ هنا اعتذرت منهم، وفي أول الصّباح تصوّرته نائما، فقلت للأستاذ محمّد المعمري - وهو شاب متنوّر من عبري جاء للقاء صادق جواد، وأعجب به صادق جواد، وأرسل صادق له رسالة من الهند يتمنى لقاءه مرة ثانية -؛ قلت لمحمّد: ما رأيك نمشي ثمّ نوقظ الأستاذ صادق؟ فلمّا خرجنا وجدنا الأستاذ صادق يمشي وينظر إلى الطّبيعة، فلمّا اقتربت منه: قال لي: "بقي دورتان وأنهي تأملي من خلال المشي"، أي سبقنا بما يقارب ساعة ونصف!!

ثمّ ذهبنا إلى عبري، وفي الطّريق قال لي: :مررت هنا منذ زمن بعيد، وجميل أن أعيد الزّيارة لأنّه آخر حديث بيني وبين الطّبيعة هنا"، وقال: "أريد أن أتأمل قليلا"، فقد كنت استغل الوقت لآخذ أكبر قدر معرفي منه، ومن ذكرياته، وهو يطيل الحديث، فأحيانا الجواب يأخذ منه ساعة، لهذا لا اتّصل به إلا في وقت الفراغ؛ لما أعلمه من حبّه للإطالة، وهنا تأتيه الأفكار، لكنّك لا تشعر بالملل بسبب دقته وتنظيم فكرته.

عموما وصلنا إلى البريمي في مركز حدائق الفكر مع الأستاذتين نصرة المعمريّة وموزة البادیّة، وأعجب كثيرا بالمركز، وتجمّع بعض المثقفين رجالا ونساء، وهنا وصل خبره إلى العين في دولة الإمارات، وطلبوا أن نزورهم، فاعتذرنا بسبب قيود السّفر

حينها نتيجة الاحترازات من جائحة كورونا، فذهبنا إلى صحار في منزل الأستاذ عليّ الحامدي، فكانت جلسة أغلبها حول القضيّة الفلسطينيّة، ثمّ قال لي: "أريد أن أزور الدّكتور عبد العزيز العوضي، فقد التقيت به قبل فترة في مؤتمر في عمان، وزرته بنفسي في بيته بشناص"، وذكر لي بعض ذكريات زيارته إليه ومع أحمد ابن الدّكتور عبد العزيز، وكان يثني على العوضي وعلى انفتاحه داخل الخط الإسلامي كثيرا، وفعلا تواصلنا مع الدّكتور وأبنائه ورحبّوا بنا كثيرا، كما تواصل معنا العديد، ومنهم أحد الأخوة من ينقل فوعدته لمّا يرجع من الهند، لكنّ كتاب الله سبق.

وقال لي ونحن في طريق العودة: "لي علاقة بشباب في ظفار أريد أزورهم" وله أحاديث مع بعضم ممّن يتواصل معه وذكريات، فقلتُ له: من ترجع نذهب بعونه تعالى، وذكر لي أيضا رغبته في زيارة الأستاذ أحمد الفلاحي قبل سفره، وكان يثني عليه، ولكن الجدول لم يتّسع، وأنا ذهبت إلى الأستاذ الفلاحي بصحبة الأستاذ إبراهيم الصّلتي وبلّغته سلام الأستاذ صادق، ورغبته في زيارته.

ولمّا اقتربنا من شقته في روي قال لي: "انصحك يا بدر بشيء لتعيش مرتاحا: تصالح مع ذاتك وتسالم مع غيرك"، أي لا تؤنب ذاتك بماضيها، وإنّما عش حاضرك، وأيضا سالم غيرك، وتعامل معهم بصفاء قلب دون الاشتغال بعيوبهم وتقصيرهم، والتفت إلى الحسن منهم، واستفد منهم، وعش بسلام ومحبّة مع جميع النّاس.

وفي صباح اليوم الثّاني كان بيننا حديث هاتفي طويل لجلسة التّلازميّات الضّروريّة لانضباط الأداء الإنساني، وهذه كانت آخر حلقة حواريّة معه بطلب منه، وكانت بتأريخ 24 مايو 2021م، وبعدها اقتربت منه، فقررت أن أواصل أعمالي الكتابيّة في "كوستا" روي؛ لأكون قريبا منه؛ لأنّه لمّا اتّصل به يسألني: "أين أنت؟" يتصوّرني قريبا منه، فإذا حدث اتّصال آتي إليه مباشرة.

وفي الأيام الأخيرة كانت زيارة الأستاذ سيّد عليّ موسوي والأستاذ سجاد من السّفارة الإيرانيّة، وكنت بصحبة الأستاذ زهران العبري، وشاركنا الأستاذ كمال اللّواتي، والطّالبان: وضاح الهاشمي ومعتز القاسمي، وطال الحديث من بداية العصر إلى ما بعد الثّامنة ليلا، وحاول البعض تثنيته عن السّفر إلى الهند، خصوصوا لانتشار الفطر الأسود، لكنّه كان مصرّا وعازما على ذلك.

وفي صباح سفره زرته بصحبة الأستاذ جمعة اللّواتي لتوديعه، فجلسنا معه إلى ما بعد الظّهر، ولمّا رجعت قال لي أريدك لوحدك، فرجعت إليه من السّيب مرة أخرى، وكأنّه يحدّثني حديث الوداع، وعرض عليّ زيارته في الهند، وقال لي: إذا جئت الهند يوجد لديّ مكان، وشرح لي أنّ أعلى البيت غرفة سقفها من الزّجاج؛ لأنّه يحبّ أن يرى سقوط الأمطار، وحركة القرود، والطّيور، فكأنّه يبادلها الحديث، وظلّ يحدّثني عن الهند والإنسان، وطلب مني أن أقضي حاجة لابن أخيه منوّر، فأخوه زوجته هنديّة، وتوفي في السّبعينات، وهو يقوم بخدمة عائلته وأولاده، ومنهم منوّر، وكان متعلقا به.

هنا قلت له: أنا أحملك إلى المطار، فقال لي: "ابن أخي منوّر سيحملني، ولا نريد تكليفك"، فاتّصلت به وهو في طريقه إلى المطار فقال لي: "الأمور طيبة، وسنظل على تواصل، ولكن توجد رسالة عند منوّر خذها لتوصلها إلى أحد الأصدقاء"، وفعلا ذهبت في اليوم الثّاني إلى منوّر، وهو شاب لطيف وبصحة جيّدة، إلا أنني تفاجئت قبل أسبوعين من اليوم أنّ منوّر توفي بسبب كورونا في عمان، فلعلّ هذا أثر نفسيّا على الأستاذ صادق، فقد كان بمثابة ابنه في عمان!!

تواصلنا بالهاتف وسلّمت عليه، وقبل شهر أرسل لي هذه الرّسالة:

"العزيز الشيخ بدر بن سالم:

سلام عليك ودمت بخير.

ها قد مضى أسبوع على قدومي إلى الهند والأمور كما خططت لإقامتي هنا سالكة بشكل مرض: السكن مريح ومتيح المشي ترددا عبر طوله الممتد عشرين مترا، كما أن رعاية أسرة ابن أخي (منور)، المقيمة على الطابق الثاني من البناية، كريمة بامتياز في تلبية جميع احتياجاتي الحياتية.

لم أخرج من المنزل حتى الآن، ولم يطرأ بعد ما يستدعي الخروج. كان علي أن أجري بعض فحوص الدم تمهيدا لزيارة الطبيب بعد أسبوع، لكن هذا تيسر باستدعاء ممرض للمنزل لسحب الدم وإجراء الفحوص في مختبر قريب.

موسم الأمطار قد بدأ، لكنه في مدينتنا (بلغاوي) بولاية (كرناتكا) الجنوبية ليس بعد بالغزارة التي عهدتها في زيارات سابقة. إنما السماء غائمة طوال الوقت والمؤمل أن يجود الغيث كالمعهود عما قريب.

معظم الوقت أقضيه في خلوة مع النفس، بين تأمل وقراءة وكتابة ومتابعة للأحداث. أحيانا يخطر أنني قد حظيت بعناية كونية تتيح لي التمهل في وتيرة الحياة، وتفسح لي فرصة تعريض النظر ما أمكن في طبيعة هذا الوجود، عبر هذه المرحلة الأخيرة قبل الوفاة.

بصدد الكتابة رأيت أن أكتب في أربعة موضوعات خلال إقامتي هنا، وهي: 1) العقل المؤمن، 2) القوي الأمين، 3) المسؤول والمساءلة 4) مراحل الحياة... وأرجو أن أوفق في إنجاز هذا أو جله حتى موعد العودة إلى الوطن أوائل نوفمبر المقبل.

مودتي وتقديري لك ولجميع الأصدقاء، مع الدعاء بالتوفيق في جميع الأمور.

صادق حواد سليمان"

وقبل أسبوعين كانت رسالته الأخيرة لي، وهو آخر حديث بيننا:

"العزيز الشيخ بدر سالم العبري:

السلام عليك وعلى جميع أصدقائنا الأعزاء. أعتذر لانقطاعي في التواصل معكم، وذلك لانصرافي إلى سلسلة من المراجعات الطبية انتهت اليوم، غير فحص للعيون مقرر بعد أسبوعين.

قرأت مقالك في الفلق فما رأيت غير نقل أمين وشرح مختصر سليم. أبارك لك سعة صدرك وعرض أفقك وأنت بعدك في مطالع حراكك المعرفي أتمنى باستطراده أن تبلغ شأوا مشهودا في الوطن وسائرالعالم العربي الإسلامي.

أخيرا شكرا على كل ما لقيت منكم دائما من محبة ورعاية. مكررا، سلامي للجميع.

صادق جواد".

فكان ردّي له وآخر حديث معه:

"السّلام عليكم ورحمة الله أستاذي الكريم المفكر صادق جواد،،

سعيد برسالتك، ونعتذر عن عدم مراسلتك، حيث لم نحب إزعاجك في خلوتك، وشغلك في تأملك، وصرفك عن غايتك.

وسعيدون بما ابلغتنا به في رسالتك من نتائج طبيّة جيدة، ونرجو لك دوام الصّحة والعافية.

كما نرغب متى سمح وقتك أن نتحدث عفويّا علىzoom ، في جلسة عفويّة ندعو لها بعض محبيك للسّلام وحديث أخوي سريع.

وسعيد بمشاعرك حول المقال، وما أنا فيه إلا ناقل، والفضل لك سلفا، ولقي قبولا جيّدا في داخل وخارج عمان والحمد لله .

وهنا جميع الأخوة: كمال اللّواتي، وخميس العدوي، وزهران العبري، ومعمّر التّوبي، وحسن المطروشي، وإبراهيم الصّلتي، وأحمد الحارثي، والوضاح الهاشمي، وجمعة اللّواتي، وسعيد الهاشمي، وغيرهم يخصونك بالسّلام.

محبّك بدر العبري".

وفي بداية هذا الأسبوع تفاجئت بخبر الأستاذ كمال اللّواتي بأنّ الأستاذ صادق في العناية المركزة، وحالته حرجة جدّا، بسبب مرض سابق عانى منه في الرّئتين Pneumonia، ولا يستطيع التّنفس إلا بالجهاز، ثمّ تواصلت مع الأستاذ كمال قبل يومين، وقلت مستعدّ للسّفر إلى الهند لخدمة الأستاذ صادق، فردّ عليّ شاكرا أنّ هناك من يقوم بخدمته، وقال لي حاليا لا يعطون تراخيص السّفر إلى الهند بسبب الجائحة.

لأتفاجأ صباح الثّلاثاء 27 يوليو 2021م بوفاته، وكان يوما مظلما، فرغم العلاقة القصيرة معه إلا أننا عشنا أياما وساعات، فلا يمر أسبوع إلا ونلتقي حضوريّا

أو هاتفيّا، فذهابه أحدث فينا فراغا ليس من السّهل تعويضه، كما أنّه خسارة للفكر والفلسفة، وكان لي أمل أن أكمل معه ثلاثة مشاريع، وقد بدأت إعدادها: عن سنّة الاقتضاء، والدّستور والسّلطة، ومذكراته، ولكن هذا قدر الله، ولا رادّ لأمره، ولكل أجل كتاب، ورحمه الله ورضي عنه، والحمد لله على كلّ حال.

العقل السّياسي الدّيني الإسلامي وما بعد الإمامة والخلافة[1]

المتأمل في الحراك السّياسي عموما يجده حراكا إنسانيّا مرتبطا بالتّطور الاجتماعي، فالسّياسة في حراكها المجتمعي متقدّمة على التّنظير السّياسي وفلسفته، ولهذا النّظريات السّياسيّة تتطور بتطور الحراك الاجتماعي في الجانب السّياسيّ ذاته، واليوم نصل إلى نظريات سياسيّة متطورة لكنّها ليست النّهاية، فالحراك الاجتماعي المقبل، وتدافع النّظريات السّياسيّة المعاصرة؛ بلا شك ستولّد نظريّات سياسيّة أخرى.

إلا أنّ البعض يرى أنّ العالم يتجه إلى دولة المؤسسات من جهة، ودولة الإنسان من جهة أخرى، ودولة المؤسسات بمعنى أن تكون السّلطة الحاكمة بيد مؤسسات وليست بيد فرد أيّا كان مسماه، أي النّظريّات السّياسيّة اليوم حجّمت الاستبداد، وأشركت الشّعوب في الاختيار، وفصلت السّلطات الثّلاثة: التّشريعيّة والرّقبابيّة والقضائيّة، وجعلت المواطنة حقّا إنسانيّا للجميع، وتدور وفق هذه السّلطات الثّلاثة الّتي لا يمكن أن تعلوها سلطة، بيد أنّها حافظة للمؤسسات دون أن تتحوّل هذه المؤسسات إلى سلطة كانت دينيّة أو ثقافيّة أو مجتمعيّة، بحيث تندرج تحت مؤسسة الحكم وليست تحت فرد أو عائلة ما، والاختيار الأعلى للمؤسسة وليس لأفراد، وهذه من بعيد نظّر لها بعض الخوارج قديما لشرطهم تحقق العدل والأمن، فإذا تحقق دون وجود حاكم ما كانت الغاية؛ لأنّ وجود من يحكم كان وسيلة لتحقيق وضمان هذه الغاية وهي العدل وما يتبعه من أمن واستقرار.

وأمّا دولة الإنسان فليست بالمعنى القطريّ، فالعالم اليوم وصل إلى وثيقة جامعة متمثلة في وثيقة حقوق الإنسان، وبها ترهن حقوق المواطنة، والعالم اليوم أصبح كقبيلة واحدة فيه أسر متعددة، هذه الأسرة هي الدّول القطريّة، بيد أنّ العالم رغم وجود وثيقة حقوق الإنسان لم يتخلص من الهيمنة المشيّخيّة على الجميع،

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

بمعنى هناك دول تخلصت من الامتداد (الاستعمار) الجغرافي، ووجدته ينهك قدراتها، والعالم تجاوزه، إلا أنّ الهيمنة المشيخيّة على الآخر ظلّت باقية، لمصالح اقتصاديّة في المقام الأول، فحقوق الإنسان لم تعد تحت مظلّة تلك الوثيقة – مع أنّها أرقى ما توصل إليه العقل الإنساني -؛ الّتي جعلت جميعا سواء، يجمعهم عالم واحد، ولعل كورونا أثبتت هذه الطّبقيّة المخيفة في العالم، فمع وصول شعوب إلى درجات من الفقر والتّشريد والمرض؛ نجد شعوبا لا تملك مقدرات تلك الشّعوب، بينما هي تعيش وتأكل من خيرات بلدان تلك الشّعوب.

لهذا نداءات اليوم تحت "دولة الإنسان" المراد منها تحطيم هذا الاستغلال من جهة، وتحجيم هذه الطّبقيّة من جهة أخرى، فيبقى العالم متساويا في الحقوق والواجبات، كان في الشّرق أم في الغرب، دون نزع لهوّيّاته تحت مسمّى الدّولة القطريّة أو غيرها، وهذا التّنظير ولدت منه نظريات كبرى قد لم تجد طريقها للتّطبيق اليوم، وهذا لا يعني أنّها لن تجد تطبيقها غدا، بل العكس يدل على خلافه لعدّة أسباب: منها الإيمان بالإنسان الماهي الواحد، والإيمان بالحق الفرداني والوجودي للإنسان، وعدم الرّغبة في العودة إلى الماضي تحت ضوء تطّور العلم وتسخيره لتحقيق عالم إنسانيّ واحد.

لهذا من خلال تأملي في الأديان لم أجد أنّ الأديان جاءت بنظريّة سياسيّة واحدة، وإلا ماتت هذه الأديان من مرحلتها الأولى، وفقدت صلاحيتها، بيد أنّ ديمومتها تمثلت في أدبيات مطلقة تركت للعقل البشريّ تطبيق ذلك وإنزاله، ويصعب هنا ذكر نماذج لذلك في الأديان عموما، ولكن من باب الإشارة إلى الأديان الإبراهيميّة مثلا في الأسفار الخمسة من التّوراة عند السّامريين واليهود لا نجد نظريّة معينة للحكم، لهذا سنجد تأريخ بني إسرائيل من بعد يوشع بن نون مرورا بعهد القضاة وحتى عهد الملوك هو تأريخ قبلي، كانت قبائل متناثرة في عهد القضاه، وأشبه بالتّوحد في عهد الملوك، إلا أنّه بالانقسام الشّمالي والجنوبي بعد النّبيّ سليمان، وسقوط الجنوبيّة بيد البابليين،

ثم بعد مائتين سنة سقوط الشماليّة بيد الآشوريين، هنا ستغلب الهوّية الدّينيّة [السّامريون واليهود] على الهوّيّة العرقيّة [بنو إسرائيل].

وبما أنّ العالم القديم تشكل وفق منطقين: المنطق الامبراطوري [التّوسع الجغرافي]، والمنطق الوراثي في تسلسل الحكم، هذا المنطق الامبراطوري وفق هوّيّة عرقيّة أو لغويّة أو دينيّة في خطّه الرّأسي؛ إلا أنّه في خطّه الأفقي تحته قبائل أشبه بالدّولة القطريّة اليوم، أي كأنّه في العالم القديم توجد عوالم وكواكب في عالم وكوكب واحد، وكل عالم وكوكب يتضمن قبائل حاكمة أفقيّا وفق هوّيات متعددة، لها ولاءات للعالم الأوسع، متأثرة بهذه العالم الواسع، وهذا ما سنجده عند اليهود طيلة التّأريخ أصبحوا قبيلة دينيّة من البابلين وحتّى الرّومان، ومن ثم الامبراطويات الغربيّة المسيحيّة والشّرقيّة الإسلاميّة، وتشكلها اليوم ضمن دولة إسرائيل (الكيان المحتل) هو تشكل غربي، وفق ثقافة جديدة، وإن حاولت أن تلبس لباس الدّين، إلا أنّها لن تجد مستندا منطقيّا لها، لما أسلفنا من طبيعة الأديان في نصّها الأول لا التّأريخي لم يتطرق إلى ذلك، وإن تطرق لا يتعدى الأدبيات أو الأحكام الظّرفيّة لا المطلقة.

وهكذا إذا جئنا إلى العهد الجديد أو الإنجيل، فلعل ما لله لله، وما لقيصر لقيصر كان فارقا من الابتداء، بيد أنّ حدوث التّزاوج بعد الكهنوت المسيحي البولسي، وخصوصا عند الكاثوليك لم يتعد الجانب المصلحي، وتزاوج الدّين بالسّياسة، ومن عهد الأنوار انفصل هذا التّزاوج، ورجعت المسيحيّة الفردانيّة من جديد ليس عند البروتستانت بل حتّى عند الكنائس الأخرى.

وهكذا في الإسلام لن نجد منظومة سياسيّة في النّص الأول (القرآن)، وأمّا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الشورى/ 38]، فهو أقرب إلى جانب القيم والمبادئ العامّة، والآية ظرفيتها في سياق الحروب، بيد أنّها مطلقة من حيث منع الاستبداد بالرّأي، وهي لا تعني

الدّيمقراطيّة؛ لأنّ الثّانية جانب إجرائي، إلا أنّها قيمة ملاصقة كمبدأ للدّيمقراطيّة؛ لأنّ الغاية متقاربة.

وأمّا قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة/ 30]، أي في استخلاف الأرض وعمارتها، واكتشاف سننها ونواميسها في بناء الأرض، ومثله قوله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [ص/ 26]، أي في الجانب القضائي المبني على الحق والعدل، وارتباط الآيتين بالجعل يدل على التّفاعل في عمارة الأرضل، وتحقيق العدل فيها.

ولمّا نزل القرآن – وهو النّص الأول – نزل في ظرفيّة الامبراطوريات والممالك الوارثيّة من جهة، وحكم القبائل من جهة ثانية، فالقرآن ارتبط بالحجاز، وهي ذات تعدديّة قبليّة عرقيّة ودينيّة، وحواليها امبراطوريتان: الرّوم والفرس، مع ممالك في البحرين وعُمان مثلا، ولهذا الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – استخدم مفهوم الأمّة كما في وثيقة المدينة، ولكن لم يجعل من نفسه خليفة أو إماما أو ملكا، فلمّا توفي شعر النّاس بالفراغ الرّوحي أكثر منه بالفراغ السّياسي، مع ارتباط الأمرين حينها، وهذا الجانب أحدث بينهم جدلا تحوّل إلى صراع لاحقا، وتمثل الصّراع بين الأنصار الّذين يرون أنّ الأحقيّة لهم باعتبار المدينة أنّها تحت زعامتهم وسيادتهم، وبين المهاجرين الّذين يرون النّبيّ منهم، وبين الهاشميين لعنصر القرابة من النّبي -عليه السّلام -.

هذا الجدل ستتولد منه ما يسمّى بمدرسة الشّورى، وستنقسم إلى مدرستين: الشّورى المقيدة، والشّورى المطلقة، أمّا المقيدة فتتمثل في قيد القرشيّة [ظرفيّة أو مطلقة] الّتي ستدور حولها الأشاعرة والماتريديّة وأهل الحديث، وقيد النّصيّة، وستنقسم إلى مدرستين: مدرسة النّص الجليّ عند الإماميّة والإسماعيليّة والنصيريّة والجارودية من الزّيديّة، والنّص الخفيّ عند عموم الزّيديّة، ومن هاتين المدرستين

مدرسة الشّورى المطلقة، والقيد لا يتعدى الظّرفيّة، وعلى هذا عموم الخوارج والإباضيّة والصّفريّة.

هذا التّشكل الأول لم يستمر بمجيء معاوية [ت 60هـ] وإرجاع الوراثة ابتداء، ثمّ تكوين أول امبراطوريّة حجازية من جهة، وعربيّة بعد البعثة من جهة ثانية باعتبار التّمدد الجغرافيّ، وهنا يخرج الدّولة من مفهوم الإمارة إلى مفهوم أوسع، تحت ظلّ الوراثة في الدّائرة القرشيّة الأمويّة [السّفيانيّة والمروانيّة]، لتأتي بعدها الدّولة العباسيّة فتجمع ثلاثة عناصر: الوراثة والقرشيّة والنّصيّة المتعلقة بصلة القربى [العباس ين عبد المطلب]، وفي هذه المرحلة [الأمويّة والعباسيّة] تضخم النّص الثّاني: الرّواية، لتتشكل المذاهب من صورتها السّياسيّة إلى صورتها الكلاميّة، كما ستتولد نظريات الحكم المختلفة.

وبعد المعتصم العباسيّ [ت 227هـ] تبدأ الدّويلات الّتي لم تخرج عن [الوراثة/ القرشيّة/ النّصيّة]، وبمجيء الدّولة العثمانيّة وامتدادها تسقط القرشيّة والنّصيّة، وتبقى الوراثة، ليبدأ مفهوم نظريّة التّغلب، وتأصيل هذه النّظريّة عمليّا، ممّا يدل على أنّ النّص الثّاني ظرفيّ تأريخيّ، والنّص الأول كان مطلقا في أدبياته كما رأينا [الإطلاق بالاعتبار الأصولي هنا].

أمّا الشّورى المطلقة امتدت في عمان من عام 179هـ وحتى عزل الصّلت عام 272هـ، وفي المغرب مع الدّولة الرّستميّة حتى سقوطها عام 296هـ، إلا أنّه بعدها رجعت الدّولة الوراثيّة من جديد في تشكلات ومزاوجات جديدة بين الفقيه والسّياسي.

وكذا الحال في النّص الخفيّ عند الزّيديّة تحولت إلى وراثة في ذرية البطنين، وأمّا الإماميّة فحاولوا أن يجدوا بديلا للفراغ السّياسي من خلال نظريّة ولاية الفقيه.

ليصطدم العالم الإسلامي بعد زوال مرحلة الاستعمار، وسقوط الخلافة العثمانيّة أنّه أمام نظريات سياسيّة تجاوزت العقل الدّيني الإسلامي بسنوات، وهذه

النّظريات تقترب من مفهوم الحريات الفردانيّة والشّراك التّشريعي للشّعب من جهة، والشّورى من جهة ثانية، فكانت نظريّة أبي الأعلى المودودي [ت 1979م] حاول أن يربط بينها وبين الحاكميّة والشّورى المطلقة، وهي نظريّة الخوارج الأولى، وبها كانت تشكلات الحركات الإسلاميّة المعاصرة [الحاكميّة والأحديّة والأسلمة والشّريعة] على درجات متباينة من النّص التّأريخي الإسلامي وحتّى النّظريات السّياسيّة المعاصرة.

هذه التّجربة التّأريخيّة في الممالك العربيّة والإسلاميّة، لمّا تقرأ بعيدا عن سياقاتها التّأريخيّة؛ يجد العقل الدّيني اليوم نفسه متضاربا بين فكرة الإمامة والخلافة، والنّصوص التّأريخية حولهما، لهذا في نظري من يقرأ المراجعات من بعد عليّ عبد الرّازق [ت 1966م] وحتّى فرج فودة [ت 1992م] مثلا، ومن بعد فودة وحتّى اليوم نجد العقل الدّيني الإسلامي ذاته يمر بذات العقل الدّيني اليهودي والمسيحي ليتشكل في مفارقة هذه النّظريّات التّاريخيّة والمساهمة في توليد نظريات معاصرة والمشاركة فيها؛ لأنّ العالم اليوم تجاوز التّأريخ واقترب من الإنسان.

الهوّيّة من حيث النّزعة الفردانيّة[1]

الفردانيّة لها ارتباط كبير بالماهيّة؛ لأنّ منشأ الفلسفة الفردانيّة هي الفلسفة الذّاتيّة، ومكمن الأخيرة في معيار الماهيّة، وبهذا النّزعة الفرديّة كما يرى عامر ناصر شطارة [معاصر] أنّها ظهرت "بوضوح وعلى شكل مذهب متكامل في القرن الثّامن عشر الميلادي من خلال ترسيخ قيم الحداثة في الفكر الأوروبي، وخصوصا في الميدان السّياسي والاجتماعي"، إلا أنّها كنزعة قديمة، ارتبطت بالماهيّة الإنسانيّة من خلال نزعته الفردانيّة المتمثلة كما يرى جون لوك [ت 1704م] في "حق الحياة، وحق الامتلاك، وحق الحرية"، فهذه وجدت مع الإنسان.

فنجد الأديان جميعا جاءت لتعميق النّزعة الفردانيّة، وفي القرآن تقرير للعديد من النّزعات الفرديّة، ابتداء من الجانب التّكويني: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} [الرّوم/22]، وعلى هذا بنيت العديد من القيم والتّشريعات والأخلاقيات، كحق الاعتقاد {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة/ 256]، وحق الفرد في التّملك والاكتساب {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ} [النّساء/ 32]، إلى تحمل الإنسان ما اكتسبه في حياته حسنا كان أم سيئا {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم/ 95]، وهذا ينطبق على الأديان الأخرى كما يقول عامر ناصر شطارة: "هدف الدّيانات السّماوية تأمين الخلاص للفرد من خلال اتّباعه منظومة القيم والتّعاليم الخاصّة بهذا الدّين أو ذاك".

هذه النّزعة الفرديّة كأيّ نزعات أخرى نجدها موجودة مع الإنسان وتطوّره دينيّا وفكريّا وفلسفيّا، إلى أن تتحول إلى مناهج وفلسفات مستقلة، إلا أنّ ظهورها متأخرا لسببين في نظري: الأول أنّ الفلسفة الإسلاميّة كوريث للفلسفة الأغريقيّة من خلال علم الكلام ناقشت العديد من القيم الفرديّة والإنسانيّة من خلال النّزعة

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

اللّاهوتيّة، أي أخذ الحيز الميتافيزيقي مساحة أكبر عن الحيز النّاسوتي والطّبيعي، فمثلا العدل وهو الأصل الثّاني عند المعتزلة، سنجد النّزعة اللّاهوتيّة هي محور العدل من قضيّة الحكم على الصّحابة، والولاية والبراءة، وقضيّة القدر وخلق الأفعال، والتّكليف والثّواب والعقاب، ونفي الظّلم عن الله، ومع كون الزّيديّة مذهبا ثوريّا، وورثوا الأصول الخمسة عن المعتزلة؛ إلا أنّهم لم يخرجوا كذلك عن تغليب الجانب الميتافيزيقي، هذا الحال نجده عند الإباضيّة أيضا مع نظريتهم الأولى في العدل السّياسي إلا أنّهم سيتأثرون بمدرسة الاعتزال في الاغتراب الميتافيزيقي.

لهذا تعمّق في المقابل في المجتمعات الإسلاميّة الجانب الغنوصي عند العرفانيين المسلمين، ومع اقتراب الغنوصيّة الإسلاميّة من الإنسان الكامل كما عند عبد الكريم الجيلي [ت 805هـ/ 1424م]، وظهور الفردانيّة في الخلوات والطّرق والتّربية والمحبّة والفناء، إلا أنّها لم تخرج أيضا عن المبالغة في الاغتراب الميتافيزيقي في التّجلي والظّهور ووحدة الوجود وغيرها.

هذه المبالغة في النّزعة اللّاهوتية والميتافيزيقيّة ارتبطت بالسّلطة أكثر من ارتباطها بالفرد، وهذا السّبب الثّاني، ممّا أدى إلى تمدد التّزاوج بين السّلطة وهذه النّزعة لتكون خادمة للسّلطة، كما أنّ السّلطة ذاتها تمددت من السّلطة السّياسيّة [الإمامة / الخلافة مع القبيلة] إلى السّلطة الدّينيّة والفقهيّة، والسّلطة الاجتماعيّة، فحُصِرَ مفهوم مصلحة الجماعة مقدّمة على مصلحة الفرد أي مصلحة هذه السّلطات من خلال ما يتكوّن من مصالح في استغلال الجانب اللّاهوتي والميتافيزيقي.

هذا الجانب نفسه نجد صورته متكررة من اليهوديّة الصّدوقيّة، كما يرى عبّاس محمود العقاد [ت 1964م] في حياة المسيح أنّهم "يحافظون على نظام المجتمع لأنّهم أصحاب اليد الطّولى فيه" أي مستفيدون من النّعيم الّذي يأتي إلى الهيكل، وممّا يقدّمه المجتمع من قرابين لهم، فتبنوا مذهب أبيقور في اللّذة الحسيّة والمتعة والتّرف،

ولكن من خلال تغليب مصلحة الهيكل وشريعة موسى الأولى بدون زيادات أي مصلحة السّلطة الدّينيّة، لهذا مال بعضهم إلى توسيع الفلسفة الأبيقوريّة في اللّذة والنّعيم، وتضييق النّزعة الميتافيزيقيّة من خلال الشّريعة الأولى في الأسفار الخمسة، ومن خلال إنكار الجانب اللّاهوتي في الآخرة من حيث العذاب والنّعيم، لاستمراريّة الاستمتاع في الحياة، بيد أنّه استفاد من هذا الاستمتاع السّلطة الدّينيّة من اليهود، والسّلطة السّياسيّة من الرّومان لما يجلبونه من ضرائب، ولأنّ الصّدوقيين كما يذكر العقاد "يعاشرون الأجانب، ولا يعتزلونهم كسائر أبناء قومهم؛ لأنّ أعمالهم ومراكزهم متصلة بذوي السّلطان"، ولهذا "يحافظون على سلطان الهيكل، ويحافظون على النّظام القائم، أو لا يستريحون إلى الثّورة والانقلاب".

لهذا كانت ردّة الفعل من اليهوديّة الفريسيّة، وهي الطّائفة الأرثذوكسيّة عند اليهود إلى اليوم، وبالغت في التّوسع الميتافيزيقي، لتقابلها طائفة الآسينيّة اليهوديّة الّتي تشكلت كطائفة غنوصيّة لمنشأها في الأسكندريّة، وهي وإن انقرضت إلا أنّه نشأت فرقة من الفريسيّة الحاخامانيّة في القرن السّابع عشر الميلادي تسمّى بالحاسيديم، وهي فرقة غنوصيّة عرفانيّة.

إلا أنّ المشترك بين الصّدوقيين والفريسيين هو تغليب السّلطة الدّينيّة، أو سلطة الأحبار باسم الدّين أو الجماعة، كما يذكر القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} [التّوبة/ 34]، لهذا كان صراع المسيح مع الصّدوقيين والفريسيين، ووصفهم كما في الإصحاح السّادس عشر من إنجيل متّى بالمرائين، وأنّهم جيل شرير فاسق، وأمر النّاس أن يتحرروا من خمير الفريسيين والصّدوقيين، أي من تعاليمهم، وانتصر للمستضعفين كالسّامريين والفقراء والعصاة الّذين جرّهم الواقع إلى ذلك.

من هنا اعتبرت المسيحيّة ديانة فردانيّة أي تعمّق الجانب الفردي، وترفع من روحيته ومحبّته واستقلاليته، إلا أنّها أيضا بمرور الزّمن غلب عليها قبل وبعد مجمع نيقيّة 325هـ الصّراع الميتافيزيقي واللّاهوتي مع الآريوسيّة ثمّ النّسطوريّة، والّتي تمثلت الثّانية في عقلانيّة أنطاكيّة، لتتشكل بعدها غنوصيّة الأسكندريّة، وهلنستيّة القسطنطينيّة وروما، ليدخل المسيحيون بعد مجمع خلقيدونيّة 451م في صراع لاهوتي بين الكنيستين الشّرقيّة والغربيّة، ويبدأ التّشكل النّفعي الجمعي في الكنيسة، حتى أتى مارتن لوثر [ت 1546م] وجان كالفن [ت 1564م] في القرن السّادس عشر الميلادي، ويعيدا إحياء النّزعة الفرديّة من خلال المذهب البروتستانتي الجديد.

ويرى عامر شطارة أنّ "لمارتن لوثر والبروتستانتيّة بشكل عام الأثر الواضح فيه [حيث] انتقل فيما بعد إلى عالم السّياسة والمجتمع الأوروبي عبر فلسفة العقد الاجتماعي الّتي أكدت أولويّة الفرد في المجتمع، وحماية حقوقه السّياسيّة والاجتماعيّة ضدّ أي هيمنة خارجيّة".

لهذا ندرك أنّه من خلال نظريّة العقد الاجتماعي لا يوجد تضاد بين الهوّيّة والفردانيّة، كما أنّ النّزعة الفردانيّة لا يعني إهمال الهوّيات، فالفردانيّة ذاتها هوّيّة جزئيّة من حيث الذّات، كليّة من حيث محوريّة الهوّيّات ككل، فالهوّيّات تقوم على صناعة الذّات الإنسانيّة، ولا يمكن تحقق هذه الصّناعة بدون استقلاليّة الهوّيّة الفرديّة، وهذا ما يعبر عنه حيدر حبّ الله [معاصر] بثنائيّة الاجتماع والفرد، أو ثنائيّة الهوّيتين: الفرديّة والاجتماعوسياسيّة.

كما أنّه من خلال نظريّة العقد الاجتماعي يرى عبد الجبار الرّفاعي [معاصر] في كتابه الدّين والاغتراب الميتافيزيقي أنّه لا "دولة مدنيّة من دون ديمقراطيّة، ولا ديمقراطيّة من دون رؤية فلسفيّة للإنسان والعالم، تبتني على مركزيّة الإنسان، وما ينبثق عنها من تكريس للفرديّة، وللحريات والحقوق".

بهذا الفردانيّة تدور بين كونها ماهيّة من حيث الذّاتيّة وأصل الأنسنة، وبين كونها هوّيّة تكوينيّة من حيث ما تملكه من قدرات عقليّة وجسمانيّة فطريّة تساهم بها في عمارة الأرض، وخدمة المجتمع البشريّ، وأيضا من حيث كونها هوّيّة كسبيّة من التّرقي في صناعة الذّات، وهذا يترتب عليه الانخراط في الهوّيّات الكسبيّة باسم المجموع، لهذا إذا كانت هوّيّات المجموع تعوق الهوّيّة الفردانيّة من الإبداع والنّتاج، أو لا تحقق لها كرامتها الإنسانيّة، أو تساهم في إماتتها وتجهيلها واستغلالها لأجل سلطات منتفعة؛ هذا بدوره ينقل الهوّيّة بشكلها العام إلى الجانب السّلبيّ الانتمائي المصلحي الضّيق، من الجانب الإيجابي البنائي الإحيائي الواسع، لهذا كانت فلسفة الفردانيّة لحفظ هذه الهوّيّات، وجعلها في السّياق البنائي بما يخدم العقد الاجتماعي على مستوى المواطنة في الدّولة القطريّة، أو على مستوى حقوق الإنسان في عالم المجتمع البشري ككل.

الهوّيّة والرّؤية الوجوديّة[1]

لست بصدد الحديث هنا عن الفلسفة الوجوديّة، ولكن لا يمكن إدراك الهوّيّة بمعزل عن الفلسفة الوجوديّة، لما لهذه الفلسفة من أثر كبير خصوصا في القرن العشرين، وبعد الحربين العالميتين الأولى والثّانية في تشكل وعي جديد تجاه الهوّيّات، إذ ينطلق من وجوديّة الإنسان ومركزه الكونيّ.

وهذا لا يعني أنّ الوجوديّة ولادة القرن العشرين، فهي قديمة قدم الإنسان وارتباطه مع الوجود، ومع العالم من حوله، وكما يرى ليف تولستوي [ت 1910م] في كتابه في الدّين والعقل والفلسفة أنّ هناك علاقة حتميّة بين سؤال: "ما الهدف من هذا الوجود العرضي الفاني [أي الذّات الإنسانيّة] وسط هذا العالم الصّلب الأبدي؟"، وبين سؤال: "لماذا أعيش، وما العلاقة الّتي تربطني بالعالم الأبدي من حولي"، فكلّ الفلسفات والأديان جاءت لتجيب عن هذين السّؤالين، وكلّ قدّم رؤيته ومنظومته الماورائيّة والأخلاقيّة والتّشريعيّة في ذلك.

إلا أنّ غالب الفلسفات والمنظومات تتوقف عند الصّورة الأولى، أو الماهيّة المشتركة من تطوّر النّوع الإنسانيّ، فهي أصل الهوّيّات ومدارها، وبالتّالي كما يرى تولستوي أنّ هذه العلاقة بين الماهيّة والعالم الخارجي من جهة، وبين الهوّيّات المتشكلة من هذه العلاقة لا تخرج عن ثلاثة أطر، الأولى: شخصيّة فطريّة، "أي معنى الحياة في الخير الشّخصي الّذي من الممكن اكتسابه بمعزل عن الآخرين، أو بالاتّحاد معهم"، والثّانية: وثنيّة اجتماعيّة، أي "لا يكون معنى الحياة في نفع الفرد الشّخصي، بل ينتقل إلى الأسرة، الجنس، الشّعب، الدّولة، أو مجموعة من الأشخاص، ويصبح ذلك هدف الوجود"، والثّالثة: أسريّة قوميّة مسيحيّة أو إلهيّة، "أي معنى الحياة لا في تلبية هدف الفرد، أو تلبية هدف مجموعة من الأفراد، بل في تنفيذ مشيئة الّذي أرسل الإنسان إلى هذا العالم".

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

ومن خلال رؤية تولستوي نجد في الأولى تغليب للفردانيّة فهي مدار العلاقة مع العالم، وفي الثّانيّة سلطة الهوّية (أسرة، مجتمع، دولة، عادات، شرائع، الخ) هي مدار العلاقة مع العالم، والفرد خاضع لها، وفي الثّالثة الأمر متعلق بمسبب الوجود، فلماذا أوجد الوجود بما فيه الإنسان، سواء كان خارج العالم، أو هو جزء من العالم، أو هو ذات العالم، إلا أنّ المدار هو تنفيذ مشيئته، وهذه المشيئة وإن تشكلت في هوّيّة أديان وشرائع، إلا أنّها جمعت بين الفرد من جهة، وبين الهوّيّات المجتمعيّة من جهة أخرى، تحت التّلازميات الثّلاث: الخالق، والعالم، والإنسان.

هنا تأتي الوجوديّة في نظري، على الأقل في المدرسة الوجوديّة السّارتريّة بعد الحرب العالميّة الثّانيّة، فترفض هذه الأطر الثّلاثة، حيث يرى سارتر [ت 1980م] في محاضرته الوجوديّة منزع إنساني أنّ "الوجود سابق عن الماهيّة"، وعليه لابدّ من "الانطلاق من الذّاتيّة"، وهذا ليس بمعنى الانطلاق من الماهيّة الأولى، أو بمشترك الماهيّة بين مختلف نوع الجنس كما عند الفلاسفة القدامى، بمعنى "أن يكون الإنسان باستمرار خارج ذاته"، وهذا ينبني أنّ هناك علاقة بين الوجوديّة والعدميّة والعبثيّة، فصورة الإنسان ما قبل الماهيّة مبنيّة على الحرّية، ومن منطلق الحريّة يخلق الإنسان أفعاله ومعتقداته وميولاته، كما يتحمل نتيجة ذلك، ومدار هذا الذّاتيّة الإنسانيّة، ونتيجة للعدميّة تعيش هذه الذّاتيّة في أجواء من القلق والخوف والموت، لهذا يرى الوجوديون اللّاهوتييون أنّ الأديان حاولت أن تجيب على هذه المساحة العدميّة.

وفي نظري مساحة الحريّة، وما قبل الماهيّة، وبالتّالي كسر استعلاء الجماعة تحت مظلّة السّلطة، أو كسر الإنسانويّة المفرطة والّتي استغلت باسم الإنسان الأعلى كما عند نيتشة [ت 1900م]، والّتي استعلها النّازيون، مع أنّ نيتشة يصنّف من الوجوديين، أو بمعنى الإنسان الكامل كما عند الغنوصيين، والّتي ولّدت الكهنوت؛ وهذا مدار جميع التّوجهات الوجوديّة، كانت ذات مرجعيّة لاهوتيّة أو إنسانيّة محضة، وهذا أشمل ممّا يراه العقاد [ت 1964م] في كتابه بين الكتب والنّاس أنّ

"الإيمان بالشّخصيّة الإنسانيّة هو الصّلة الوحيدة بين المذاهب الّتي تسمّى صوابا أو خطأ باسم الوجوديّة".

لهذا كان يميل سارتر إلى مصطلح النّزعة الإنسانيّة بدل الإنسانيّة خلافا لباقي الوجوديين ممّن سبقه فيما يبدو لي، حيث يرى "أنّ المنزع الإنساني يعني بالأساس أن يكون الإنسان باستمرار خارج ذاته"، وهذا أنّ "الذّاتيّة تعني من جهة اختيار الذّات الفرديّة بنفسها، ومن جهة أخرى استحالة تجاوز الإنسان للذّاتيّة الإنسانيّة، ومن الذّاتيّة يتولد رابط الجماعة أو الهوّيّة، "عندما نقول الإنسان مسؤول عن ذاته فإننا لا نريد القول بأنّ الإنسان مسؤول عن فرديّته الضّيقة، وإنّما هو مسؤول عن كلّ النّاس".

وعلى هذا الوجوديّة ضدّ الإنسانيّة الفردانيّة المرتبطة بالماهيّة ومشتركاتها من جهة، وضدّ الهوّيّات الّتي تطغى على الّذاتيّة الإنسانيّة، وتعوق من حريّة وجودها، وعلاقتها بالعالم، لهذا يرى العقاد أنّ جميع الوجوديين لاهوتيين أم ملحدين "يثورون على طغيان الجماعة، ويقدّسون ضمير الفرد في مسائل الاعتقاد والتّفكير، سواء تمثل هذا الطّغيان في صورة السّلطة الدّينيّة، أو أيّة سلطة من السّلطات تحاول أن تطبع الضّمائر بطابع واحد لا محلّ فيه لحريّة التّصرف، وتفاوت الآحاد في الحس والوجدان".

ومن خلال ما تقدّم نجد علاقة بين الذّاتية الوجوديّة، ووبين الفردانيّة تحت مظلّة الماهيّة، فكلاهما جاءا لكسر سلطة الهوّيّة أيّا كان تشكلها، ولكن دون نزع لهذه الهوّيّة، أي تبقى في مسارها الطّبيعيّ، لا أن تعوق حرّية الفرد وإبداعه، فتنقله إلى دائرة الاستبداد الجمعيّ تحت مظلّة الهوّيّة كانت لاهوتيّة أو ناسوتيّة من حيث المرجعيّة.

بيد أنّ الافتراق الدّقيق فيما بينهما أنّ الوجوديّة لمّا تنظر إلى الوجود أنّه سابق للهوّية، أي كما يقول العقاد "أنّ الفرد المحسوس هو الموجود الحقيقي، وأنّ النّوع الإنساني صورة ليست لها حقيقة خارجيّة في الوجود"؛ هذا يوّسع من دائرة حرّيته وإبداعه مع العالم من جهة، وخشية أن تتحوّل الإنسانيّة إلى إنسانويّة مستبدة لا تختلف عن سلطة الهوّيات الأخرى من جهة أخرى.

إلا أنّ الفردانيّة لمّا تنظر إلى الماهيّة فتنظر إلى المشترك في النّوع الإنسانيّ، فهي لا تعوق حريّة الفرد وذاتيّته الوجوديّة، وفي الوقت نفسه تعمّق الأنسنة في علاقة الفرد بالعالم، وفي تعامله مع الهوّيّات، وهذا يبعدنا عن العبثيّة في علاقتنا مع العالم.

وفي نظري الوجوديّة حتّى الآن لم تقدّم رؤية فلسفيّة واضحة، عدا خوفها من تشكل نزعات إنسانويّة تحول دون حرّيّة هذا الإنسان، كما تخشى ذلك من النّزعات اللّاهوتيّة الشّموليّة، ومن الهوّيات المجتمعيّة المتشكلة من الجانبين اللّاهوتي [الشّرائع]، والنّاسوتي [الأعراف والتّقاليد]، إلا أنّ مدارها في أسبقيّة الوجود على الماهيّة، ولو على المعنى الفرداني أو الذّاتي، جعلها تواجه جدل اللّاهوتيين الّذين يرون أسبقيّة الوجود من خلال تشكل الصّورة الأولى وفق المشيئة الإلهيّة، باعتباره واجب الوجود، وهذا يرجعنا إلى البرهان اللّمي الّذي يرى أنّ الحدّ الوسط علّة لثبوت المحمول للموضوع، أو الحدّ الأكبر للأصغر ذهنا وواقعا، فبما أنّ هذا الوجود يسبقه موجب الوجود كما عند اللّاهوتيين، فيكون موجب الوجوب العلّة الأولى، أو المسبب الّذي به يدرك ما يصلح هذا الإنسان بماهيّته وعلاقته مع العالم، لهذا جاءت الأديان ابتداء من حيث العلاقة الّتي أشار إليها تولستوي في بيان المسبب الأول أو واجب الوجود، فإذا أدركنا ذلك أدركنا ماهيّة الإنسان وعلاقته بالعالم.

ولهذا الانطلاق من مشتركات الماهيّة، أو الشّيء الجامع في النّزعة الإنسانيّة يجمع بين إنسانيّة الفردانيّة من جهة، وبين الهوّيّات المتشكلة عبر الزّمكانيّة من جهة

ثانية، فهي توسع دائرة الفردانيّة من حيث الكرامة الإنسانيّة والحرّية والإبداع من جهة، ومن جهة ثانية لا تقف موقف الخصم مع الهوّيّات، ما لم تتشكل كسلطة تحول بين الفرد وحركته في الحياة، وعلاقته مع العالم، عدا ما يربطه من عقد اجتماعيّ جامع بين الهوّيّات من جهة، وبين حركة الأفراد من جهة ثانيّة، وهو عقد ظرفيّ ليس مطلقا، متطوّر بتطوّر الحياة وفلسفتها، منطلق من كرامة الذّاتيّة الإنسانيّة.

اليوم العالمي لمكافحة الاتّجار بالبشر بين عبوديّة الماضي وعبوديّة الحاضر[1]

يحتفي العالم في نهاية يوليو في كلّ عام باليوم العالمي لمكافحة الاتّجار بالبشر، والاتّجار بالبشر لم يعد محصورا في تلك الصّورة التّقليديّة [الرّقيق] بل أصبح يشمل كلّ ما يؤثر في مبدأ الكرامة الإنسانيّة، ويتعارض مع حق الإنسان الكينوني الماهي والوجودي قبل الانتماءات أيّا كانت هوّيّاتها ومسمياتها، هذا التّأثير باسم الجنس أو المال أو السّياسة أو المجتمع، بكافّة أنواع الاستغلال والابتزاز.

وهذه الصّور موجودة قديما، وليست وليدة اليوم، إلا أنّها أصبحت حديثة بعد القضاء على الصّورة التّقليديّة، ابتداء من الدّنمارك 1792م، وحتى كتابة الدّستور الأمريكي 1865م، وفي عام 1964م كانت قوانين في أمريكا تحمي البشر وحقوقهم الإنسانيّة في العرق والدّين والجنس.

بيد أنّ تشكل العبوديّة الجديدة لم تنفصل عن العبوديّة القديمة إلا في جانب سلب مطلق الحريّة، فالحريّة قديما سلبت بالكليّة ليعتبر الإنسان جزءا من الملك للسّيد، أمّا اليوم قد تمارس عليه العبوديّة باسم الحريّة نفسها، كما تستغل المرأة وحاجتها للمال عن طريق الجنس، ويستغل هؤلاء الملّاك الجدد قيمة الحريّة في استعبادهن، وكما تستخدم السّياسات في ابتزاز معارضيها باسم الحفاظ على حرّيّات الكراسي وبعض الشّخوص، وكما يحدث أيضا في استغلال الدّول الفقيرة والمنكوبة من قبل شركات جمع المال ليشوّهوا صورة المتسوّل من قطع يده، أو فقع عينه، أو كي رجله، مقابل استغلاله لجمع أكبر قدر من المال مستغلين عاطفة الشّعوب، وهو ذاته ما يحدث في استغلالهم في شركات رأسماليّة كبرى مقابل أجور بسيطة جدّا لا تناسب وكرامتهم الإنسانيّة، وهو ما تقوم به البنوك العالميّة في الارتفاع الفاحش في الفوائد أو المرابحة والمضاربة، مستغلين حاجة الإنسان في تلبية ضرورات حياته، وهكذا دواليك.

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

والعبوديّة من الانقياد والذّلة، وهي المقابلة للحرّية، والعبوديّة فلسفة قديمة، والحرّية فلسفة معاصرة، لهذا كانت الحريّة بمعنى الحر أي الطّليق، والعبد بمعنى الرّقيق، وهو من باب الاستعارة أي فقد شيئا ملامسا (مضافا) من إنسانيّته، أي الحريّة، فصار رقيقا مملوكا لفئة من البشر باسم السّيد.

ولئن كانت الحرّية فلسفة معاصرة، إلا أنّها كقيمة مضافة وجدت مع الإنسان منذ ولادته أو منذ كينونة وجوده الأولى، ومنه قول عمر بن الخطاب [ت 23هـ]: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"، بيد أنّ اعتبارها معاصرة لأنّ وضعها كقيمة حاكمة مرتبطة بالفردانيّة جعلها حاكمة اليوم على العديد من الهوّيّات الدّينيّة والمجتمعيّة والسّياسيّة والعرقيّة.

لهذا للعبوديّة من حيث النّظرة الشّموليّة مرجعيتان، مرجعيّة لاهوتيّة، ومرجعيّة إنسانيّة، فالمرجعيّة اللّاهوتيّة لها ثلاث معاني: العبوديّة التّكوينيّة، أي باعتبار الخالقيّة، فالكون مخلوق لله، والعبيد مصاديق لهذا الخالق، ولهذا يعتبر اللّاهوتيون أن تحقق الحريّة الكاملة في العبوديّة المطلقة للخالق، وليس للمخلوق، ومنها مقولة ربعيّ بن عامر التّميمي [ت ؟]: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد"، والمعنى الثّاني: عبوديّة التّذلل والخضوع، ومنها قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مريم/ 30]، والمعنى الثّالث: عبوديّة الرّق وهو جانب تشريعي.

وعبوديّة الرّق تعود إلى عشرة آلاف سنة في بلاد ما بين النّهرين، وارتبطت ابتداء بالفلاحة والرّعي (الاقتصاد)، ثمّ تحوّل ذاته إلى مصدر دخل (أسواق الرّقيق أو النّخاسة)، لهذا سيرتبط لاحقا بالجانب العسكري والحربي من جهتين: جهة استرقاق أكبر قدر من البشر ممّا يرفع من قيمة الاقتصاد، ويوفر يدا عاملة، ومن جهة أخرى يكونون درعا بشريّة في الحروب والمعارك، ومع كثرتهم ارتبطوا بالجانب الاجتماعي من

حيث الأبهة والخيلاء، ومن حيث استغلالهم جنسيّا سواء كانوا جواري أم غلمانا، فبكثرة الخدم يعرف المستوى الاجتماعي للشّخص حينها، وكلّما كانت الرّتبة أكبر كالملك أو شيخ القبيلة أو تاجر كبير أو عالم راكن إلى الدّنيا أو قاض كان عبيده أكثر ازديادا.

وتطور هذه الحالة من الفلاحة إلى الوجاهة، جعلها رهينة المجتمع، لا يمكن الانفكاك عنها، فحتّى الفلاسفة القدامى – عدا الرّواقيين اليونان فقد أدانوا الاسترقاق منذ فترة مبكرة -؛ حاولوا تبريرها كما فعل ذلك سقراط [ت 399 ق.م] واعتبرها نظاما ملائما لطبائع البشر، ولم يعتبر أفلاطون [ت 347ق.م] العبد مواطنا صالحا، وعلى النّظريات الأغريقيّة لم يقدّم العرب والمسلمون وهم شراح هذه النّظريات رؤية تقدّميّة؛ زيادة أنّهم تأثروا بالجوانب اللّاهوتيّة أيضا.

والأديان عموما كانت رهينة هذا البعد الاجتماعي عدا ما ذكر عن الأسينيين الغنوصيين اليهود في القرن الثّاني قبل الميلاد حيث حرّموا الرّق منذ فترة مبكرة جدّا، إلا أنّ الأديان الإبراهيميّة عموما ظلّ الرّق حاضرا فيها، فالسّامريون واليهود تنص التّوراة على ذلك، وبالرغم من بكائهم على استعباد المصريين لبني إسرائيل؛ إلا أنّ الرّق ظلّ ملازما لملوكهم وقضاتهم وأحبارهم.

وكذا الحال في المسيحيّة مع أنّها ديانية عمّقت الفردانيّة، وجاء المسيح لتحرير الإنسان وخلاصه، إلا أننا نجد في رسالة بولس إلى أهل أفسس يأمر فيها العبيد بطاعة السّادة، [ينظر: إصحاح 6، آية 5-9].

وفي الإسلام لا توجد آية صريحة في تحرير العبيد؛ بل كانت لهم بعض الأحكام مثلا: عتق رقبة وأحكام اليمين، بيد أنّ القرآن جفف الجانب الحربي، فلم يجعل إلا خيارين: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمّد/4]، إلا أنّ العديد من

المفسرين نسخوها بآية السّيف، وأجازوا سبي غير الكتابي والقرشي، فلهذا كانت الفتوحات مصدرا لهذا الاسترقاق إلى وقت قريب، وصيغت لذلك روايات واجتهادات تبرر الأمر.

ومع ذلك الأديان الإبراهيميّة وإن كانت لم تلغِ عبوديّة الرّقيق، إلا أنّها أوجدت أيضا روحا من الأدبيات في الحفاظ على هذا الفريق من النّاس، وإن كانت مطلقة ذاتها تأثرت بالبعد الاجتماعي والسّياسي، ولكنّها أفضل حالا من الهندوسيّة والبوذيّة خصوصا عند فئة (الكارما)، بيد أنّ السيخيّة تقريبا أول ديانة ظهرت في القرن السّادس عشر الميلادي مقررة مبدأ المساواة للجميع، وتبعتها البهائيّة في القرن التّاسع عشر الميلادي مقررة مبدأ المساواة في الجنس البشري، إلا أنّه يحسب للسّيخيّة سبقها قبل شيوع الفلسفات الإنسانيّة المعاصرة بقوّة، ومع أنّ السّيخيّة وليدة الهندوسيّة، إلا أنّه لا يستبعد من تأثر الغورو ناناك [ت 1539م] ومن بعده بالمتصوّفة والغنوصيين المسلمين في الهند كفريد الدّين مسعود [ت 1265م]، المشهور ببابا فريد، والغنوصيون المسلمون نظرتهم الإنسانيّة والفردانيّة عموما أفضل حالا من باقي الأرثوذكس المسلمين.

وعموما الأديان الإبراهيمية بعد إلغاء الرّق أحدثت العديد من التّفسيرات التّبريرية، وعلى رأسها التّفسير التّاريخاني، أي أنّ هذه نصوص تأريخيّة نزلت في ظرفيتها، وعالجت القضيّة حسب ذلك الزّمن، ويبقى روحها في تقرير الأدبيات الحافظة للجنس البشري ضدّ أي عبوديّة في صورة أخرى حسب الظّرفيّة الزّمنيّة.

وفي الإسلام خصوصا وجدت في نهاية القرن التّاسع عشر وحتّى اليوم ثلاث نظريات كبرى مخالفة للنّظرة الكلاسيكيّة الّتي ترى أنّ النّصوص مطلقة، وقد تعود الحالة يوما ما مرة أخرى، فيترتب عليها ذات الأحكام من عتق رقبة ومكاتبة وأحكام العبيد والإماء، وأول هذه النّظريات – حسب علمي – نظريّة عبد الرّحمن الكواكبي [ت

1902م]، والّذي يرى أنّ الإسلام جاء لتحرير العبيد كلّيا، إلا أنّه استحدم أسلوب التّدرج، فجفف المنبع الرّئيسي وهو الحرب، فجعل للأسير خيارين (المن) أي الحريّة، (والفداء) أي تبادل الأسرى، ثمّ شرّع المكاتبة أي حق العبد في تحرير نفسه مقابل المال، وجعل العتق كفارة حتى في أضعف الأحكام كاليمين المرسلة، بجانب الأدبيات الواردة في الحث على تحرير العبيد، ولهذا يرى الكواكبي أنّ ما فعلته أروبا من منع تجارة الرّقيق يطابق أصل الإسلام حيث يقول: "الشّريعة الإسلاميّة وعلماؤها الأحرار يشكرون أروبا على منعها الرّقيق، وهم مسرورون من نجاح سعيها لتحقيقه، ويتمنون لو أنّ أروبا تهتدي إلى وسيلة تكون قاطعة مانعة بها يسد باب الرّقيق بالكليّة" [الأعمال الكاملة للكواكبي، ص: 554].

واشتهرت نظريّة التّدرج عند الكواكبي في عموم الفكر الإسلامي لاحقا إلى أن ظهرت النّظريّة القرآنيّة والّتي تفرق عن الأولى أنّها لا تعتد بزيادات الرّواة وتفسيراتهم، فهذه ترى أنّ القرآن من الابتداء منع الرّقيق من خلال سورة محمّد من حيث مصدر الرّقيق، كما أوجد أدبيات في الإسراع في تحريرهم كالمكاتبة وعتق رقبة من حيث الواقع الاجتماعيّ، وأمّا آيات ملك الأيمان فليست في الرّقيق، وفسّرت في ذلك لأغراض مجتمعيّة تبرر الواقع الاجتماعي لاحقا، لتتولد النّظريّة التّأريخيّة في نهايات العقد الثّاني من القرن العشرين، وتقترب من التّفسير التّأريخي عند اليهود والمسيحيين، فتجعل هذه النّصوص لظرفيّة زمنيّة سابقة لا علاقة لها بزمننا.

وما ذكرته من المرجعيّة اللّاهوتيّة للحرّية يقابلها المرجعيّة الإنسانيّة، فيرى هذا الفريق أنّ الحرّيّة بارتباطها بالذّات الوجوديّة عند الإنسان كينونة أو ولادة هي الحاكمة والمرشدة للهوّيات المجتمعيّة، وعليه يجب أن يدار الشّأن العام بقوانينه بما يحفظ حرّية هذه الذّات، وتحقيق قيمتها الإنسانيّة كانت مطلقة أو مقيدة وفق القانون المرتضى، والمنبثق من الشّعوب ذاتها، لا أن يكون رهين هوّيّات مجتمعيّة، أو تفاسير ماضويّة، ومع هذا رغم ما أحدثته هذه النّظريات الإنسانيّة من فارق كبير جدّا

في حقوق الإنسان، إلا أنّ بعضها استغل سلبيّا وفق عبوديّة أخرى، كما استغل النّازيون نظرية الإنسان الأعلى عند نيتشه [ت 1900م]، وهو ذاته ما استغله الغنوصيون من نظريّة الإنسان الكامل عند عبد الكريم الجيلي [ت 826هـ/1424م]، لهذا جميل أن يجعل اليوم العالمي لمكافحة الاتّجار بالبشر يوما لمراجعة العبوديّة في صورها الجديدة الّتي لن تتوقف ما لم يتشبع العالم بالحرّيّة الوجوديّة للإنسان.

سنّة الاقتضاء عند المفكر صادق جواد سليمان[1]

من السّنن الطّبيعيّة الّتي يجري عليها الاجتماع البشريّ عند المفكر صادق جواد سليمان [ت 2021م] سنّة الاقتضاء، ويربط سنّة الافتضاء بالماهيّة الإنسانيّة من جهة، وبالمشيئة الإلهيّة من جهة ثانية من خلال نظام الكون ذاته، وجريان سنن الطّبيعة، وفي هذا يتمثل التّرابط بين الإنسان والعالم الخارجي، "فطبيعة الإنسان من النّوع الّذي لا ينفصل عن فهمه الكلّي للوجود مهما كان الفهم، فيبقى متمّسكا بشكل أو بآخر بصلته الكونيّة، فهو كالغريق لو أعطيته قشة لظلّ متمسّكا بها".

والاقتضاء في اللّغة العربيّة من قضى ويأتي لمعاني عديدة مرجعها الحكم والفصل وانتهاء المراد، ولهذا منها مسألة القضاء والقدر، فالقدر تقدير الله لما سيحدث لعباده، والقضاء إسقاط أو تنفيذ لهذا القدر، أي تحقق وقوع ما حدث، ولهذا يرى صادق جواد "هناك ثلاث تفسيرات تفسّر ما يحدث في الحراك الإنسانيّ من أمور وأشياء، والأشياء ما لها طابع مادّي ملموس، والأمور ما تكمن في الإنسان من حسد أو بغض أو كراهيّة، ويدخل فيها أيضا النّبل والصّراحة مثلا، والأمور والأشياء تنتهي إلى نتائج، ولكن كيف تحصل؟".

يذكر ابتداء المذهب الأول وهو القائل إلى "أنّها قضاء وقدر، فكلّ ما حصل هو مقضي من قبل، فهو يحقق ما كان مكتوبا، فنقول مثلا لمن مات غرقا: هذا مكتوب، ونحكم بعد حدوث الحدث لا قبله".

والمذهب الثّاني هو التّفسير العبثي يرى أنّ هذا خبط شعواء، يحصل بدون حساب، كما يقول زهير بن أبي سلمى [ت 609م]:

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ من تُصب ..... تُمته ومن تخُطئ يُعمّر فيهرمِ".

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

والمذهب الثّالث أنّها "اقتضاءات وليس قضاء، بمعنى ما يحدث يحدثُ بمقدّمات توصله إلى الحدث أو الفعل، هذا الاقتضاء له طريقه ومساره، والإنسان نفسه عامل في هذا الاقتضاء، فالمريض مثلا يؤخذ إلى الطّبيب ثمّ يشفى، فالمرض نتيجة اقتضاء وكذا الشّفاء، وأمّا مشيئة الله فهي مودعة في السّنن الكونيّة، وليست منفصلة عنها، حيث يحدث في حينه بمسبباته عكس القضاء الّذي يفيد أنّه مقضي من سابق".

والجدل قديم جدّا بين بعض الفلاسفة والمتكلمين، والّذي يرتبط بعلم الله، هل هو عالم بذاته والكليات فقط، أم أيضا بالجزئيات، ونسب بعضهم علم الله بالكليات إلى ابن سينا [ت 427هـ]، ولكن صادق جواد لا يهمّه هذا الجانب، فهو على نهج الفلاسفة ما بعد عصر التّنوير إلى اليوم مدارهم هو الإنسان ذاته، والبحث عن الإنسان من خلال الطّبيعة، فهو جزء من هذه الطّبيعة لا ينفصل عنها، بمعنى هناك سنن طبيعيّة تجري على الإنسان تماما كما تجري على الطّبيعة، فالفلاسفة المسلمون اشتغلوا كثيرا بالجانب اللّاهوتي، وفي هذا يقول إنّ "الفلاسفة المسلمين، مثل ابن سينا [ت 427هـ] وابن رشد [ت 595هـ] وآخرين، لم يخرجوا عن الإطار اللّاهوتيّ، فالفلسفة تبحث عن نظم صالحة للمجتمع، وهذا الكلّ يتفق عليه، إلا أنّ الخلاف أنّ الفلسفة الإسلاميّة لم تخرج عن الإطار اللّاهوتيّ".

وبما أنّ هذا الإنسان هو جزء من هذه الطّبيعة، فهناك اقتضاءات فيها، "فلمّا تنظر إلى الظّواهر الطّبيعيّة مثلا النّهر يتكوّن من مياه في أعالي الجبال، ثمّ تسري المياه وتأخذ مسارها وتصبّ في البحر، فهناك شيء يحرّكها من أعلاها إلى أسفلها، وصخرة كبيرة في أعلى الجبل تحرّكها الرّياح فتسقط إلى أسفل، وتفاحة تنضج، ويضعف الغصن الماسك لها، بعد ذلك تسقط، هذه ظواهر متعددة، فهل هي متشتتة أم هناك ما يجمع بينها ويوحدها؟ الحقيقة كلّ هذه الظّواهر يجمعها مبدأ واحد، وهو الجاذبيّة، فالتّوحيد فيها جمع الشّتات في الظّواهر، ورجوعها إلى مبدأ موّحد واحد".

لهذا يرى أنّ الموحدات حتّى الآن أربعة، "وفي التّفكير العلمي يتكلّمون الآن عن أربع قوى تتحكم في الكون: الجاذبيّة، والكهرباء المغناطيس، وقوّة جامعة للأشياء، وقوّة مفككة للأشياء، لهذا العلم يحاول فهمها بشكل موحد، أيّ يعيد كلّ الظّواهر لفكرة موّحدة لها، وأنشتاين [ت 1955م] يشاع عنه في أواخر حياته كان يبحث عن معادلة واحدة الجامعة لجميع الحراك الكوني، ولم يهتد إليها، وظلّت إلى اليوم ينظر إليها بهذه الموّحدات الأربعة".

وما يحدث في الطّبيعة هو ذاته ما يحدث في عالم الإنسان لا ينفصل عنه، وليس عبثا، على مستوى الفرد أم على مستوى الحضارة وإدارة الشّأن العام، فالإيمان بالاقتضاء لا ينفصل عن هذا الكون، والمرتبط بالعلم أولا، ثمّ الخلق، فهو حالة منسجمة مع الذّات من جهة ومتصالحة معها، ومسالمة للآخر، ومنسجمة مع الكون.

وعلى مستوى الفرد يضرب مثلا "في السّابق أنّ الشّخص الآثم كشارب الخمر أنّ هذا من إرادته، لكن النّظرة اللّاحقة لا ترى هكذا، وإنّما هناك اقتضاءات أدّت إلى شربه للخمر، واقتضاءات تصعّب عليه تركه"، لهذا التّغيير يكون منطلقا من الذّات، وفق سببية أدّت إلى الحال، وسننيّة كليّة طبيعيّة تؤدي إليه.

وبما أنّ المدار هو الإنسان، فالتّغيير الحضاريّ لا يكون ابتداء عن طريق الحداثة الماديّة الطّبيعيّة، كالبنيان والطّرق والتّرف، ولكن يكون ابتداء من الطّبيعة المتمثلة في هذا الإنسان، بأخذ سنن الاقتضاء في التّقدّم، حيث يقول: "من بصائر القرآن المجيد بصيرة يجدر وعيها صميما بهذا الصّدد: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرّعد/ 11]، نقطة الاستيعاب هنا: أنّ منشأ التّغيير في الحال الإنساني، سلبا أو إيجابا، هو الإنسان نفسه: بمعنى أنّ ساحة التّغيير المنشود لا تكون ابتداء في عمارة الأرض أو التّرفه في المعاش بقدر ما تكون، كأمر أول وأساس، في استصلاح النّفس، وهو السّعي المستدام الذي عُرّف في الحكمة المتعاليّة الموروثة من

سائر الدّيانات والمدارس الفكريّة، بالجهاد الأكبر، باعتبار أنّ باستصلاح النّفس يُستصلح المحيط".

هذا الاقتضاء في التّغيير الحضاري لا ينطلق من الانتماءات والهوّيّات والثّقافات المفرقة والمتعددة، حيث يرى صادق جواد أنّها تنطلق من الماهيّة المنسجمة مع الطّبيعة، فلكي "تصحح كلّ أمّة وضعها وتقوّمَ مسارها" عليها أن تكون "متأصلة وعيّا في ماهيّتها الوجوديّة المشتركة بينها وسائر الأمم" حيث "تزداد كلّ أمّة سعة في المعرفة العلميّة، وتحليّا بمكارم الأخلاق، وبذا كلّه، تغدو مزدهرة في ذاتها، منيرة الدّرب لغيرها، متعاونة عالميّا في كلّ ما يصلح الإنسان ويسعده وينّميه، وحاضنةِ بالحسنى جميع الثّقافات والأديان والمذاهب والمواطن والأعراق".

لهذا يركز صادق جواد في أن يتمثل الاقتضاء ابتداء في الحضارة قبل الحداثة؛ لأنّ الحضارة لا تبدأ إلا من خلال الإنسان من جهة أي ماهيّته، ومن خلال الاجتهاد الإنساني وفق كليّات وسنن الطّبيعة، لا وفق الانتماءات والهوّيّات والماضي، "فلمّا تتكلّم عن الحضارة فأنت تتكلّم عن الإنسان في أكله وشربه ونومه، حيث يكون حاضرا تماما كليّا، والمجتمع الّذي ينمّي أفراده يكون لهم وعي تماما، وهذا الّذي يكوّن الحضارة، ولهذا الصّحيح أن نقول إنّ الحضارة لا تتحقق إلا بالأنسنة وليس الحداثة".

عيد القربان في الأديان الإبراهيميّة[1]

يقرر القرآن الكريم أنّه {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران/ 67]، في حين درج العديد من علماء الأديان في جعل اليهوديّة والنصّرانيّة أديانا إبراهيميّة، وفي نظري لا تعارض بينهما، فالآية تشير إلى أنّ صفتين لإبراهيم: الحنيفيّة والاستسلام لله، وبينهما ترابط، فالتّوحيد يؤدي إلى الاستسلام، وعلماء الأديان يقصدون بذلك من خلال نسب التّقابس أكثر منه نسب الجنس، بمعنى الكلّ ينتسب إلى إبراهيم ويعظّمه، وفي الوقت نفسه نجد هذه الأديان متقابسة من بعضها، إمّا بمعنى التّأثر الطّبيعيّ في الأفكار، أو بمعنى تطور النّبوات حسب الزّمكانيّة.

ويسميها بعضهم بالأديان التّوحيديّة بمعنى انتقال الجنس البشري من تعدد الآلهة إلى الإله الواحد، وهذا محل نظر؛ لأنّه نبوات وأديان سبقت إبراهيم كانت تعتقد بالواحدية، ولكن عاش إبراهيم في بيئة ترى تعدد تصوّر الآلهة من الشّمس والنّجوم والكواكب، ومن تجسيد الإله إلى أصنام وثنيّة، ولهذا بقت دعوته مجسّدَة في التّوراة من خلال الوصايا العشر الّتي أنزلت على موسى، وأقرت بنودها الكبرى جميع الأديان الإبراهيميّة: "لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما ممّا في السّماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهنّ ولا تعبدهنّ، لأنّي أنا الرّب إلهك إله غيور" [سفر الخروج، الإصحاح: 20، آية: 4].

وتسمّى أيضا بالأديان السّماويّة نسبة إلى السّمو والارتفاع، أو لأنّ تعاليمها علويّة ليست أرضيّة، أو لأنّ الله مصدر هذه الأديان وهو الرّب السّماوي أي المتعالي، بغض النّظر عن جدليّة المكان، وليس محلّ بيانه الآن.

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

ومن حيث العدد يرى علماء الأديان في الجملة أنّ الأديان الإبراهيميّة ثلاثة: اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، وذكر هذا من حيث التّأثير والانتشار، واليهوديّة وإن كانت ليست منتشرة كالمسيحيّة والإسلام باعتبارها ديانة ليست تبشيريّة، إلا أنّ تأثيرها قوي في الدّيانتين، وجميع الدّيانات اللّاحقة تقابست منها في اللّاهوت والتّفاسير وسير الأنبياء والشّرائع.

ولكن المتأمل في الأديان الإبراهيميّة أنّها أربعة أديان رئيسة، وثلاثة أديان تفرعت منها أو تأثرت بها، أمّا الأديان الأربعة: السّامرية واليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، وأمّا الثّلاثة: الصّابئة المندائيون والسّيخيّة والبهائيّة، هذا إذا اعتبرنا المومرمون مذهبا مسيحيّا، وليست ديانة منبثقة من المسيحيّة؛ لأنّ لهم كتابا مقدّسا وهو كتاب مورمون الشّهادة الثّانية ليسوع المسيح، وكنيستهم تسمّى بكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، وأسّسها جوزيف سميث [ت 1844م]، فقد أتى إليه الوحي، ودلّه على هذه ألواح كتاب المورمون، وهي ألواح قديمة قام بترجمتها إلى الإنجليزيّة.

والبعض يرى السّامريّة واليهوديّة ديانة واحدة، وجعل العقاد [ت 1964م] في كتابه "حياة المسيح" السّامريّة مذهبا يهوديّا، وهذا خطأ معرفي ينكره السّامريون واليهود معا، والمشترك بين السّامريين واليهود أربعة: جنس بني إسرائيل، وخاتميّة نبوة موسى، والإيمان بالأسفار الخمسة من التّوراة، والاهتمام بشريعة موسى الأولى، والسّامريون يرون أنّهم الوريث الحقيقي لبني إسرائيل، واليهود خليط من أجناس مختلفة بعد السّبي البابلي، ومصطلحي السّامريّة نسبة إلى السّامرة وهو متأخر، وكذلك اليهوديّة نسبة إلى مملكة يهوذا على الأشهر وهو متأخر، أي بعد انقسام مملكة إسرائيل الشّماليّة والجنوبيّة، ثمّ السّبي البابلي للجنوبيّة، وبعد مائتين سنة كان السّبيّ الأشوري للشّماليّة، فأدخل اليهود نصوصا وشرائع جديدة (التّلمود) ممّا جعلهم ديانة مستقلة.

وأمّا المسيحيّة فيسميها اليهود والمسلمون بالنّصرانيّة، نسبة على الأشهر إلى مدينة النّاصرة، وفيها بشّر الملاك مريم بالحمل وولادة المسيح عيسى (عليه السّلام)، إلا أنّ المسيحيين في الجملة يرفضون هذا المصطلح، ويرون أنّ فرقة النّصرانيّة كانت موجودة بعد المسيح، وتشترط للدّخول في المسيحيّة لابدّ من الدّخول في اليهوديّة أولا قبل التّعميد، ثمّ الدّخول في المسيحيّة، وناظرهم بولس وبرنابا في مجمع أورشليم سنة 50 و51م.

وأمّا الصّابئة المندائيون فيقتربون من المسيحيّة من جهة التّعميد، كما يقتربون من الشّريعة اليهوديّة، وينتسبون إلى يحيى ابن زكريا النّبيّ، إلا أنّهم يرون أنّ صحفهم قديمة ترجع إلى آدم وشيث ونحوهم، وهم موحدون، وحدث خلط بينهم وبين صابئة حران الّذين يعبدون الكواكب، ولعلّ في نظري صابئة حران سامريون، والسّامريون لا يعبدون الكواكب، ولكن يهتمون بعلم النّجوم والتّنجيم والأفلاك منذ فترة قديمة جدّا.

وأمّا السّيخيّة فليست ديانة إبراهيميّة، وأصلها ديانة هندوسيّة، وولدت من رحمها إلا أنّ الغورو ناناك [ت 1539م] وهو الغورو الأول تأثر بالصّوفيّة المسلمين الهنود وعلى رأسهم تراث بابا فريد الدّين مسعود [ت 1265م]، وهو من كبار المتصوّفة المسلمين الهنود في الطّريقة الحبشيّة، لهذا كانت السّيخيّة خليطا من الإسلام والمسيحيّة.

وأمّا البهائيّة كما أشرت في كتابي إضاءة قلم "ترجع في أصلها إلى الشّيخيّة عند الشّيعة الإماميّة، وتأسيسها يعود إلى حسين علي النّوريّ الملقب ببهاء الله [ت 1892م] في إيران، وهو الّذي آمن بدعوة الباب عليّ محمّد الشّيرازيّ [ت 1850م]، وأنّ حسين النّوري هو من بشره الباب بأنّه من يظهره الله، وموعود الظّهورات السّابقة، وأتى بكتاب الأقدس، وفيه نسخ للعديد من الأحكام القرآنيّة كالصّلاة والصّيام والميراث، وهذا الكتاب هو المقدّس عند البهائيّة، ولهم كتاب آخر له قيمته الدّينيّة وهو الإيقان

والوديان السّبعة، وجاء من بعده وواصل مسيرته عبد البهاء عباس أفنديّ [ت 1921م]"، والبعض يعتبر البهائيّة مذهبا إسلاميّا عرفانيّا كالدّروز المنبثقة من الشّيعة الإسماعيليّة، إلا أنّ البهائيين يعتبرون أنفسهم ديانة مستقلة.

وعموما لمّا نأتي إلى عيد القربان نجده ملاصقا للدّيانات الإبراهيميّة الأربعة: السّامرية واليهوديّة والمسيحيّة والإسلام بصورة واضحة، خلاف الدّيانات الأخرى بقت معها بشكل رمزي بعيد لا أكثر.

والقربان كما جاء في المعجم الوسيط، مادّة قرب: "كلّ ما يتقرب به إلى الله عزّ وجلّ من ذبيحة وغيرها"، وفي السّامريّة مرتبط بعيد الفصح، وهو ذكرى نجاة موسى من فرعون، وفي التّوراة السّامريّة، سفر الخروج، الإصحاح: 12، آية 1- 6: "وقال الله لموسى وهارون في أرض مصر قولا: الشّهر هذا لكم أجل الشّهور، أول هو لكم لشهور السّنة، خاطبوا الآن كلّ جماعة بني إسرائيل قولا: في عاشر من الشّهر هذا أن يأخذوا لهم كل امرئ رأسا للبيت، فإن يكمل البيت عن قدر الرّأس فليأخذ هو وساكنه القريب إلى بيته بقسط بقسط النّفوس، كلّ امرئ بحسب أكله توزعون على الرّأس، رأسا كاملا ذكرا ابن سنة، يكون لكم من الحملان ومن الماعو تأخذون، ويكون لكم حفظا إلى أربعة عشر يوما من الشّهر هذا"، وعليه الذّبح حمل ابن سنة يكون خاليا من العيوب، ويصاحبه الحج إلى جبل جرزيم في شكيم، أي مدينة نابلس حاليا في فلسطين.

وأمّا عند اليهود فمثل الّذي عند السّامريين، ويكون حملا ابن سنة خاليا من العيوب، ويصاحبه الحج إلى جبل صهيون حيث الهيكل، أو على الأقل حائط المبكى الّذي بني في عهد هيردوس الرّوماني [ت 4 ق م]، وبقي حتّى الآن بعد تدمير الهيكل كما يروون.

وأمّا ما جاء في رواية ابن عباس "أنّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال لهم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه، فقال الرّسول: نحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه"، فهذا يصادف يوم الفصح، ويوم الفصح يوم عيد لا يصومه السّامريون ولا اليهود، وفي الرّواية خطأ تأريخيّ بينت سببه في الرّحلة الظّفاريّة فليرجع إليه، وإنّما الرّواية تصادف يوم الغفران، "بعدما جسّدوا (يهوه) عجلا جسدا له خوار، حيث أضلّهم السّامريّ، لمّا كان موسى في الجبل، كما في سفر الخروج، الأصحاح: 32".

وأمّا المسيحيون فصادف القبض على المسيح حسب الأناجيل عندهم أيام الفصح، وكان الوالي بيلاطس في عيد الفصح يطلق أسيرا واحدا كما جاء في إنجيل متّى، الإصحاح: 27: "وكان الوالي معتادا في العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوه، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمّى باراباس، ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الّذي يدعى المسيح، لأنّه علم أنّهم أسلموه حسدا .... فقالوا باراباس ..... فقال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الّذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأيّ شر عمل، قال له الجميع: ليصلب"، فكان المسيح قربانا ضحي به في يوم الفصح، ولهذا يرى المسيحيون أنّ بقربان المسيح يكون الخلاص، وبه تحوّل القربان من صورة حقيقيّة إلى صورة رمزيّة، فأصبح سرّا من أسرار الكنيسة السّبعة كما عند الأرثذوكس والكاثوليك، ومن سري التّعميد والقربان كما عند البروتستانت، والقربان هنا الخبز مع الخمر في قدّاس الأحد، ويحتفلون بعيد الفصح مع عيد القيامة، أي بعد قيام المسيح بعد ثلاثة أيام، وفيه تجسيد لقربان المسيح وخلاصه للبشريّة، ويسبقه كما عند الأرثذوكس الصّوم الكبير.

أمّا عند المسلمين فمع تشابه الشّريعة الإسلاميّة مع الشّريعة السّامريّة واليهوديّة إلا أنّهم ربطوا القربان بإبراهيم عليه السّلام، عندما أراد ذبح ابنه إسماعيل على المشهور، وفي هذه المسألة كما يقول ابن تيميّة [ت 728هـ/ 1328م] في الفتاوى [204/4] "مذهبان مشهوران للعلماء، وكل منهما مذكور عن طائفة من السّلف، وذكر أبو يعلى في ذلك روايتين عن أحمد، ونصرَ أنّه إسحاق، اتّباعا لأبي بكر عبد العزيز، وأبو بكر اتّبع محمّد بن جرير، ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنّ أصحاب أحمد ينصرون أنّه إسحاق، وإنّما ينصره هذان، ومن اتّبعهما، ويحكى ذلك عن مالك نفسه، لكن خالفه طائفة من أصحابه"، إلا أنّ المشهور كما أسلفنا عند المسلمين خلافا للسّامريين واليهود والمسيحيين هو إسماعيل.

ولهذا المسلمون يجسّدون فداء إبراهيم بالهدي للقارن لمن ساق ذبيحته، والمتمتع في الحج، وبالأضاحي استحبابا – كما تحدّثنا في المقال السّابق -، وإن لم يوجد ذكر للأضاحي في القرآن، ولا يوجد ربط بين فداء إبراهيم بكبش عظيم وبين الهدي، وإنّما فهومات من الخارج، ومع هذا يكون الهدي والأضاحي في اليوم العاشر من ذي الحجّة إلى اليوم الرّابع عشر، ويكون حمل سنة خال من العيوب، وكما أجازوا أن يكون ضأنا أكمل ستة أشهر، أو يشترك سبعة في بقرة أكملت سنتين، أو أبل أكمل خمس سنين، ويسمون يوم القربان بعيد الأضحى أي من التّضحية، أو العيد الكبير بعد عيد الفطر الصّغير، أو عيد الحج لأنّه يصادف حج العام، ويكون في الهدي بعد وقفة عرفة نسبة إلى جبل عرفة والإفاضة إلى مزدلفة ورمي الجمرة الكبرى في منطقة منى.

وخلاصة ما سبق أنّ الأعياد الثّلاثة: الفصح والقيامة والأضحى، هي عيد القربان في الأديان الإبراهيميّة الأربعة، بقت طقسا حسّيّا ممارسا عند السّامريين واليهود والمسلمين، ورمزا ممارسا عند المسيحيين.

في ذكرى رحيل المفكر صادق سليمان جواد[1]

فجعت صباح اليوم الثّلاثاء، السّابع والعشرين من شهر يوليو 2021م بفراق المفكر العرفانيّ الجليل صادق سليمان جواد، ورجوت أن يكون إشاعة عابرة لا أكثر، ولكنّها شمعة من العلم والمعرفة انطفأت، ونجم من التّأمل والفلسفة أفل، نعم، انطفأت حسّا، وأفل ظاهرا، ولكن روحه ستبقى معنا دوما، فهي إرادة الله، وحكمه على كلّ حيّ.

لم أفقه رسالته قبل الأخيرة لي إلا الآن، وهو يقول لي في رسالته قبل شهر: "معظم الوقت أقضيه في خلوة مع النّفس، بين تأمل وقراءة وكتابة ومتابعة للأحداث، أحيانا يخطر أنني قد حظيت بعناية كونيّة تتيح لي التّمهل في وتيرة الحياة، وتفسح لي فرصة تعريض النّظر ما أمكن في طبيعة هذا الوجود، عبر هذه المرحلة الأخيرة قبل الوفاة".

فلم أفقه عبارته "عبر هذه المرحلة الأخيرة قبل الوفاة" إلا الآن، وقد أرسل لي قبل أسبوعين يطلب منّي أن أبلغ الأصدقاء السّلام ووافر المحبّة، وهذه آخر ما أرسل لي، وقبل سفره قال لي: "أريد أن أزور وأسلم بعد رجوعي من الهند على جميع الأصدقاء والكتّاب في عمان"، وكنّا بدأنا بجولة إلى الدّاخليّة والظّاهرة والبريمي والباطنة، وكان يقول لي وأنا أصرف عبارته بمعناها: "إنني أتحدّث مع الطّبيعة، مررت على هذه سابقا، ولكنّه حديثي الأخير معها".

لم أكن أفقه عباراته، ولا أريد الالتفات إليها، ففقده ليس سهلا، وقبل يومين حدث التّأكيد مع النّاشر لطباعة أول أصدارين له: الإنسان والماهيّة: محاورات في الدّين والفلسفة والشّأن الإنساني مع المفكر صادق جواد سليمان، وكتاب سلامة الفكر بسلامة منهج التّفكير: مقالات صادق جواد، وكان لنا أمل أن يكون رجوعه مع الاحتفاء بتدشين كتابيه، ولكن أمر الله سبق، ولا رادّ لأمره.

---

[1] نشرت المقالة في جريدة الرّؤية العمانيّة، وسبق وضع الشّهادة من المقالة في الجزء التّاسع والعشرين من الأعمال الكاملة.

وقد قلت قبل فترة بسيطة في شهادتي له في برنامج "كتاب مفتوح من تنظيم مركز حدائق الفكر قلت: "صادق جواد أول ما عرفته في ساحة الشّعب ونحن في نهاية العقد الأول لهذه الذّكرى الاستثنائيّة في الوعي العماني، وبُعيْدها حضرتُ مناسبتين له مستمعا، وفي عام 2017م كانت محاضرته في الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء حول: كيف تضمن سلامة فكرك، وحينها سألت سؤالا في نهاية الأمسية، ومر الزّمان حتى فبراير 2020م، زرته في بيته في روي لأسجل أول حلقة معه من عشر حلقات لمشروع كتابي، فأول ما شاهدني: قال أنت الّذي سألتي في الجمعيّة العمانيّة، قلت: نعم.

عموما بعد عام من التّواصل مع هذا المفكر، وجدته حالة استثنائيّة، ووجدت العديد من أجوبة التّساؤلات الّتي بحثت عنها بعيدا، ووصلت حتى أمريكا حيث سافرت لأجلها؛ إلا أنني وجدت أكثر الأجوبة عند شخص لا يبعد عني سكنا نصف ساعة!!!

وجدت هذا الرّجل الّذي عاش الهند بتناقضاتها، والغرب بصراعه وتياراته، وبلاد فارس والعراق والخليج والوطن العربي بآماله وتطلعاته، وجدته يعيش في عالم الإنسان بمعنى الماهيّة وليس بمعنى الهوّيّات الضّيقة، فقد تخلّص من العالم الضّيق، فيرى الإنسان كإنسان.

هذا الرّجل لم أره في فكره مع البعد الإنساني إلا في حالتين: تنظيم الفكرة ووضوحها مع الصّدق فيها، في البداية كانت إجاباته دبلوماسيّة معي، ولعل هيئتي الدّينيّة جعلته ينظر إلي من هذه الزّاوية، إلا أنّه وبعد عشرات اللّقاءات في عام واحد، مع صراحته أخيرا إلا أنّه لم يخرج عن الصّدق في الفكرة، ووجدت صادق جواد معي هو نفسه مع غيري، لا يتلّون في أفكاره، مع مراعاته لظرف السّائل ومكنته.

سألته متى بدأت تنظر من زاوية مختلفة؟ قال لي: "رأيت نموذجا مختلفا من المعرفة، وهو نموذج الطّبيب توماس، والّذي أتى إلى مطرح وأنشأ مستشفى الرّحمة، فهو

شخص بسيط جدّا، إلا أنّه يقوم بعمل عظيم جدّا، بيد أنّ منهجه يختلف عن المنهج الّذي نشأنا عليه، حيث نشأت في وسط عالم محتشم يتصوّر أنّه يملك مقاليد الحكمة والمعرفة، وفي الوقت نفسه أرى هذا الشّخص البسيط من عالم آخر غير عالمنا، فحدث لدي تساؤل في نفسي وأنا صغير في السّن لا يتجاوز الثّانية عشرة من عمري: أين توجد المعرفة الحقيقيّة؟ ظلّ هذا التّساؤل يصاحبني حتى حُسِم، ولمّا حُسِمَ كان لصالح العلم، وليس لصالح العقائد أو الفقه".

وبعد تسجيل عشر حلقات يمكنني أن ألخص المدار الّذي يدور عليه صادق جواد في المعرفة:

أولا: أن تنظر إلى العالم من الخارج، وأن تنطلق من الماهيّة فالهوّيّة، وأن نحاول الرّقي من البشريّة إلى الإنسانيّة كلّما اقتربنا من الماهيّة.

ثانيا: لا تخاصم الماضي وتراثه، ولا الأديان وطقوسها، ولكن عليك أن تعيش مع الاجتهاد الإنساني في عصرك، وأن تساهم في تطويره ورقيه، لا أن تكون نسخة من الماضي.

ثالثا: أن تتعامل مع العالم من خلال المبادئ الأربعة: العدل والكرامة الإنسانيّة والمساواة والشّورى، فهي مرتبطة بالماهيّة، وليست مضافة من الخارج كالقيم، ولا متعلّقة بالوجدان كالأخلاق، وهي الأساس لبناء الدّول، وتنمية الثّقافات، ورقي الحضارات.

رابعا: الاعتناء بثلاثة أمور أساسيّة قبل الاعتناء بالأمور الكليّة والسّياسيّة، ابتداء أن يصون نفسه أي صحة بدنه، ثمّ أن يوسّع من معارفه، بالاستعانة من أفكار الآخرين وبحوثهم، والثّالث الاستقامة.

ولقد لخّص صادق جواد رسالته في الحياة بقوله: "أرجو أيضا أن يكون لكلّ منّا دور في تفعيل هذا التّوجه القائم على تأصيل ثابت إنسانيّا، وتفرّع متسام ثقافيّا، لأجل تحقق حداثيّ حضاريّ، قوميّ إنسانيّ، وطنيّ عالميّ، في ترادف واتّساق... هكذا إلى أن تحين الآجال، فيرتحل كلّ منّا برضا واطمئنان، مغتبطا أنّه ساهم، ولو بأقل القليل، في جعل تجربة العيش على هذا الكوكب، مع تعقيداتها، أيسر وأطيب وأثرى للآتية من الأجيال"".

نعم "إلى أن تحين الآجال، فيرتحل كلّ منّا برضا واطمئنان"، رحل عنّا برضا واطمئنان، صفاء الرّوح، مع حسن العمل، فرحم الله صادق جواد، وعزاؤنا لأقربائه وأولاده ومحبّيه وللعالم العربي والإسلامي والإنساني، والحمد لله على كلّ حال.

ليف تولستوي وسؤال جوهر الدّين: المساواة أنموذجا[1]

ليف تولستوي [ت 1910م] مصلح وأديب مسيحي روسي، أنهى مقالته الطّويلة: ما الدّين؟ وأين يكمن جوهره؟ عام 1902م، والّتي طبعت ضمن نصّ في كتاب: في الدّين والعقل والفلسفة، وتولستوي لم يخرج من الإطار اللّاهوتي، ولكنّه لم يفصل الجانب الإنساني عن هذه العلاقة الّتي يسميها بين الإنسان واللّامتناهي من جهة، وبين الإنسان والعالم من جهة ثانية، إلا أنّه يرى ضرورة حضور العقل في هذه العلاقة، وحضوره يجمع بين تفعيل الدّين في خدمة البشريّة جميعا في ضوء مبدأ المساوة من جهة، وفي تطوير هذا الدّين ذاته بما توصل إليه العلم من جهة ثانيّة بما يحقق مبدأ المساواة والوحدة بين البشريّة.

فيرى تولستوي أنّ "العقل هو القوّة الّتي تمكّن البشر من تحديد علاقتهم بالعالم، وكما أنّ البشر جميعهم في مصاف واحد من ناحية وجود علاقة تربطهم بالعالم، فكذلك الدّين الّذي يؤسس لهذه العلاقة يوحّد البشر، وتؤدي هذه الوحدة إلى رخاء البشر روحيّا وماديّا"، لهذا "إذا حاد العقل عن دوره الطّبيعيّ في تأسيس العلاقة مع الله، والنّشاط الّذي يتلاءم مع هذه العلاقة، لا يوجه البشر فقط لخدمة أهوائهم، ولا حتّى حرب شريرة بين البشر بعضهم وبعض، بل يبرر هذه الحياة الشّريرة المتناقضة لسمات ودور الإنسان، فتحدث هذه المجاعات المريعة الّتي يعاني منها الآن معظم البشر، وتصبح العودة إلى هذه الحياة العاقلة والصّالحة مستحيلة تقريبا".

فالدّين عنده "هو الّذي توافق مع العقل ومعرفة الإنسان، ويحدّد علاقته بالحياة اللّانهائيّة من حوله"، وبالتّالي التّطور ملازم لأيّ دين، "فليس الدّين إيمانا يتأسس مرة واحدة في العمر كاملا، كالخرافات والصّلوات والطّقوس العبثيّة الشّهيرة .... بل يشكل الدّين علاقة الإنسان بالله القابلة للتّطوير بشكل يتّفق مع العقل ومعارف الإنسان، وهذه العلاقة من شأنها أن تحرك الإنسانيّة للأمام ....".

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

لهذا يرى أنّ فكرة التّطور في الأديان يلزم منها تعدد الأديان، وهو شكل طبيعيّ جدّا، ويعلل ذلك "لأنّ التّعبير عن طبيعة العلاقة الّتي تربط بين الإنسان واللّانهائي – الله أو الآلهة – مختلفة من زمان لآخر، وحسب درجة تطوّر الشّعوب المختلفة"، وهنا يضرب مثلا أنّ "في الدّين البرهمي العميق .... بمجرد أن شاخ وبدأ في الذّبول مبتعدا عن فكرته الرّئيسة، متحوّلا إلى عقائد متحجرة، ظهرت من إحدى الجوانب حركة إعادة بعث للبرهميّة، ومن ناحية أخرى تعاليم البوذيّة الّتي عملت على تقدّم فهم الإنسانيّة في علاقتها باللّانهائيّ، نفس الانحطاط حدث مع الأديان اليونانيّة والرّومانيّة، والّذي تلاه ظهور المسيحيّة، الأمر ذاته مع المسيحيّة الكنسيّة والّتي انحطت في بيزنطة إلى مستوى الوثنيّة وتعدد الآلهة، بينما على الجانب الآخر من هذه المسيحيّة المشوهة ظهرت من جانب الحركة البولسيّة، ومن جانب آخر ظهر الإسلام بعقيدته التّوحيديّة الصّارمة ردّا على عقيدة التّثليث وعبادة العذراء، الأمر ذاته مع مسيحيّة القرون الوسطى البابويّة، وردّا عليها ظهرت تعاليم الإصلاح الدّيني".

بيد أنّ دخول السّلطة، والمصالح النّفعيّة كما يرى تولستوي أحدثت انحرافا في الدّين، وبالتّالي تولدت تحريفات داخليّة مضافة إلى النّص الديني نفسه، فكل دين يولد بسيطا ثم يتضخم تأريخيّا، وهذا التّضخم يتزاوج مع المصالح النّفعيّة لفئة من النّاس [سياسيّا، دينيّا، اجتماعيّا]، فيكون العقل خادما في تفعيل هذه النّفعيّة باسم العلم الدّيني، لا أن يكون خادما للدّين الحقيقي لا التّأريخي، وهذا لا يكمن إلا بالعودة من خلال العلاقة بين الإنسان واللّامتناهي شريطة أن لا يخرج إلا من خلال الوحدة بين البشر جميعا، فكلّ دين "يؤسس لعلاقة بين الإنسان واللّانهائي، وهي علاقة واحدة لكلّ البشر .... لذا يحوي كلّ دين مفهوم مساواة جميع البشر أمام من يدعونه إلها"، فلهذا يرى تولستوي أنّه لا يمكن فصل هذه العلاقة عن مبدأ المساواة، وهي الّتي جاءت الأديان لتقريرها.

ومن خلال هذا المبدأ يظهر مدى التّحريف الّذي أضيف إلى هذه الأديان والابتعاد عن جوهره، فهي في الابتداء جاءت مؤكدة أنّ "مفهوم مساواة البشر يشكّل سمة رئيسة في كلّ دين"، بيد أنّه يطرح تساؤلا تعجبيّا من خلال القراءة التّأريخيّة لكلّ دين، فيخلص "في الواقع لم تحدث في أيّ وقت، وفي أيّ مكان مساواة حقيقيّة بين البشر، وهي ليست موجودة الآن أيضا"، فهل الأديان فشلت في تحقيق هذه المساواة، أو انحراف حدث في ذاتها؟ فالأديان أفقيّا من مبادئها الواضحة المساواة، وجاءت لتحقيقها بين البشر، إلا أنّ هذه القيمة انحرفت لسببين، الأول: تّأثير النّفعية البرجماتيّة على الدّين نفسه لكن ليس باسم المجموعة، وإنّما باسم فئة منتفعة من هذا الدّين ذاته: " فكلما يظهر تعليم ديني جديد يحوي في تعاليمه المساواة بين البشر، يحدث مثلما يحدث مع النّاس في الواقع، يحاول المنتفعون من عدم مساواة البشر أن يخفوا هذه [القيم] الرّئيسة للتّعليم الدّيني بتشويه أصل هذا التّعليم .... ينتج فقط بسبب أنّ المستفيدين من لا مساواة بين البشر، الموجودين في السّلطة والأغنياء ... وحتّى يبرروا موقفهم أمام أنفسهم دون أن يغيروا من أوضاعهم، يحاولون بكل ما لديهم من قوّة أن يلصقوا بالدّين تعليما يمكن أن تكون فيه عدم المساواة ممكنا، وينتج عن ذلك حتما أنّ دينا يتم تحريفه يمكن لمن يتسلّط فيه على الآخرين أن يجد لنفسه مبررا، ينتقل إلى العامة أيضا، ويوحي إليهم بأنّ خضوعهم لمن يتسلطون عليهم أمر من متطلبات الدّين الأساسيّة".

والسّبب الثّاني أنّ هذه القيمة تغيّب مقابل طقوس وخرافات فتغيب أدبيات القيمة ذاتها "مثل: عامل الآخرين كما تحبّ أن يعاملوك .... لا تستغل احتياجات إخوتك من أجل تلبية رغباتك أو رغبات آخرين، أن تكون موحية بقوّة وملزمة للبشر، مثل الإيمان بقداسة القربان، والأيقونات عند النّاس ...".

ولكون تولستوي مسيحيّا، ويناقش المجتمع المسيحيّ، نجده يناقش مبدأ المساواة في المسيحيّة، وكيف استطاعوا تحريفه في الدّين المسيحيّ ذاته منذ فترة مبكرة

جدّا، حيث يرى أنّ "المسيحيّة قد أعلنت أنّ مساواة البشر لا تنتج فقط عن علاقة البشر بالله اللّانهائي، بل إنّها تعليم رئيس عن أخوّة البشر جميعا، كما أنّ البشر جميعا أبناء الله، لذلك يبدو من المستحيل تحريف المسيحيّة كي نزيل حالة مساواة البشر بينهم وبين أنفسهم"، وهذا من قراءته لأصل النّص المسيحيّ، إلا أنّ التّأريخ كما يقول أثبت العكس، فيدرك أنّ "العقل الإنساني مراوغ، وبلا وعي أو بنصف وعي تمّ ابتكار طريقة جديد للمراوغة ... كي تجعل من التّحذيرات الإنجيليّة، والتّصريحات الواضحة عن مساواة كافّة البشر غير حقيقيّة، هذا العمل البارع بتأسيس [العصمة] ليس فط لكتابات معينة، بل لبشر معينيين أيضا، تعيّنهم الكنيسة، ولديهم الحق في نقل هذه العصمة لأناس آخرين يقومون بدورهم ...]، وهكذا عن طريق هذا الكهنوت انتقلت العصمة من النّص إلى بشر مثلنا، وبهم غلبت النّفعيّة والتّحريف في صرف هذه المساواة الّتي جاء بها حقيقة الدّين المسيحيّ.

ومع بداية عصر التّنوير، وظهور العلمويّة في الغرب، التفت الفلاسفة والعلمويون إلى مبدأ المساوة من جديد في ظلّه النّاسوتي الشّامل عند الفلاسفة الشّموليين، أو النّاسوتي الخاضع للعلمويّة عند التّجريبيين والعلمويين، وهؤلاء أدركوا أن الدّين بالكليّة ضدّ المساواة، وقسّموا العصور – كما يرى تولستوي – إلى ثلاثة عصور: العصر الدّيني، والعصر الميتافيزيقي، وعصر العلم القطعيّ، ونحن نعيش العصر الثّالث، لهذا رأى العلمويون "أنّ احتياجنا إلى الإيمان بالدّين قد انهار"، وأنّ الدّين "صار عنصرا ضارا بحياة المجتمع"، لهذا يرى تولستوي أنّ سبب هذه الرّؤية ليس الدّين ذاته، بل أنّ السّبب الحقيقي أنّه "في كافة المجتمعات الإنسانيّة وفي فترات معينة من حياة تلك المجتمعات دائما ما حلّت بعض الأوقات انحرف فيها الدّين عن معناه الحقيقي، ثمّ أخذ هذا الانحراف يزيد أكثر فأكثر، حتّى فقد الدّين معناه الرّئيس، وحين تحوّل إلى صيغ متحجرة أخذ يذبل، ومن ثم أخذ تأثيره على حياة النّاس يضعف أكثر فأكثر"، وقد قدّم فلسفته في هذه من خلال العلاقة بالإنسان مع

اللّامتناهي في ضوء فلسفة الدّين والأخلاق والعلم، ويصعب هنا بيانه والإسهاب فيه لضيق المقالة.

إلا أنّه كما جملة يرى أنّ الانحراف في تحقيق مبدأ المساوة لم يقتصر عند الدّين نفسه؛ بل حتّى في ضوء الدّول المبنيّة على دساتير الأصل حافظة لقيمة هذه المساواة، فيجد التّناقض في التّطبيق ليس تحت مظلّة الدّين؛ بل حتّى تحت مظلّة الدّولة ذاتها، فأمّا عن الأول فيرى تولستوي "كما أنّ كافّة البشر إخوة ومتساوون؛ فعلى كلّ منهم أن يتصرف مع الآخرين كما يريد الآخرون أن يتصرفوا معه، لذا فالأمر كلّه يعتمد على ترك القانون الدّيني الكاذب، ولكن الأمر لا يقتصر على أنّ مثقفي العالم المسيحي لم يفعلوا ذلك؛ بل على النّقيض من ذلك، يحاولون أيضا إخفاء إمكانيّة هذا الحل عن النّاس، ومن أجل القيم بذلك يقومون بكلّ هذه الجهود العقليّة البطّالة الّتي يطلقون عليها اسم علم" أي العلم الدّيني.

وأمّا عن الدّولة فيرى أنّهم "يكتبون مئات الكتب عن المبادئ المختلفة: المدنيّة، والجنائيّة، الشّرطيّة، والكنسيّة، والماليّة، الخ، ويتحدّثون ويتجادلون وهم على ثقة كاملة أنّ ما يفعلونه مفيد ... ولكن التّساؤل عن سبب إمكانيّة إدانة وإجبار بشر متساويين بالطّبيعة، وسلبهم وإعدامهم، لا يجيبون عنه أبدا ... هذا العنف لا يقوم به النّاس، بل كائن مجرد يدعى الدّولة".

هذه المقاربة الّتي قدّمها تولستوي قبل مائة سنة ينطلق من خلاصة الفكر الإنساني أنّ فهم الأديان وتحليلها لا ينطلق من الدّين التّأريخي، بل من القيم الكبرى المطلقة بين البشر جميعا والمرتبطة بالإنسان، والمحددة علاقتها باللّامتناهي، وهي الّتي جاءت الأديان الحقيقيّة في بساطتها لتفعيلها، فكلما اقتربنا منها لن نجد فارقا كبيرا بينها وبين العلم والفلسفة، بل تساهم بشكل كبير في رقي المجتمع الإنسانيّ أخلاقيّا وروحيّا.

هوّيّة الدّولة القطريّة وتقاطعها مع هوّيّة الهوّيّة[1]

تدور الدّولة القطريّة اليوم ما بين مواثيق دوليّة واسعة على رأسها المواثيق المندرجة تحت مظلّة "حقوق الإنسان"، والحقوق الفرديّة، وحقوق الأقليّات، وما بين مُشكّلات الدّولة داخليّا تحت مظلّة المواطنة، فهناك انتماء للدّولة ذاتها "المواطنة"، وهي الهوّيّة الكبرى في الدّولة القطريّة، وهناك انتماءات "هوّيّات" أدنى في تشكلات دينيّة أو مذهبيّة أو عرقيّة أو لغويّة أو مناطقيّة.

فجدليّة هوّيّة الشّأن العام، والجوانب الإجرائيّة فيه، ومرتكزات نظام الدّولة ودستورها من حيث الهوّيّة والانتماء محل جدل في الدّول المدنيّة الّتي لم تحدد مسارها، أو تحاول الموائمة بين المتطلبات الحقوقيّة الخارجيّة، وبين تشكلات الهوّيّات الدّاخليّة، خصوصا في الدّول الّتي يغلب عليها هوّيّة معينة (دين، مذهب، عرق)، أو يغلب عليها خط دينيّ أو اجتماعيّ معين لا تستطيع الانفكاك عنه.

ويزداد التّناقض عندما تجد الدّولة نفسها أمام نصوص تأريخيّة أصبحت مقدّسة فوق النّص الأول، وتوغلت تأريخيّا في العديد من قضايا الحياة، ومنها ما يتعلق بشأن الدّولة ذاتها، وما يتعلق بالعديد من إجراءات الشّأن العام، كما تجد الدّولة نفسها أمام رؤية توسّع من دائرة المطلق، وتضيّق من دائرة الظّرفيّ النّسبي، وتقف عند حرفيّة النّصوص، بعيدا عن مآلاتها وروحها، وتنظر إلى الآخر من الدّائرة الضّيقة، وتتعامل معه وفق الدّائرة ذاتها.

فما مرجعيّة هوّيّة الدّولة؟ هذه من أكثر الجدليات التّساؤليّة في الدّولة المدنيّة في الوطن العربي خصوصا، أمام عالم إنسانيّ منفتح بشكل أكبر أمام الآخر، ويقترب من القيم الكبرى، وأمام عقل لا يزال يراوح مكانه، وينظر إلى هذا الانفتاح بتخوّف شديد، وحذر مبالغ فيه.

---

[1] نشرت المقالة في جريدة عمان.

لهذا تجد هذه الدّول قل ما تحدد مسارها للإجابة عن هذا التّساؤل، فهل هوّيّتها إنسانيّة مطلقة، أم هي مندرجة تحت هوّيّة الدّين السّائد في الدّولة القطريّة، ومن ثم المذهب السّائد [مذهب الحاكم أو الأغلبيّة] المتكأ عليه برؤيته التّأريخيّة، لهذا نجد دساتير الدّول هذه متناقضة، ورؤيتها ليست واضحة، مع إقرارها بمرجعيّة دين ما، وفق مذهب ما، إلا أنّها في تطبيقاتها القانونيّة نجدها منفتحة في جوانب أخرى على الشّأن الإنساني لمواثيق مرهونة بها، أكثر من كونها رؤية نبتت من الدّاخل.

فهل المرجعيّة الإنسانيّة تتعارض مع مرجعيّة هوّيّة الهوّيّة، وأقصد بها الهوّيّة الأغلب الّتي تسود بعد الهوّيّة الأشمل أي الدّولة، وبلا شك مع الرّؤيّة الحاليّة لهوّيّة الهوّيّة وفق العقل الجمعي نجد العديد من التّعارض، وعدم إمكانيّة الجمع، ولهذا تظهر ردّات الفعل من هوّيّة الهوّيّة، تارة بتكفير الدّولة، أو تكفير نظام الحكم، أو تكفير القانون المدنيّ، أو التّخفيف من درجة الكفر إلى درجة الولاء والبراء، أو الرّغبة في عودة أنظمة تأريخيّة يرونها الأجدى في تحقيق هوّيّة الهوّيّة، وأن ترتفع إلى درجة الهوّيّة الشّاملة، لا أن تكون في درجة هوّياتيّة أقل وأضعف.

هذه الجدليّة لن تتوقف، وهذا التّضارب مداه بعيد جدّا، وستظل الدّولة معلقة بين الهوّيّة الشّاملة، ومحاولة السّير في عالم أكثر انفتاحا، وبين محاولة التّقرب من هوّيّة الهوّيّة، لبقاء السّلطة لفترة أطول تحت مظلّة التّزاوج بينهما.

والحل القريب التّوسع في الدّائرة التّنويريّة الّتي لا تستورد من الخارج، بل تولد من رحم هوّيّة الهوّيّة والهوّيّات الأقل ذاتها، وهذا لا يتحقق إلا بالتّوسع في مجال حريّات الرّأي والنّقد من الدّاخل، وترك مجال أكبر للتّدافع، حتّى تتولد نظريّات تفتح سعة أكبر في الجمع بين الهوّيّة الشّاملة، وهوّيّة الهوّيّة وما دونها.

إنّ التّغيير الرّأسي مع أهميّتة قد يكون قصير المدى من حيث التّأثير، لارتباطه بمرحلة سياسيّة نفعيّة معينة، قد تتغير نفعيّتها (البرجماتيّة) في وقت آخر، وتتحول

إلى أصوليّة تلغي الآخر، لهذا لابدّ من الاتّجاه إلى التّغيير الأفقي، الّذي يولّد وعيّا جمعيّا من داخل هوّيّة الهوّية ذاتها، ومساير للوعي الإنسانيّ الأشمل، ويضع الأمور في مسارها الصّحيح، وفق سنّة التّدافع وليس الصّراع والتّنافر.

بيد أننا ندرك أيضا أنّ هوّيّة الدّولة ذاتها لا تشكل ذلك التّخوف الكبير أمام عالم أكبر انفتح بشكل كبير على الاجتهاد الإنسانيّ، واقترب من القيم الكبرى المحققة لكرامة الإنسان الفردانيّة، فتشبع العالم بها، ولا يمكن لهذا العقل أن يرهن بهوّيّات تأريخيّة جامدة لا تقبل أن تعيش واقعها من حيث المبادئ الكبرى، بينما في الحداثة تتنعم بما وصل إليه النّتاج الإنساني معرفيّا وعلمويّا، ومكر التّأريخ الهيجلي واحد في تحقق نتاج هذا التّدافع.

إلا أنّ التّغيير أيضا سنني، ووجود تدافع طبيعيّ يبعد حلقة الصّراع والعنف، ويولد من الفكرة وتناقضها ما ينفع النّاس؛ لأنّ العقل اليوم يريد أن يعيش عالمه، وأن يحقق كرامة إنسانيّته، وأن يشارك في صنع عالمه، وأن لا يتوقف عند حداثة الحضارة، وأن يكون مستهلكا؛ بل مشاركا في صنعها، وتوليد تظريّاتها.

لقد كان في السّابق عوالم تتشكل منها حضارات وفق إمبراطوريّات قد تشترك زمنا، وتفترق مكانا، بيد أننا نعيش اليوم حضارة إنسانيّة واحدة عالما ومكانا، في عالم واحد لا يفترق، وما الدّول القطريّة إلا قبائل تلك العوالم، فإذا حققت سطوتها الإجرائيّة، إلا أنّها لن تستطيع بحال من الأحوال أن تحدّ فضاء مواطنيها عن عالم الإنسان، ولن تستطيع أن تصنع حضارة قطريّة بمنأى عن حضارة الإنسان في عالم واحد مشترك اليوم، فالدّولة القطريّة اليوم بهوّيّتها الشّاملة قطريّا لا تتجاوز كونها ثقافة ينتمي إليها مجموعة معينة من البشر لجوانب إجرائيّة كتشكلات القبيلة سابقا.

فالتّأريخ اليوم لا يتشكل في جزئياته وفروعه؛ بل أصبح اليوم تشكله كليات تقترب من الكليات المشكلة للوجود الإنساني، فنحن أمام كتل من النّظريات الكليّة

تلقي بثقلها في عالم الإنسان اليوم، لتدفع به إلى عالم أوسع، يجعله يعيش في تناقضات أمام هوّياته، فإمّا أن يتنكر لها ويرفضها ليعيش واقعه، وإمّا أن يتعصّب لها ويتقوقع حولها لأسباب لاهوتيّة تأريخيّة أو مجتمعيّة، وهذا أقل، وإمّا أن يترك للنّاس التّدافع الطّبيعيّ لترقى هذه الهوّيّات من تأريخيّة الماضي إلى عالم الإنسان، وأن ينظر إلى هوّياته برؤية ناقدة أوسع، لا أن ينظر إلى العالم برؤية ضيّقة أقصر، فإن تشكلت هذه الرّؤية الواسعة في هوّيّات وانتماءات متعددة، ستؤثر تلقائيّا على هوّيّة الهوّيّة، وبذاتها ستؤثر على هوّيّة الدّولة القطريّة الواحدة.

هذا التّدافع الطّبيعيّ لن يلغي هذه الهوّيّات، أو يرغمها على شيء تخشى من الوصول إليه، بقدر ما سيساهم في تهذيبها؛ لأنّ التّهذيب لن يخلق بدون تدافع، والتّدافع لن يثمر بدون حريّة واسعة تنطلق من الإيمان بها داخليّا، ويحقق لها الحماية إجرائيّا خارجيّا، فإن رفضت الهوّيّات تحقق ذلك تجاوزها الزّمان؛ لأنّها وإن كان لا تتحرك فكرا، إلا أنّها متحركة من حيث السّننيّة المجتمعيّة والحضاريّة، فقد تتصور بقاؤها بقوّة السّلطة لأنّها في درجة هوّيّة الهوّيّة؛ إلا أنّ البقاء للأصلح، والبقاء للأصلح لا يخرج عن إطار السّننيّة، وبه يكسب الأصلح قوّته، فكلّما تهذبت الهوّيّات حضاريّا وسننيّا كلّما بقت وتطورت، وإلا ستهذّب سننيّا من الخارج، وهي سنّة واحدة لا تتغير.

كما أنّ هذا التّدافع الطّبيعيّ أيضا يجعل الشّأن العام متجاوزا من هيمنة هوّيّة الهوّيّة إلى هوّيّة الإنسان الواحد، محققا الكرامة الفردانيّة لكلّ إنسان في الدّولة القطريّة، مواطنا أو مقيما، كما يحقق بينهم المساواة والعدل، وأن يوسّع بينهم الحرّيّات، ويضيّق من الاستبداد، بحيث يشتغل الشّأن العام على حماية الإنسان، ورقيّه معرفيّا وصحيّا وإنسانيّا، وأن يحقق الشّراك معه في بناء وطنه ورقيّه حضاريّا، مساهما في منفعة الحضارة الإنسانيّة ككل، فالشّأن العام ينطلق من الإنسان إلى

الهوّيّة وليس العكس، حتّى تتهذب الهوّيّة وتكون خادمة أيضا لهذا الإنسان، ومساهمة في رقيّه ورفعته، وتحقيق كرامته وإنسانيّة.

الحوارات واللّقاءات

أسئلة محاضرة الإباضيّة والخوارج من خلال الظّرفيّة التّأريخيّة[1]

الجمهورية الإسلامية الإير انية

جامعة الأديان والمذاهب

قسم التاريخ الإسلامي

علاقة الاباضية بالخوارج من خلال الظرفية التاريخية

اعداد

اسيل صادق حنون الحسني

شعبة ١٣

اشراف

أ. د. بهمن اكبري

مع ضيفه الكريم

أ. بدر العبري

باحث في الشؤون الإسلامية

[1] ألقيت محاضرة الإباضيّة والخوارج من خلال الظّرفيّة التّأريخيّة افتراضيا لطلاب المجاستير في جامعة الأديان والمذاهب، قسم التّأريخ الإسلامي، الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، الخميس 9 ذو القعدة 1442هـ/ 20 يونيو 2021م، ونص المحاضرة يوجد في الجزء التّاسع والعشرين.

س١/ الاشعري عدّ الإباضة فرقة من فرق الخوارج، فكيف كانت رؤية علماء الاباضية بأنهم ليسوا من الخوارج، وهناك الكثير من العلماء تبنوا موضوع الدفاع او تبرئة الاباضية عن الخوارج، أمثال ابي إسحاق أحد كتاب الاباضية، وكذلك علي بن يحيى معمر، وبعضهم كان لديه عبارة (براءة الذئب من دم يوسف) فهل كان للعلماء جانب خاص في بيان معتقداتهم، ام كان لهم دور في تبرئتهم من الخوارج؟

ج/ الخوارج عندما نقصد بهم كل من خرج على الدولة، وهنا يتعلق الموضوع بالدولة الاموية التي كانت تصد كل من خرج عليها، او نقصد بالخوارج الفئة التي خرجت عن الامام علي (عليه السلام)، ونرهنها بتلك اللحظة، وانا قلت هنا ان الخوارج او الاباضية لا يقولون أنّهم خرجوا على عليّ، انما خرجوا عنه، فإن الفئة التي خرجت عن الامام علي (عليه السلام) في حروراء، حينها لم تكن الاباضية كمصطلح موجود بعد، ولم تتشكل فقهيّا وعقديّا، إنما فرقة الاباضية حدثت بعد عملية الانقسام أي بعد معركة اسك كما اسلفت لكم؛ حيث رفضت فرقة من الفرق المنقسمة عملية التشريك ورفضوا الخروج ليس لعدم جوازه، لكنّه ارتبط بتكفير الحاكم وولاته وجنده مع اسالة الدم، وهنا بدأ التشكل من حيث المنهج وسمو بالإباضية، وإلا الأصل كان الجميع من نفس مدرسة الامام علي (عليه السلام)، لكن فرقة خرجت ورفضت التحكيم، ثم بعد ذلك فرقة رفضت المغالاة في التكفير وسميت الاباضية، واستمرت الى يومنا هذا .

لهذا لما تقول هل الاباضية خوارج هذا من الصعب قبوله أو رفضه هكذا إجمالا، فلابد من تحديد المصطلح، فإذا أردنا بالمصطلح كل من خرج فلا يمكن ان نفصل الاباضية عن الخوارج من حيث اصل الحدث التاريخي، واذا قلنا على ان الخوارج بمعنى البطش والتكفير للآخر فهنا لا يوجد علاقة بين الاثنين .

س٢/ هل النصوص الفكرية عند الأباضية هي نفس النصوص الفكرية لبقية الفرق الإسلامية؟

ج/ هذا يحتاج الى حديث أطول، وباختصار الإباضية لا يختلفون عن المسلمين، هم يقولون من حيث التراتبية: القرآن والسنة والقياس والاجماع وغير ذلك، مع حضور العقل بطبيعة الحال، اما في المعتقد فالاباضية قرآنيون يرفضون الروايات الظنية الا اذا توافقت مع القرآن الكريم، والمعتقد يكون بالدلالة القطعية أي ان يكون ثابتا قطعيا أي تكون دلالته قطعية ولهذا لا يكاد يوجد عندهم ما يسمى بالحديث المتواتر، ولا يأخذون الا بالقران الكريم، ويستأنسون بالرواية شريطة عدم التعارض، اما في الفروع فيأخذون بالروايات الظنية، ومصادرهم اقرب الى السنة، لكن لا يأخذونها بالكامل ولا يرفضوها بالكامل وانما تكون حسب منهجم وعملهم الفقهي.

س٣/ هل كانت دعوة الاباضية في بادئ الامر دينية ام سياسية؟

ج/ جميع الذاهب الإسلامية في الحقيقة نشأت نشأة سياسة، والتكوين الديني المذهبي ظهر بعد ذلك، بداية كان التكون فقهيا فيما يتعلق بمدرسة اهل الرأي، ثم بعد ذلك ظهر عقائديا عندما ظهرت مدرسة الاعتزال، ثم بعد التدوين المذهبي ظهرت المصادر الحديثية، وبدأت تتشكل هنا النصوص بشكل اكبر خصوصا بعد القرن الثالث الهجري، وهكذا ظهرت امتدادات أخرى كالتصوف والعرفان الى غير ذلك الى يومنا هذا، فهذه جميعها مرتبطة بزمنها التاريخي، لهذا فإن المدرسة الاباضية من حيث كونها المدرسة الأولى فهي بلا شك مدرسة سياسية ابتداء.

س٤/ نظرية الامامة والخلافة عند الاباضية؟

ج/ هذا التقسيم موجود عند الشيعة والسنة وليس موجودا عند الاباضية في الجملة، فعند الاباضية نظرية الخلافة ليست موجودة وانما موجود لديهم نظرية الامامة، وكما اسلفت لكم فإن نظريتهم في الامامة غير مقيدة بالقرشية ولا بالنص الخفي ولا الجلي، ويرونها انها شورى عامة لجميع المسلمين، اما اهل السنة فإن العديد منهم لا يفرق بين الامامة والخلافة فيرونها اقرب الى الخلاف اللفظي، قد يطلقون على الخليفة اماما

وعلى الامام خليفة، اما التقسيم بهذا الامر فقد ظهر خصوصا في المدرسة الشيعية، وكذلك استقر عند بعض اهل السنة باعتبار ان الخلافة في الشأن الأكبر.

س٥/ احد ابرز زعماء الاباضية عبدالله بن يحيى هل هو نفسه طالب الحق ام طالب الحق؟

ج/ عبدالله يحيى هو نفسه طالب الحق.

س٦/ هل المعتقدات الاباضية القديمة نفسها ام تغيرت وأضافوا اليها معتقدات جديدة؟

ج/ المعتقدات هي نفسها الاباضية اقرب الى الاعتزال فمثلا في قضية الصفات يؤلون الصفات الخبرية أو الإضافية، وفي قضية الرؤية يرون ان الله لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة، نعم عند بعض الآراء في الفروع، مثلا تراجعوا عن نظرية عدم خلق القرآن، فالاباضية اليوم جملة يقولون بخلق القرآن، وكان عندهم في البداية القول بعدم خلقه وكذا شاع التوقف، لكن استقر عندهم الآن القول بالخلق، أي خلق الالفاظ والحروف، وليس بمعنى صفة الكلام النفسي كما عند الجمهور خلافا لمشهور المعتزلة في إنكار صفة الكلام، وهذه جدلية أخرى .

س٧/ ما هو موقف الاباضية من الخليفة عثمان والخليفة الامام علي (عليه السلام)

ج/ نعم كان فيه بعض التطرف ولكنهم لاحقا توقفوا عند قوله تعالى " تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتهم " وقوله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم " ولكن المتأخرين تجاوزوا الامر لما أسلفنا من حدوث تطور وتهذب، كغيرها من المدارس الإسلامية.

س٨/ ما هو فكر الاباضية هل هي مرجئة ام قدرية او جبر او تفويض

ج/ قضية المرجئة والقدرية ارتبط بشكل كبير بالقضية السياسية، باختصار شديد هم لا يقولون بالارجاء، مثلا أبو حنيفة يعتبره البعض مرجئاً، وكذلك الذين يقولون بعدم الخروج من النار من الاباضية والمعتزلة والزيدية يعتبرون من يقول بالشفاعة لأهل الكبائر والخروج من النار من المرجئة، فهذه القضية مصطلحيا ليست دقيقة، وتختلف حسب تأصيل معنى الإرجاء. فالقضية تحتاج الى تحديد مصطلحات ويصعب في هذا الباب التحديد، فالاباضية بشكل عام لا يقولون بنظرية الخروج من النار ولا يكفرون أصحاب المعاصي والكبائر بمعنى لا يشركونهم وانما يطلق عليهم كفر نعمة او فاسق.

س٩/ بالنسبة الى المدارس الشوروية مدرسة الشورى المقيدة التي اطلقت على القرشية بين التقييد الظرفي والتقييد المطلق، ما الفرق؟

ج/ الفرق بين التقييد الظرفي والتقييد المطلق أن الأول متعلق بظرف زمني معين كبداية الأمر بعد وفاة الرسول فالغلبة لقريش، أما المطلق فأشبه بالنص المطلق لكل زمان ومكان متى توفرت الآلية، ولكن جمهور اهل السنة مع قولهم سابقا أقرب إلى الإطلاق خلاف الجويني مثلا، لا يقولون اليوم بالتقييد المطلق في القرشية، وانما يقولون بالتقييد الظرفي، اذ لا يمكن تحقق ذلك، كما عند عبد الحليم محمود وغيرهم من المعاصرين، ونظرية الاخوان المسلمين طبعا هي نظرية سنية اقتربت من نظرية الشورى بالمفهوم المطلق كما عند الاباضية، الا ان اهل الحديث قد يقولون بالاطلاق، ولكن مع ذلك قالوا في حالة التغلب لا يشترط القرشية وهذا مبحث اخر.

س١٠/ ما هي نظرية الاباضية بالنسبة لحرية الاختيار المرتبطة بالإنسان؟

ج/ هم اقرب الى الاشاعرة في هذا الامر ويقولون بكسب الانسان ويقولون بقضاء الله تعالى في الأزل وبخلقه، ونظرية خلق الأفعال بين المعتزلة وغيرهم مسألة خلافها لفظي وليس خلافا معنويا في الحقيقة ليصل الى حد التناظر والنزاع بشكل كبير.

س١١/ ما موقف الاباضية من تارك الصلاة والفر ائض؟

ج/ لا يعتبروه مشركا الا اذا هو انكرها طبعا، وتارك الصلاة والفرائض يطلقون عليه كافر كفر نعمة او فاسق او كافر كفر اصغر.

س١٢/ متى نشأت الاباضية

ج/ نشأت في وقت مبكر في القرن الأول الهجري لأن رموزهم هو جابر بن زيد ولا تزال كتبهم الأولى مدونة وموجودة الى اليوم مثل مدونة ابي غانم الخراساني وغيرها.

س١٣/ ذكرت من خلال بحثك ان ابن ملجم لم يكن من الخوارج واذا لم يتبع الخوارج أي الفرق يتبع؟

ج/ بالنسبة الى عبد الرحمن بن ملجم اشتهر على انه من الخوارج، ومثل هذه الأمور تحتاج الى تحقيق، فمثل شخصية عبد الرحمن بن ملجم لا وجود لها سياسيا ولا دينيا فهي شخصية عابرة، وقد تكون صنيع السلطة حينها، وعموما إذا كان من ضمن الخوارج فإن فعله خطأ في الحقيقة لا يمكن الدفاع عن القاتل ولو كان هذا القاتل من اهلك وجماعتك فكيف وان الضحية الامام علي (عليه السلام) وهذه القضية محسومة بالنسبة لنا.

س١٤/ المشهور عند المؤرخين تنسب الاباضية الى عبد الله بن اباض، وخلال نقاشك تنسب الى جابربن زيد ارجو توضيح هذا الامر؟

ج/ اسلفت في المحاضرة عن هذا الامر بنسبة الاباضية الى عبدالله بن اباض هي نسبة خصم، والخصم من نسبوه الى عبد الله بن اباض، وارتضى الإباضية هذه التسمية في نهايات القرن الثاني الهجري وبدايات القرن الثالث الهجري، فكانوا يرفضون هذه التسمية وكانوا يسمون انفسهم جماعة المسلمين او جماعة الدعوة، ويرفضون التسمية بغير تسمية الإسلام، ولكنها لاحقا شاعت وقبلت هكذا لكنهم لم يسموا

انفسهم بالجابريين، وانما بعض الكتاب المعاصرين يسمونهم بالجابريين نسبة الى جابر بن زيد، فهي نسبة معاصرة.

س١٥/ هل انتشرت الاباضية في الدول العربية الأخرى

ج/ في القديم كان لهم انتشار واسع في البصرة والحجاز وخراسان والمغرب ومصر وفارس واليمن وشرق آسيا، اما الان انتشارهم الأكبر في سلطنة عمان وبعض الاسر ربما في اليمن في حضرموت وينتشرون في شرق افريقيا وأيضا في تونس وليبيا والجزائر.

س١٦/ هل الاباضة لديهم مرجع او مسؤول كما لدى الشيعة مرجع ديني

ج/ قضية المرجعية لا وجود لها عند الاباضية فيما يتعلق بالتقليد كما عند الإمامية. والتقليد عند الإباضية بالمعنى المطلق أو الجزئي قريب من تأصيل أهل السنة، وابعد قليلا من الزيدية، ورسميا اليوم في عمان مفتي وهو سماحة الشيخ احمد الخليلي فهو المفتي الرسمي في عمان، ولكن يوجد علماء متناثرون في عمان وكذلك علماء في تونس والمغرب وليبيا وشرق افريقيا، وفي بلاد المغرب يوجد نظام العزابة اقتصر اليوم على الجزائر في وادي ميزاب، وهو نظام قديم عمره الف سنة، فهو نظام اقتصادي افتائي اجتماعي معرفي إصلاحي، ويقوم عن طريق الانتخاب ويهتم بالامور الدينية وعظا وإفتاء، والأمور الاجتماعية كالزواج والمهور، والأمور الإدارية كالأوقاف وغيرها، ولدي حلقة في اليوتيوب مع الباحث الجزائري أبو الأرواح إبراهيم بخصوص هذا الامر ممكن ترجعون إليه .

المذهب المسيحي الماروني مع الأب الدّكتور حنّا أسكندر من لبنان[1]

يقول الأب الجليل الدّكتور جميل أسكندر [حنّا أسكندر][2]: نحن الموارنة من صلب النّسيج الشّرقي العربي، ونحن من السّريان الغربيين، ولنا يد طولى في النّهضة العربيّة المعاصرة، ومنّا ظهر كتّاب كثيرون، ونحن كذلك أول من أدخل الطّباعة إلى الشّرق، وهي موجودة في الدّير، فنحن كنيسة صغيرة، لكن كان منّا رموز كبيرة كالقدّيس شربل [ت 1898م]، ومنا من هاجر إلى أوربا وأمريكا.

والقدّيس مارون [ت 410م] ليس له علاقة مباشرة بالموارنة، حيث تأسّست الكنيسة المارونيّة في أواخر القرن الثّامن الميلادي عندما دخل العرب أنطاكية، فانقطعت العلاقة مع بطريرك القسطنطينيّة؛ فاضطر الموارنة إلى انتخاب الرّاهب يوحنّا مارون [ت 707م] أول بطريرك للكنيسة المارونيّة في أنطاكيا، واعتبر الرّوم لخلافهم مع العرب هذا انشقاقا، ومنها حدث صراع كبير بين الرّوم البيزنطيين والموارنة.

وبانتخاب يوحنّا مارون تأسست الكنيسة المارونيّة، وسميت مارونيّة لأنّ الحياة الرّهبانيّة كثرت في القرن الثّالث الميلادي، وقويت أكثر في القرن الرّابع الميلادي، خصوصا بعدما دخل قسطنطين [ت 337م] المسيحيّة بدأ يتدفق النّاس إليها، وبدأت تدخل العادات الوثنيّة في المسيحيّة، لهذا نشطت الحياة الرّهبانيّة في مصر وسوريّة

---

[1] تمّ التّسجيل ضمن برنامج حوارات الحلقة السّادسة والتّسعين عن طريق برنامج ZOOM، يوم الأحد 22 شوال 1441هـ/ 14 يونيو 2020م، السّاعة العاشرة والنّصف مساء بتوقيت مسقط، وبثت يوم الاثنين 23 يونيو 2020م على قناة أنس اليوتيوبيّة.

[2] الأب الدّكتور جميل أسكندر من لبنان، وهو من رموز المذهب الماروني في لبنان والشّرق عموما، وهو أستاذ تأريخ اللّغات القديمة في الجامعة اللّبنانيّة، وعضو مجلس الأبحاث في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة القدّيس يوسف، له أطروحة دكتوراه حول مكاريوس سمعان المتحول [ت بعد 400م]، وكتاب القدّيس شربل [ت 1898م] كما شاهده معاصروه، وكتاب النّبيّ والتّرهب، والمعموديّة من خلال نصوص القرآن، والجهاد بين الإسلام والمسيحيّة، وله عشرات المؤلفات والأبحاث والمقالات في اللّاهوت المسيحي واللّغات القديمة ومقارنة الأديان والحوار الإسلامي المسيحي، بجانب التّحقيقات العلميّة.

وإيران وتركيا وإيطاليا وغيرها، ومن بين هذه النّشاطات الرّهبانيّة كان نشاط القدّيس مارون، وقد عاش للرّهبانيّة زاهدا متنسكا، صنع المعجزات، وأحبّه النّاس، ولم يكن همّه تأسيس طائفة أو مذهب، وعلى جنبه تأسّست مدرسة لوستيّة يعيشون الإنجيل، وبعد وفاته تنازع وتقاتل النّاس من ينتزع جثمانه؛ لأنّه بركة وصانع للمعجزات، فنشأت أديرة على اسم القدّيس مارون، من بينها دير على ضفاف نهر العاصي قرب حماة اليوم في سوريّة، وكان يوحنّا مارون رئيسا له، وكان فيه ثمانمائة راهبا، وكان رئيسه أسقفا، ثمّ انتخب بطريركا، من هنا بدأ مصطلح الموارنة نسبة إلى هذا الدّير الّذي سمّي تيمنا باسم القدّيس مارون، وكان بين وفاة مارون وظهور المصطلح حوالي أربعمائة سنة.

والدّير ليس كنيسة، والكنيسة هي مجموعة أديرة، وإداريّا للكنيسة رأس وقلب وعامّة النّاس، فهناك كنائس بطريركيّة أي يرأسها بطرك مثل كنيسة موسكو والأقباط والأرمن والسّريان، وهناك كنائس عند الأرثوذوكس مثلا يرأسها أسقف، وهنا أتحدّث عن الكنيسة كجماعة وليس كبناء، وأصل معنى الكنيسة في السّريانيّة والعربيّة أي جماعة أو مجموعة من المؤمنين.

وفي القرآن جاء مصطلح البيع، والبيع هي الكنيسة لها قبّة دائريّة، وفي السّريانيّة البيعة يعني البيضة، أي أعلاها على شكل بيضة، وهنا بمعنى الكنيسة بالشّكل البنائي.

وبالنّسبة لعلاقة الموارنة بالكاثوليك توجد إشكاليّة عند المؤرخين الموارنة، فبعضهم يقول إننا كنّا خارج الكنيسة الكاثولكيّة، ولكن النّاظر في تأريخنا القديم يجد علاقة بين الموارنة والرّوم الكاثوليك من حيث الإيمان ابتداء، حيث حدث صراع بين المسيحيين في ماهيّة طبيعة المسيح بعد مجمع خلقدونيّة سنة 451م، وأحدث هذا المجمع انشقاقا كبيرا، حيث انشقت أربع كنائس عن الكنيسة الرّسميّة: السّريان،

والأقباط المصريون، والأرمن، والأحباش، والسّبب اللّاهوتي في الانشقاق – وإن كنت أرى بدايته سياسيّة – هل للمسيح طبيعة لاهوتيّة وناسوتيّة، أم طبيعة لاهوتيّة فقط، فيرى الأقباط واللّاخلقدونيّة أنّ للمسيح طبيعة لاهوتيّة فقط من حيث الأساس، بينما يرى الخلقدونيون للمسيح طبيعتان، وإلا لا معنى للتّجسّد، وحاول الامبراطور التّوفيق بين الفريقين، فقال له طبيعتان ومشيئة واحدة، فازداد الانشقاق والخلاف، والآن بعد دراسة موسعة هناك محاولة للتّوفيق بين الفريقين، وأنّ الخلاف لا يتعدّى الخلاف اللّفظي والمعنى نفسه.

وعموما هذه الكنائس الأرثوذوكسيّة مع الوقت، ومع الإرساليات الغربيّة بعد عصر النّهضة كالبوشيين والعذاريين والكرمليين واليسوعيين إلى اتّجاه الشّرق، وحدث احتكاك مع الكنائس الشّرقيّة، فحدث انفصال، فانشق فريق من الأقباط وتبع روما، وهكذا الحال مع السّريان والأرمن، ولكل كنيسة لها لغتها وطقوسها، ولكن إداريّا تتبع روما.

والكاثوليك يقولون للمسيح طبيعتان ومشيئتان، وبمثله يقول الأرثوذوكس الرّوس واليونان وعموم أروبا الشّرقيّة، خلاف الأقباط والسّريان والأرمن والأحباش فيقولون بالطّبيعة والمشيئة الواحدة، والكنيسة المارونيّة تقول إن للمسيح طبيعتان ومشيئتان، واتّهم الموارنة أنّهم يقولون إنّ له طبيعتان ومشيئة واحدة، ولكن هذا ليس صحيحا.

وأصل المشكلة أنّ هناك فرقا مسيحيّة يهوديّة ونصرانيّة كانت ترفض ألوهيّة المسيح، لكن شبه اندثرت، ولم يبق لها أثر، ولمّا جاء آريوس [ت 336م] قال إذا كان الله واحدا؛ فلا يمكن أن يكون المسيح هو الله، وتابعه الكثير من الأساقفة، وبعض الأباطرة الرّوم، وأصبح العديد معه، وعارضه البابا أثناسيوس [ت 373م] بابا الأسكندريّة الأقباط، وقال إذا الله لم يتجسّد فأين الفداء؟، فلا معنى للفداء بدون

تجسّد، ومنها حرم آريوس، وطرد أتباعه إلى خارج الامبراطوريّة الرّومانيّة، وبقي منهم مجموعة سهلوا لدخول العرب إلى الأندلس لاشتراكهم في واحديّة الخالق.

ثمّ ظهرت إشكاليّة هل الله ثلاثة: الآب والابن والرّوح القدس، أم اثنان: الآب والابن، وفي مجمع القسطنطينيّة عام 381م قرروا ألوهيّة الرّوح القدس، وفي القرآن: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ} [النّساء: 171]، ونحن نقول إنّ لله كلمة، والكلمة هي المسيح، والرّوح القدس، ولهذا نقول: الآب والابن والرّوح القدس إله واحد في ثلاثة أقانيم.

ثمّ ظهرت إشكاليّة تتمثل في شخصيّة المسيح، بما أنّه إله متجسّد، هل بقي كاملا، أم صار إنسانا أيضا، فذهب بعضهم من الأقباط والأرمن والسّريان والأحباش هو إله كامل، والطّبيعة البشريّة ذابت في الطّبيعة الإلهيّة كما تذوب قطرة الماء في البحر، فلا وجود للطّبيعة البشريّة، لكن بقي مشكلة الفداء، فهو عاش معنا، وتشبه بنا، فإذا لم يكن إنسانا كاملا؛ فلا معنى أن يكون قدوة لنا، [لهذا قال الآخرون له طبيعتان]، واليوم شبه حلّت هذه القضيّة، واعتبر أنّ الأقباط كان الحق معهم؛ لكن التّعبير كان خاطئا.

[وحول جدليّة الرّوح القدس هل هي منبثقة من الآب والابن، أم من الآب فقط]، ونحن نقول هو منبثق من الآب، لكن ذهب القدّيس شارلمان [814م] في القرن التّاسع الميلادي قال إنّه منبثق من الآب والابن، فأضاف الابن، بينما في مجمع نيقيّة عام 325م بيّنوا أنّ الرّوح القدس منبثق من الآب فقط، وخالف شارلمان ذلك، ومشت الكنيسة الغربيّة على رأي شارلمان، والآن يوجد نوع من المفاوضات استنادا إلى إنجيل يوحنا أنّه منبثق من الآب بالابن، وبهذا تحل الإشكاليّة.

والخلاص عندنا بالإيمان المشروط بالأعمال، من هنا يأتي الاعتراف، فهو قول وعمل، وهذا مبنيّ على حريّة اختيار الإنسان ذاته، يقول القدّيس أغسطينوس [ت 430م]: "الله الّذي خلقك بدونك؛ لا يقدر أن يخلّصك بدونك"، فلابدّ من العمل والمجاهدة للوصول إلى الخلاص.

وصكوك الغفران يختلف عن سر الاعتراف، فعندما كان يبني البابا مبنى كنيسة القدّيس بطرس، وهي كنيسة ضخمة جدّا، وتكلف أموالا ضخمة، وكان البابا بحاجة إلى المال، فباع صكوك الغفران لبناء الكنيسة، هذا هو المشهور، ولكن في نظري ليس هذا أصل المسألة، أصل المسألة سياسي بحت، فالبابا حينها ليس مجرد زعيم ديني فقط؛ بل كان زعيما سياسيّا أيضا، وهناك من الأمراء من يريد التّحررمن سلطته، فالخطأ هنا أنّ الكنيسة دخلت في السّياسة، والسّياسة لا دين لها، فالسّياسي يقتل ويهجر والله لا يرضى بذلك، ورجل الدّين لما يصبح سياسيّا يتصرف مثل السّياسي.

وسر الاعتراف موجود عند جميع المسيحيين بما فيهم البروتستانت، فعند البروتستانت يعترف للرّب مباشرة، وسر الاعتراف عندنا لم يكن مثل اليوم في بدايته، وفي الرّسالة إلى العبرانيين مفادها بعدما تعرّف على الرّب، وأخطأ من جديد؛ لا مجال للغفران، وكان سابقا لمّا يخطأ يدعونه على باب الكنيسة، ويدوسونه على رقبته لأنّه أخطأ، فنفر كثير من النّاس من الخطيّة، ولم يعودوا إليها، ثمّ سهّلوا الأمر وأنشأوا سر الاعتراف بشكله الحالي، فهذه الصّورة ظرفيّة متأخرة، وأساس سر الاعتراف التّوبة مع الله، وبما أنّ الكاهن له سلطة على الكنيسة، ويمثل الله، فالاعتراف أمام الكاهن نوع من المصالحة بين الإنسان والله، والكاهن ليس مجرد إداري في الكنيسة؛ فهو أيضا طبيب روحي.

والموارنة كغيرهم من الأرثوذوكس والكاثوليك يقولون بالأسرار السّبعة، كانوا خلقدونيين أو اللّاخلقدونيين، وصحيح أنّ البروتستانت لا يقولون بسر الكهنوت؛ لكن لديهم المشيخة، وهي قريبة من سر الكهنوت، ومن البروتستانت من يعتبر القربان رمزا وليس حقيقة.

وتفسير أنّ الإنسان خلق على أيقونة الرّب، وأيقونة كلمة يونانيّة تعني صورة، ومنها [على صورة الله حلقه، ذكرا وأنثى خلقهم] [التّكوين: 27/1]، ونحن نقول كمسيحيين أننا لسنا فقط صورة الله؛ بل أولاد الله، وفي رسالة يوحنّا الأولى [1/3-2]: "تأملوا ما أعظم المحبّة الّتي أحبنا بها الآب حتّى صرنا ندعى أولاد الله، ونحن أولاده حقّا، ولكن، بما أنّ أهل العالم لا يعرفون الله، فهم لا يعرفوننا، أيّها الأحباء، نحن الآن أولاد الله، ولا نعلم حتّى الآن ماذا سنكون، لكننا نعلم أنّه متى أظهر المسيح، سنكون مثله، لأنّنا سنراه عندئذ كما هو".

وجميع الكنائس المسيحيّة تتفق على الأناجيل الأربعة وعلى العهد الجديد والكتاب المقدّس، وأمّا الأناجيل الأخرى كبرنابا ويهوذا وغيرها فهي غير قانونيّة، وتشبه الحديث عند المسلمين، وبما أنّ القرآن هو الأساس للحديث، ومقدّم عليه، فإن وافقه قبل، وإلا ردّ؛ لأنّ الحديث جاء متأخرا، ونحن كذلك، الأناجيل الأربعة كتبت في القرن الأول الميلادي، وبعد ثلاثين سنة من وفاة عيسى، ومن كتبها عاصر المسيح، نعم كانت في البداية شهادات جمّعت، يقال الإنجيل مرقس دوّن في سنة 60 إلى 70م، وتوجد أجزاء صغيرة من أنجيل متّى باليونانيّة في مصر إلى ما قبل 70م، أمّا الأناجيل الأخرى مشكلتها جعلت المسيح أشبه بسوبرمان، أمّا الأناجيل القانونيّة فصوّرت المسيح إنسانا عاديّا، لهذا حدث التّعجب كيف لهذا الإنسان العادي أن يصنع هذه المعجزات، لهذا بعد القرن الثّاني الميلادي لما استقر الوضع على ألوهيّته بدأوا يصوّرونه من البداية أنّه إنسان آخر مختلف، وحتّى في الأيقونات الشّرقيّة والغربيّة ترى المسيح مولودا وهو شاب، هل أحد يولد وهو شاب، هذا أتى تصوّره من الكتب المنحولة، بينما في الأناجيل

القانونيّة تكلّم وهو في المهد، وكانت له معاجز، فهذه هي المعجزات الخارقة غير الطّبيعيّة.

وأمّا من حيث الفقه فالمسيح لم يتدخل في القضايا الفقهيّة والشّرعيّة، والمسيحيّة في بدايتها تركت الشّرائع للحكم المدني، فالمسيحيّة في البداية ليست دولة، ولمّا دخلت في الدّولة وهنا تداخل الدّين مع الدّولة، وهنا دخلت الشّرائع الرّومانيّة في الشّريعة الكنسيّة في الزّواج وغيره، كما تأثر التّشريع الكنسي أيضا بالعهد القديم.

ولمّا فتحت الكنيسة الغربيّة مجال التّعليم استقبلت طلابنا من الشّرق، وبدأ التّمازق بين الثّقافتين، وخصوصا ما يتعلق بالطّقوس والصّلوات، فحدث التّأثر بالفكر الغربي، مع بقاء الجوهر.

وهناك فرق في الزّواج بين الرّاهب والكاهن، فالرّاهب فهو المترهب والمبتعد عن العالم متوحدا، ويسكن في الدّير والبراري، فالزّواج يبطل الرّهبنة، فمن أساس الرّاهب التّبتل، ومنه قول امرؤ القيس [ت 540م]:

تضيء الظّلامَ بالعشاء كأنّها منارة مُمْسَى راهب متبتّل

وأمّا الكاهن القائم بخدمة المجتمع في الكنيسة فله أن يتزوّج، وكثير من الكهنة في الشّرق متزوّجون، ولديهم عائلات، وأمّا في الغرب اتّخذت الكنيسة الغربيّة قرارا بعدم زواج الكاهن، وقبل ذلك مسموح عندهم، والآن يدرسون موضوع زواجه، ونحن الموارنة كان جميع كهنتنا متزوجون قديما، ولمّا تأثرنا بالكنيسة الغربيّة أصبح عندنا قسم من الكهنة غير متزوجين.

وعندنا الموارنة فردانيّة في الرّأي، لكل رأيه، مع مشتركات عامّة، فنحن ثلاثة عشر كاهنا في هذا الدّير، وأنّا شخصيّا لي رأيي، خاصّة والكنيسة المارونيّة صغيرة لا تتحمل وجود تيارات كبرى فيها بقدر ما هي آراء فردانيّة، نعم، توجد آراء وخلافات

سياسيّة بين الموارنة كمجتمع، وهناك من يكتب ويفكر ويحمل رأيه وتوجهه، لكن داخل الكنيسة يبقى الإيمان المشترك بين الجميع.

ونحن كما أسلفت سريان، وكانت جميع صلواتنا بالسّريانيّة، ولا زال البعض يصلّي بها، لكن في الجملة عرّبت الصّلوات على ذات الوزن واللّحن، ليتمكن الجميع الصّلاة وفهمها.

وأمّا موقفنا من حيث الكنائس المعاصرة كشهود يهوه والمورمون وكنيسة الله القدير فهم كأشخاص نحبّهم، والله أوصانا بمحبّة الجميع، لكن معتقدهم يختلف عن معتقدنا المسيحي في أشياء جوهريّة، مثلا يقول بعضهم أنّ المسيح سوف يحكم الأرض لألف عام، أي ملك أرضي، ونحن نعتقد أنّ السّماء هي الحياة الأبديّة، والعيش مع المسيح إلى الأبد، وهم ينكرون الثّالوث، لهذا أرى هم أقرب إلى الفكر اليهودي منه الفكر المسيحي، وأرى نشأتهم سياسيّة أكثر منها دينيّة، ومدعومون سياسيّا لمناهضة الكنيسة المسيحيّة.

وفي الختام الكنيسة المارونيّة نجحت في تحقيق التّعايش والتّعارف في المجتمع العربي والشّرقي، وأنا أضرب هنا مثلا بالقدّيس شربل، وقد كان راكعا في الكنيسة، فدخل عليه أب لزيارته، ووجده باكيا متحسّرا، وكان القدّيس يومها في السّتينات من عمره، فتعجب الأب لماذا يبكي القدّيس شربل بهذه المرارة، فسأله عن سبب ذلك، فلم يجبه، وألح عليه الأب ثانية ولم يجبه، وألح عليه ثالثة وقال له القدّيس: أجيبك بشرط أن لا تخبر أحدا إلا بعد وفاتي، توفي قريبا منّا رجل من علمان، وعلمان منطقة شيعيّة، وسقطت نفسه في جهنم، فكان يحبّ النّاس جميعا، وليس له أعداء، فقال له الأب: تبكي على إنسان مسلم، وكلّهم هالكون، فلمّا خرج الأب سمع إطلاق رصاص، وعرف أنّ رجلا غنيا كان في أمريكا ظلم النّاس ثمّ توفي [مقتولا]، وأدرك أنّ القدّيس لم يكن يبكِ لأنّه مات شيعيّا، فقد كان يحبّ الجميع، ولكن لأنّ الميّت خالف تعاليم الله

بظلمه واستخدامه المال استخداما سلبيّا [حتى ولو كان مسيحيّا الأمر واحد عند القدّيس].

وأخبرتني امرأة لبنانيّة سنيّة من البقاع، وكانت فقيرة جدّا، وكان أبو زوجها يحن عليها، وبنى لها كوخا، ولمّا توفي شمت بها زوجها، وقال لها: ذلك الجبل الّذي كان يحميك سقط، وباع كلّ ما ورثه من أبيه، وترك عائلته في حالة يرثى لها، وكان لديها خمسة أطفال، وطلب منها أبوها أن تتطلق وتترك له أولاده، لكن قلب الأم متعلق بأطفالها، ورفضت ذلك، وكان لديها بنت كبيرة، وعندها بنت أصغر منها وكانت مريضة، ولا يوجد لديها مال لأجل أخذها إلى الطّبيب، فذهبت إلى الطّبيب المجاني، وتركت أطفالها لخمس ساعات، وفي الشّتاء في البقاع برد قارس، ولا يوجد تدفئة، وفجأة دخل إلى بيتهم شيخ كبير في السّن، فخاف الأولاد، وذهب إلى المدفئة، وأشعلها بالزّيت، واجتمع حولها الأولاد للتّدفئة، ثمّ دخل إلى المطبخ وطبخ رز الحليب للأطفال، ثمّ أتى إليهم للتّعليم، حتّى جاءت الأم فخرج مسرعا، فأخبر الأولاد أمّهم بالقصّة، وسألتهم من قام بهذا؟ فأخبروها أنّه شيخ، وبعد أسبوعين من الحدث ذهبوا إلى منطقة مختلطة بين المسيحيين والمسلمين لزيارة أحد أقاربها، وكانت صورة القدّيس شربل معلقة في أحد الأماكن، فقال أحد أطفالهم للأم: أمي هذا الشّيخ الّذي زارنا وعلّمنا.

هنا علينا أن نبعث رسالة الحبّ والتعايش والخدمة، وهذه رسالتنا نحن كموارنة، ورسالتنا جميعا كشرقيين، وهي رسالتنا في العالم أجمع.

ديانة الصّابئة المندائيّة مع الدّكتور بهادر قيّم من إيران[1]

يقول الدّكتور الجليل بهادر قيّم[2]: الصّابئة المندائيون لهم ارتباط كبير بإيران، وهذا الارتباط له مميزاته وعوائقه، وبحثي في المندائيّة انطلق من ثلاثة مصادر رئيسة: أولا: البحث الشفوي، فقد حضرت طقوسهم واجتماعاتهم في المندي [مكان العبادة]، والثّاني: المصادر المقدّسة للطّائفة المندائيّة مثل كنزا ربا، وهو الكنز الكبير المتكوّن من قسمين: قسم اليمين وهو قسم التّوحيد، وقسم اليسار وهو قسم المعاد والوعد والوعيد، ويعتقدون هذا الكتاب من تعاليم آدم، وكتاب دراشا إد يهيا، ويعتقدون هذا الكتاب من تعاليم يحيى، والثّالث: التّواريخ العامّة والجغرافيّة.

ولغة الصّابئة منبثقة من اللّغة الآراميّة القديمة، وهي ديانة عرفانيّة غنوصيّة رمزيّة، واعتبر العديد من المؤرخين العرب الصّابئة لفظة عربيّة أي الانتقال من دين إلى آخر، واعتبرها الشّهرستاني [ت 548هـ] مقابلة للحنفيّة، وهذا أحدث خلل كبير في التّعامل مع هذه الطّائفة جعلت في خانة الزّنادقة، ولكن إذا أتينا إلى الآراميّة نجد أنّ الصّابئة تكتب في أصلها صباة، وفي اللّهجة المندائيّة يقلبون الباء واوا فتكون صواة، مثل مصبّتة ينطقونها مصوّتة، والمصوّتة بمعنى التّعميد، والصّواة يعني التّغطيس في الماء، ومن هنا الصّابئة بمعنى التّعميد أو الغطس في الماء، ويسميهم ابن النّديم [ت 384هـ] بالمغتسلة، ومعنى الصّابئة التّعميد أو الغطس يتوافق مع أصول الدّيانة.

والمندائيّة من المندى وهو العرفان، والمندائي هو العارف بالشّريعة، ومكان عبادتهم المندي، وجاء التّخصيص بالمندائيّة تميزا لهم عن الصّابئة الحرانيّة، ولفظة

---

[1] تمّ التّسجيل ضمن برنامج حوارات الحلقة السّبعين في مقهى هوم لاند بمنطقة المعبيلة الجنوبيّة – ولاية السّيب بمحافظة مسقط، يوم الأحد 22 أكتوبر 2019م، السّاعة السّابعة مساء بتوقيت مسقط، وبثت في اليوم نفسه على قناة أنس اليوتيوبيّة.

[2] الدّكتور بهادر قيّم من الجمهوريّة الإيرانيّة الإسلاميّة، وهو باحث متخصص في التّأريخ الإسلامي، يحمل دكتوراه في تأريخ شمال أفريقيا من جامعة طهران الدّولية، ويحمل امتياز في البحث العلمي لعام 2018م، ألف وترجم العشرات من الكتب، ومتخصص في الصّابئة المندائيّة.

الصّابئة الحرانيّة ظهرت في أواخر أيام المأمون العباسي [ت 218هـ]، عندما عبر مع عسكره في حروبه مع بيزنطة، ومر على ديار مضر، والتقى بمجموعة من حران جاءوا لاستقباله، فسأل عنهم فأجابوه بأجوبة لم يفهمها، فقال لهم: إذا رجعت من بيزنطة ولم أجد عندكم جوابا فأنتم زنادقة، أقيم فيكم حكمهم، فقسم منهم قال نحن نصارى، وقسم قالوا نحن يهود، وقسم ثالث قالوا نحن صابئة، ولهذا سمو صابئة حران، هذا هو المشهور، لكننا سنجد لاحقا هلال الصّابئ [ت 448هـ] في عام 380هـ في الدّولة البويهيّة يجعل هذا الكاتب والمؤرخ الصّابئ، وقد كان حافظا للقرآن الكريم؛ يجعل في ديوان الإنشاء، وأصله من حران، [ويقال إنّه دخل الإسلام، وقيل لم يدخل الإسلام].

والصّابئة المندائيون يعتقدون أنّ ديانتهم أم الأديان؛ لأنّ أول شخص عمّد واغتسل آدم – عليه السّلام – في سرنديب أي سيلان، وعمّده الملائكة، وعندهم ثمانية أنبياء يعتبرونهم من أولي العزم: آدم وشيث وأنوش ونوح وسام وإدريس وإبراهيم ويحيى.

ولعلّ اتّهام الصّابئة بعبادة الكواكب نتيجة الخلط؛ لأنّ للكواكب أهتمام عند الصّابئة، ويهتمون بها في قراءة المستقبل، وتحليل الحوادث، وتحديد اسم المواليد، لكن الصّابئة في الحقيقة هم موحدون، تأثروا بالزّرادشتيّة والمانويّة والمسيحيّة.

والمعتقد الصّابئي ينقسم إلى معتقدات كلاميّة، ومعتقدات فقهيّة، والمعتقدات الكلاميّة تدور حول التّوحيد والمعاد والنّبوات، ومن حيث التّوحيد هم موحدون، وفي كنزا ربّا في قسم اليمين يبدأ بالتّوحيد الأزلي، "هو الحيّ العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم، هو الأزليّ القديم، الغريب عن أكوان النّور، الغنيّ عن أكوان النّور"، ويعتقدون للملائكة دور في تبسيط الخليقة بأمر من الله، ولهذا للملائكة أهميّة كبيرة عند الصّابئة.

وأمّا يوم المعاد فيرون فناء الدّنيا، والخلود الحقيقي في الآخرة، والموت ليس فناء، وإنّما انتقال من محل إلى محل، وروح الصّالح والزّاهد تنتقل إلى عالم النّور، والمسيء تنتقل روحه إلى عالم الظّلمات، وأرى نظريّتهم أقرب إلى المعاد الرّوحاني منه الجسماني.

وأمّا النّبوات فيحترمون جميع الأنبياء، ويحترمون جميع أتباعهم، ولكن كما أسلفنا عندهم ثمانية أنبياء أصليون، وهم ألو العزم.

وأمّا المعتقدات الفقهيّة فهي الجوانب العمليّة، فعندهم صلاة في ثلاثة أوقات [الصّبح والظّهر والعصر]، وقبلتهم النّجم القطبي في جهة الشّمال، ويعتقدون هي أقرب إلى عالم النّور والضّياء، والصّوم عندهم يسمى المبطلات، وينقسم إلى المبطلات الثّقيلة ، والمبطلات الخفيفة[1].

والتّعميد أساس وركن دّيانة الصّابئة المندائيّة، وعندهم تعميد الطّفل والميت والمحتظر ومريد الزّواج، وغيرها، والتّعميد يكون في الماء الجاري وليس الماء المنقطع، وهنا يختلفون مع المسيحيين، والمندي مكان العبادة هو حوض التّعميد، من قصب وطين أحمروله سقف، يكون على ماء جاري.

[1] جاء في موقع الجمعيّة المندائيّة في لاهاي: "الصّوم الأكبر صوم انضباط الرّوح ... [ويسمى] الصّوم الكبير، وهو فرض على جميع المندائيين، وعلى مدار أيام السّنة، وهو صوم انضباط النّفس، ومحاسبة الذّات، وهو صوم الانضباط بالصّفات الحسنة، والاخلاق الحميدة، وهي فترة انقطاع عن الشّهوات الرّوحيّة، والأعمال السّيئة، وكلّ ما يسوء الخالق، والامتناع عن المحرمات"، والصّوم الصّغير وهو "صوم لتذكير الانسان بصيامه الأكبر .. ويتم بالكف عن تناول لحوم الحيوانات وذبحها خلال أيام معينة من السّنة، لكون أبواب الشّر مفتوحة على مصراعيها، فتقوى فيها الشّياطين وقوى الشّر والظّلام، لذلك يطلق عليها أيام المبطلات، يتمثل الصّوم الاصغر باثنين وثلاثين يوما موزعه على أشهر السّنة، وأربعة أيام إضافيّة تخص رجال الدّين".
تأريخ الزّيارة: الأحد 19 أغسطس 2021م، السّاعة الثّانية عشر زوالا.

الرّحلات

الرّحلة التّكساسيّة[1]

من الجمعة 9 أغسطس وحتّى الأحد 1سبتمبر 2019م.

الغاية والوصول

سبق أن كتبنا عن الرّحلة إلى شيكاغو، والّتي كانت من 13 – 22 أغسطس 2018م، وتعتبر أول رحلة لي خارج القطر العربي، وشيء من العالم الإسلامي، وخروجي من القطر العماني إلى القطر الخليجي والعربي والعالم أجمع يفتح للإنسان عالما أوسع، ويوسّع مداركه، ويفتح قلبه للآخر، فيتلاشى التّوجس من الآخر شيئا فشيئا، كما أنّه تتحقق به رسالة التّعارف المبنية على التّعرّف على الآخر والاعتراف به.

رحلة شيكاغو كما رأينا سابقا كانت لحضور مؤتمر الأمريكيين السّابع في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكيّة، ومنها كانت دعوات إلى كندا والمكسيك وولاية نيو مكسيكو الّتي كان يسكنها الهنود الحمر، لتوثيق ديانتهم وعاداتهم، ومن هذه الدّعوات كانت دعوة من الأستاذ بيان عطاء الله النّوري[2]، لزيارته في دالاس بولاية تكساس الأمريكيّة، فلبيت طلبه على أن يكون للمشاركة أيضا في مؤتمر الأمريكيين الثّامن، وهنا حدث تعاون مع جمعيّة الأديان في تكساس، لتسجيل حلقات مع أديان ومذاهب متعددة كما سنرى.

وولاية تكساس كما في الموسوعة العالمية ويكبيديا تعتبر "ثاني أكبر ولاية في الولايات المتحدة من حيث المساحة والسّكان"، "تقع ..... في وسط جنوبي البلاد"، وهي قريبة من المكسيك، وجوّها صحراوي، وهي منطقة تجاريّة، لهذا هي خليط من أجناس مختلفة، من أصول الأمريكيين - أي الهندود الحمر -، ومن الأمريكيين البيض والسّود،

---

[1] نشرت على شؤون عمانيّة.

[2] سبق الحديث عن الأستاذ بيان في الرّحلة الشّيكاغيّة.

ومن المكسيكيين والعرب والهنود والفرس والصّينيين والبورميين وغيرهم كثير، ويتحدّثون باللّغتين الإنجليزيّة والأسبانيّة، مع اللّغات العرقيّة الأخرى.

وتكساس ولاية جمهوريّة، إلا أنّ فيها ديمقراطيون بنسبة كبيرة أيضا، خصوصا العرقيات غير الأمريكيّة تميل إلى الدّيمقراطيين، ويسود فيهم المذهب المسيحي البروتستانتي الإنجليكاني، وهم متعصبون دينيّا، إلا أنّها أيضا مليئة بالأديان والمذاهب الأخرى كالهندوس والبوذيين واليهود والمسلمين والإسماعيليين البهرة والسّيخ والأحمديين والبهائيين وغيرهم، وفيها طوائف من المسيحيين أغلبهم بروتستانت كالمشيخيين والمعمدانيين واللّوثريين، كما فيها من الأرثذوكس والكاثوليك والسّبتيين وشهود يهوه والمورمون وغيرهم، ويوجد اتّجاهات أخرى كالماسونيّة وشهود يهوه والمثليين والمتحولين جنسيا، وهذه غالبها تحت مظلّة الدّين؛ لأنّ الاتّجاهات الإلحاديّة ضعيفة أو المجتمع لا يتقبلهم، ويتعرضون للإقصاء ليس من قبل الدّولة، ولكن من قبل المجتمع مثلا في وظائفهم، وقد حظرت اجتماعا لهم اذكره في حينه، كما يوجد فيها جماعة عبدة الشّيطان وهم قلة غير متقبلة، وعلى العموم جميع الأديان تمارس طقوسها بكلّ حرية، والدّولة في جملتها تدعم الجميع.

كما يوجد في تكساس العديد من المشردين، ولهذا هناك تكافل اجتماعي، ومؤسسات أهليّة في ذلك، كما يوجد ملتقيات للأديان تركز في اجتماعها على مساعدة المشردين والفقراء من خلال دور العبادة.

عموما خرجت من النّزل في الموالح الجنوبيّة السّاعة العاشرة ليلا مساء الجمعة، التّاسع من أغسطس 2019م، مع الأخ والجار العزيز مؤيد بن محمّد السّيابي، وفي مطار مسقط كانت الأمور سهلة جدّا، وموعد إقلاع الطّائرة الواحدة وخمس وخمسون دقيقة، وقبل الدّخول سألني أمن القاعة لماذا لم تأخذ تأشيرة إلى أمريكا لعشر سنوات، وكان حينها أعلن أنّه يسمح للسّياح ورجال الأعمال العمانيين أن

تكون تأشيرتهم لعشر سنوات، وكان هذا في يونيو 2019م، فقلت له أنا أخذت التّأشيرة العام الماضي أي 2018م قبل القرار، وإلا كان القرار في صالحي، كما أنّه سألني: ما الغاية من الذّهاب؟ فأخبرته الغاية حضور مؤتمر في شيكاغو، وقبلها زيارة أحد الأصدقاء في تكساس.

وعموما صعدنا الطّائرة في الوقت المحدد، وكانت على متن الطّيران العماني، إلا أنّها تأخرت عن الإقلاع لفترة طويلة أكثر من نصف ساعة، وهنا رأيت أسرة أتصوّرها مصريّة أو شاميّة من أب وأم مع أطفالهم مهرولين بسرعة إلى مقاعدهم، فلا أدري هل تأخر الإقلاع لسببهم أو لأسباب أخرى، ثمّ كانت مشكلة لا توجد مقاعدة قريبة لهذه العائلة، فحدث نوع اللّغط لإعادة ترتيب الأشخاص ممّن لا عوائل لهم من قبل القائمين بالخدمة على متن الطّائرة، فجعلت الأم مع أولادها في الأمام، والأب في الخلف، ومع هذا كان صراخ أطفالهم وبكاؤهم أزعجنا طيلة الرّحلة إلى فرانكفورت.

وصلنا إلى مطار فرانكفورت في ألمانيا قرب السّاعة الثّامنة صباحا، إلا أنّ الطّائرة ظلّت بنا فترة في ساحة الهبوط ننتظر الأذن بالنّزول، فتأخرنا أكثر من نصف ساعة أيضا، وموعد إقلاعنا على الطّيران الأمريكي في الثّامنة وخمس وثلاثين دقيقة، وهنا كلّمت الطّاقم في الطّائرة، فقالوا ينتظرون أوامر النّزول!!!

فنزلت بعدها وأنا أسرع في الهرولة، ومطار فرانكفورت كبير، وقاعتنا على TERMINAL 1، وهنا تذكرت الأستاذة والقاصّة زوينة سالم، فكنا نتسامر بعد ورشة عمل أدوات النّاقد الأدبي مع الدّكتور المصري محمّد الشّحات بالجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء في مسقط، فأخرجت لها التّذكرة، فعاتبتني في اختيار الطّيران الأمريكي وسوء خدماته، وضعف مدّة التّرانزيت، فقلت لها: هذا الأرخص، ومدّ رجولك على قد لحافك، فقالت: لن تدرك الطّائرة في مطار فرانكفورت، وقلت لها: أكيد المكتب السّياحي يعرف أنّ الوقت يكفي وإلا لما أخرج التّذكرة إلا متناسبا مع الوضع، هنا

أدركت حقيقة كلام الأستاذة زوينة، وفعلا وصلت القاعة بعد جهد جهيد، ولمّا وصلت قالوا لي: الطّائرة أقلعت!!!

وهنا شعرت بخيبة كبيرة، فماذا أفعل، ولغتي الإنجليزيّة ليست بذاك لكي أشرح لهم، فأخبروني أن أذهب لأحد القاعات لأخبرهم، ومن حسن الطّالع وجدت شابّا هناك، فظننته في البداية أفريقيّا، إلا أنني رأيت جوازه العماني، فسلّمت عليه، فرحب بي، وإذا به طالب عماني يدرس في أمريكا، ورحلته ذات رحلتي، وكان معنا في الطائرة، والأصل كذلك يذهب من الطّيران العماني إلى فرانكفورت، ومنها على الطّيران الأمريكي إلى شيكاغوا ثمّ ولايته الّتي يدرس فيها نسيت اسمها، وأمّا أنا من شيكاغوا إلى دالاس في ولاية تكساس، وكان يجيد الإنجليزيّة بطلاقة، فشعرت بالاطمئنان، وهنا تأخر مسؤول المكتب، ثمّ ذهبنا إلى مكتب آخر بالخارج، فجاءت بعد فترة امرأة، فحجزت لنا تذكرتين على الطّيران الألماني، أمّا هو فيذهب إلى شيكاغوا فولايته، وأمّا أنا مباشرة اذهب إلى دالاس، ووجدت مكتوبا في الورقة الملحقة بالتّذكرة مبلغا ما يقارب مائتين وخمسين ريالا عمانيّا، فخشيت ابتداء أن يطالبونا بالدّفع، وعموما سكت عن الموضوع، ولعلّ الطّيران العماني تحمل ذلك؛ لأنّ خطأ التّأخير كان بسبب منه من مطار مسقط.

وكما قيل "ربّ ضارة نافعة" فهنا ربحت مرتين: الأولى أنني أبدلت بالطّيران الألماني، وجربته في رحلة شيكاغوا السّابقة، وكتبت عنهم فيها، وخدماتهم رائعة جدّا، وكذلك اختصرت الطّريق، فبدلا من النّزول في شيكاغوا، هنا مباشرة من فرانكفورت إلى دالاس بدون ترانزيت والحمد لله.

ذهبنا بسرعة إلى قاعة Z69 حيث أقلعت الطّائرة لأنّه لا يوجد وقت، فأقلعت قرب العاشرة صباحا بتوقيت ألمانيا، ووصلنا مطار دالاس فورت ورث الدّولي السّادسة مساء بتوقيت تكساس، وهو مطار كبير، جاء في الموسوعة العالميّة ويكبيديا: "مطار

دولي يقع بين مدينتي دالاس وفورت وورث، ويعتبر الأكثر نشاطا في ولاية تكساس الأمريكيّة، ويحتل المرتبة الثّالثة عالميّا في مجال حركة الطّائرات"، "السّابعة عالميّا من ناحية عدد الرّكاب المسافرين"، "وافتتح رسميّا في عام 1973م كمطار إقليمي".

وفي المطار كانت الأمور بسرعة، وبإمكانك تنهي أمورك بذاتك، وهنا وجدت عراقيين يقومون بالأمر، ويعملون في المطار، وفي نهاية المطاف سألني الموظف الأمريكي عن سبب الحضور: فأخبرته أتيت لحضور مؤتمر، وأظهرت له ورقة المؤتمر، وكنت متعبا كثيرا، ولمّا سألني: How long will you stay in America?، قلت له: Twenty-nine years، فتعجبَ، ثمّ انتبهت بسرعة قائلا له: Sorry twenty-nine days، فابتسم بقوّة وسلمني الجواز، وفي الخارج وجدت الأستاذ بيان ينتظرني.

هنا رأيت دالاس، وهي كما في الموسوعة العالميّة ويكبيديا "ثالث أكبر مدن ولاية تكساس، وتاسع أكبر مدن البلاد"، فيها أكثر من مليون نسمة، وعاصمة تكساس اقتصاديّا وثقافيّا، متعددة الأجناس واللّغات والأديان والمذاهب، "كانت تابعة للمستعمرات الأسبانيّة"، "استقلت [عام] 1821م وكانت تابعة للمكسيك"، "مع دخول القرن العشرين، واكتشاف النّفط في الولاية؛ تحوّلت المدينة إلى مركز للبنوك وشركات التّأمين العملاقة، واستمرت على هذا الحال حتى يومنا هذا".

ذهبنا إلى بيت بيان في ويكوري ميدو، وهي مشهورة بمنطقة اللّاجئين وتبعد عن مطار دالاس حوالي عشرين دقيقة، وهي منطقة فقيرة، ويقطن منطقة اللّاجئين من الأفارقة والآسيويين والبورميين والعرب، وقلّة من الفرس والمكسيكيين والأمريكيين وغيرهم، وفي هذه المنطقة شارع يوجد فيه مول نورث بارك، وهو من أكبر المجمعات في دالاس، وهي منطقة في فيكروا ميتوا يسكنها الأغنياء.

لمّا وصلت إلى البيت وجدت الأستاذ بيان أعدّ لي غرفة، ورأيت في البيت في الأعلى فتحة لدخول الضّوء، حيث يستغون في النّهار عن المصابيح الكهربائيّة، فتضيء

الفتحة منطقة الجلوس واستقبال الضّيوف والمطبخ لأنّه مفتوح على الصّالة كعادة بيوتهم، وتذكرت بهذه الفتحة بيوتنا القديمة في عمان، ويسمونها الشّرفة، والجو في دالاس معتدل، ويعتبر حارا، إلا أنّ الأمطار تنزل بين فترات متقاربة فلا تشعر بالحرارة، كما أنّها لا تستمر طويلا، فكأنّها تنزل لتجعل الجوّ معتدلا، وتضيف على المكان جمالا وبهاء.

على العموم صلّيت الظّهر والعصر، وكنت متعبا كثيرا، وعندنا موعد على الثّامنة مساء في بيت والد بيان، إلا أنّ النّوم أخذني لشدة التّعب، فاستيقضت على سرعة السّاعة العاشرة، فعاتبته عتاب محبّ لعدم إيقاظي، بيد أنّه اعتذر لي لما رآه من رهق السّفر، فقمت بسرعة لصلاتي المغرب والعشاء، ثمّ ذهبنا إلى منطقة بلينو، وهي تبعد حوالي عشرين دقيقة عن منطقة اللّاجئين.

وبلينو متنوعة السّكان من الهنود والعرب والمكسيكيين والفرس والصّينيين، وفيها أغلب الأديان والمذاهب والأجناس، وأغلب الدّيمقراطيين يكون ترشيحهم منها، وهنا تعرفت على والد ووالدة بيان، واعتذرت على التّأخير، ووالد بيان عطاء الله يحيى نوري مثقف جدّا، وقارئ مطلع، وله اطّلاع في الأديان الإبراهيميّة، بجانب ديانته البهائيّة، وهو من أصل إيراني، ويعشق الخليج وعمان، ويعشق حياة الشّرق أكثر من الغرب، وقد كان يعمل في الرّياض عاصمة السّعوديّة، وهناك ولد له ابنه بيان، ثمّ ذهب إلى تركيا لتسعة شهور، وبعدها إلى كندا مدّة سنتين، ثمّ عمل في محل النّظارات في مدينة صور العمانيّة لمدّة خمس عشرة سنة، وبعدها إلى دالاس، وهو يعمل الآن في المخبز في شركة ول مارت في دالاس، وأمّا أمّه سيمين موهبتي، وهي من أصل إيراني، قليلة الكلام، كثيرة الابتسامة، أغمرتنا بحنانها وجميل طبخها، فطبخها شرقي وكأنّك في إيران أو عمان، وهنا توثقت العلاقة بيننا، وكانا كثيرا الاتّصال بنا، وكثرت اللّقاءات لاحقا.

على العموم تناولنا العشاء وما بعده من الحلويات والشّاي، وأخذنا حديث طويل حول جوانب متعددة وأنا أدافع النّوم، لنرجع بعدها إلى النّزل لنستعد للذّهاب إلى معبد جورد نيكشام السّيخي كما سنرى في الحلقة القادمة.

الغداء في المطعم المكسيكي وزيارة معبد جورد نيكشام سيفا جوارا وتسجيل حلقة تكميليّة حول الدّيانة السّيخيّة

في صباح يوم السّبت العاشر من أغسطس أخذت شيئا من الرّاحة، ولكون الأستاذ بيان مرتبطا بعمله أخذت جولة في اكتشاف منطقة اللّاجئين، فوجدت فارقا كبيرا بين هذه المنطقة وما رأيته في الدّار البيضاء بالمملكة المغربيّة من وضع المشردين مثلا من قذارة وسوء تنظيم، ففي منطقة ويكوري ميدو تجد النّظام والنّظافة، وتجد الشّوارع وأماكن المشي والحدائق والملاعب بشكل منظم، ولا ترى البيوت المتنقلة والعشوائيّة، ولم أجد متسوّلا يأتي لطلب المال، ووجدت أغلبهم من البورميين، ويسكنها العديد من المسلمين، ولهم مساجدهم، وشاركتهم الصّلاة لاحقا في بعض الأوقات، وهم فيما يبدو على المذهب الشّافعي.

وعموما لمّا رجع الأستاذ بيان في الثّانية ظهرا ذهبنا إلى المطعم المكسيكي Chipotel Mexican Gril للغداء، فقد أعجبت من الرّحلة السّابقة بالمطاعم المكسيكيّة، إلا أنّ لها في تكساس طعما خاصّا من حيث شكل المطعم ذاته، والعاملين فيه، وما يقدّم، وخدماتهم، وحسن تعاملهم وابتسامتهم، مع الموسيقى الأسبانيّة والمكسيكيّة بإيقاعاتها الرّائعة، وكأنّك في الجزء الجنوبي من أمريكا كما نشاهد في الأفلام المكسيكيّة، كما أنّه في دالاس تجد جميع المطاعم، وبأشكال متنوعة، العربيّة بأنواعها، الشّاميّة والمصريّة والمغربيّة والعراقيّة، والمطاعم التّركيّة والإيرانيّة والهنديّة والصّينيّة، بجانب المطاعم الغربيّة، وعندهم أيضا في تقديم الطّعام أعراف متباينة، فمنها ما يقدّم لك جاهزا كالّذي عندنا، ومنها أنت تختار ما يطبخ من لحوم وخضروات وتوابل، ثمّ تحملها إليهم فيطبخونها بعد خلطها، وعادة المشروبات عندهم أن تشتري كوبا ثمّ تزيد كيفما تشاء بنفس المبلغ، أي لا يحسبون الزّيادة، كما توجد مطاعم النّباتيين بكثرة، وهذه لا تشعر بينها وبين الطّعام الطّبيعي فارقا كبيرا، فكأنّك تأكل لحوما طبيعيّة وهي نباتيّة، والنّباتيون عندهم كثر، لهذا هي منتشرة، كما يعجبني كما

رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة أنّك تضع البخشيش في نفس الفاتورة، بمعنى لك خانة تكتب ما تريد التّصدق به، وهم صادقون في وضعه حسب تعامل القائمين بالخدمة في المطعم، وحسب جودة الطّعام والطّبخ، وحسب مبلغ الطّعام الّذي استهلكته، وعادتهم يجمعونه ثمّ يقسمونه بينهم، ويعتبر دخلا لهم؛ لأنّ رواتبهم ليست كبيرة، كذلك من عادتهم كلّ أحد يدفع فاتورته بنفسه، ففي أحد الجلسات في المطاعم بدعوة منهم، أنت تطلب وتأتيك فاتورتك لتدفعها بنفسك، إلا أنّ الأستاذ بيان كثيرا ما يخدعنا بدفعها، فقد تطبع بعاداتنا، وعادتهم في الحقيقة جميلة خصوصا في اللّقاءات المستمرة، فاطلب ما يحلو لك، وتحمّل كلفتك بنفسك، كما رأيتهم يأخذون ما بقي من الطّعام ولو قليلا، فلا أدري هل يأخذونه إلى البيت أو يتصدقون به.

ثمّ بعد الغداء ذهبنا إلى مدينة أرفينج، وهي قريبة من مطار دالاس، حيث ذهبنا إلى معبد جورد نيكشام سيفا جوارا، أو المعبد الذّهبي، وسبق في الرّحلة الشّيكاغيّة أن زرنا معبد جورد زيلاجس سو سني في شيكاغو، وسجلنا حلقة عن السّيخيّة مع الأستاذ كونت ستج، وتحدّثنا كمقدمة عن السّيخيّة ونشأتها وطقوسها وبعض معالمها يمكن الرّجوع إلى الرّحلة الشّيكاغيّة في ذلك، وهنا سجلنا حلقة تكميليّة لبعض الجوانب الأخرى من السّيخيّة.

في الابتداء استقبلنا الأستاذان هربجن سنج ووبد بركاش، وطلب منا نزع الحذاء، ولبس غطاء الرّأس احتراما للمعبد، ولون الغطاء ذهبيّ، وفيه عادة شعارهم وهو سيف أفقيّ، يتداخل عن يمينه ويساره سيفان كبيران، ثمّ دخلنا قاعة الصّلاة، وتشبه قاعة المسلمين، وفي مقدّمتها مكان مرتفع قليلا، وأحيانا كرسي، وهناك يتلون من كتابهم السّيليّ جرو ساحب، ويعبرونه الغورو بعد ذهاب الغورو العاشر، ويستخدمون الموسيقى مع التّلاوة، والمرأة تشاركهم في نفس القاعة، وتدخل بلباس محتشم، وتغطي عموم رأسها إلا ما ظهر كمقدّمة شعرها.

ثمّ ذهبنا إلى قاعة ملاصقة وهي قاعة الطّعام، وكعادة دور العبادة في أمريكا من كنس وكنائس ومساجد ومعابد توجد غرف ملاصقة للأجل الطّعام، فقدّم لنا بعض المشروبات، واكتفينا بالشّاي والماء، ثمّ ذهبنا إلى تسجيل الحلقة التّكميليّة حول الدّيانة السّيخيّة مع الأستاذ هربجن سنج، وقليلا شاركنا الأستاذ ويد بركاش، وطلب مشاركتنا في التّصوير، والحلقة من برنامج حوارات، حلقة (45)، سجلت في الخامسة عصرا بتوقت تكساس، وبثت يوم الاثنين 12 أغسطس على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث أنّ السّيخيّة ديانة جديدة مستقلة، وليست خليطا من الهندوسيّة والإسلام، والغورو ناناك [ت 1539م] عندما ذهب إلى النّهر ثلاثة أيام، وظنّ النّاس أنّه ميت؛ هناك جاءه وحي يأمره الله تعالى بتبليغ دعوته، وهداية النّاس، وبهذا كانت الدّيانة السّيخيّة.

ولمّا مات الغورو ناناك انتقلت روحه إلى الغورو الّذي من بعده، وهكذا حتّى الغورو العاشر – أي جوفيند سينج [ت 1708م]-، وبوفاة الغورو العاشر انتقلت الرّوح من الجانب البشري إلى كتابهم المقدّس السّيليّ جرو ساحب، فهو الغورو حاليا، ويحتكمون إلى المبادئ الموجودة فيه.

والعلاقة بين الغورو ناناك وبين تراث وشعر فريد الدّين مسعود [ت 1265م]، المشهور ببابا فريد[1]، فيوجد توافق بين الغورو وتراث بابا فريد في العشق الإلهي، ولكن الفارق أنّ الغورو نبي يوحى إليه، وفريد عارف من العرفاء، ومع هذا نقل الغورو العديد من أشعار وآثار بابا فريد مع اسمه في كتابهم المقدّس، وكذلك بالنّسبة لبابا كبير [ت 1643م][2]، وبعضها بالفارسية.

---

[1] من كبار المتصوّفة المسلمين الهنود في الطّريقة الحبشيّة، المعروف كما في الموسوعة العالميّة ويكبيديا بكنج شكر، وأصله من باكستان، ومزاره فيها إلى اليوم.

[2] بير بودهان شاه، ينتمي إلى عائلة من الزعماء القبليين، لكنه ترك كل شيء ليصبح صوفيا، عاش بالقرب من روالبندي، قابله [الغورو] خلال رحلاته، وتأثر به، وقبره مزار إلى اليوم.

ووجود تعاليم من الهندوسيّة أو الإسلام في السّيخيّة هذا طبيعيّ؛ لأنّها تحترم الدّيانتين، وتحترم أيضا جميع الأديان الأخرى كاليهوديّة والمسيحيّة والبهائيّة وغيرها، ويرون أنّ هذه الأديان جميعا فيها من التّعاليم والجماليات، فنستفيد منها، ونعيش في سلام، وأن يحترم كلّ دين الدّين الآخر.

بيد أنّه لا يملك أيّ أحد من الأديان الحقيقة المطلقة، وإنّما نبحث عنها، وقد توجد في الدّيانات الأخرى، ولهذا ندخل الكنس والكنائس والمساجد والصّوامع والمعابد لنبحث عن هذه الحقائق، ومن جماليات الأديان، ونستفيد منها، وكلّ ما نرجوه أن يكون كلّ أصحاب دين أيّا كانوا جيدين من خلال دينهم، ولجميع أصحاب الأديان حق الحياة وحق المساواة، وحق المساواة يشمل الذّكر والأنثى بلا تفريق، بما في ذلك دخول مكان العبادة.

والسّيخيّة لا يوجد فيها تبليغ أو تبشير، وانتشرت هذه الدّيانة بسبب مبدأ المساواة الّذي أتى به الغورو ناناك، فقد كانت الطّبقيّة منتشرة خصوصا عند الهندوس، بجانب الصّراع الكبير بين الهندوس والمسلمين، فدعا الغورو إلى المساواة والسّلام بين الطّبقات والأجناس والأديان والأفراد، فلقت دعوته قبولا عند الكثير، ومع ذلك وجد العديد من السّلاطين ومن النّاس من حاربها أيضا، فالغورو الخامس – أي الغورو أرجان [ت 1606م] – سجن وأعدمه سلاطين المغول المسلمين في الهند.

ومن المساواة مثلا أنّه لا يوجد في السّيخيّة رهبنة، فالكلّ سواسية ذكورا وإناثا، وإنّما قد يتفوق أشخاص في العلم والرّقي الرّوحي عن طريق التّغني بالكتاب المقدّس، وكثرة الذّكر به، ويسمونهم بالجاني، لكنّهم ليسو أعلى من البشر.

للمزيد ينظر: موقع MDID، على الشّبكة العالميّة، تأريخ الزّيارة: الثّلاثاء 6 يوليو 2021م، السّاعة التّاسعة صباحا، بتصرّف بسيط.

ولا نرى ما يسمى بالدّيانة الخاتمة، فديانات موجودة قبل السّيخيّة، وديانات جاءت بعدها، كما لا نؤمن بالمهدي أو المخلص، ولا نعتقد بعودة أحد كالمسيح، فالرّوح ترجع إلى الخالق لتترقى وتعود إلى طبيعتها الأولى، ولا تعود إلى الجسد مرة أخرى، والجسد لا يرجع إلى صورة أخرى، كان على شكل المسيح أو المهدي أو غيرهم.

وتوجد مذاهب في السّيخيّة ولكن ليست كبيرة كما في الإسلام والمسيحيّة مثلا، وأهم خلاف بينهم في قضيّة انتقال الرّوح بعد الغورو العاشر، فهناك مذاهب استمرت في الجانب البشري في انتقال هذه الرّوح، بيد أنّها قليلة لا تكاد تذكر، والمشهور كما أسلفنا أنّ روح الغورو في الكتاب المقدّس.

ولمّا سألته عمّا جاء في كتابهم المقدّس، [السّلم: 8] "بفضل استماع ذكر الله يمكن للإنسان العادي أن يبلغ منزلة من منازل الألوهيّة مثلما كان الإله شيفا، هالك الكائنات، وإلى منزلة الإله برهما خالق أو مكون الكائنات، وإلى الإله أندرا إله الأمطار" فهل هناك تعدد للآلهة في السّيخيّة، فأجاب: نحن نعتقد أنّ الله واحد، وهو القوي القدير، ويملك جميع الصّفات، وما ذكر هي صفات لله، وليست أجزاء منه، فنحن لا نؤمن لا بالجنّة ولا بالنّار[1]، ولا بالملائكة.

ويقول: والله تعالى لا يرى، ولا يمكن رؤيته على أي حال، ولا يجسد في صورة، وإنّما يرون قدرته وعظمته ومظاهر تجليه من خلال الوجود، فهو الأب والأم ليس مذكرا ولا مؤنثا، لكن بمعنى الخالق المسيطر الرّحيم في هذا الكون.

[1] لا يؤمنون بالجانب الحسي بالجنّة والنّار، كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة من خلال كلام الأستاذ كونت ستج: "ويؤمنون بالجنّة والنّار، وليس لهما حدود جغرافيّة، فوصول الإنسان إلى درجة من الرّاحة والاطمئنان الرّوحيّ فهو يعيش في الجنّة، والعكس إذا عاش في الضّيق والنّكد فهو في النّار، ويمكن لكلّ إنسان أن يكون ملائكيّا من خلال رقيّه روحيا"، ولعل هذا يتوافق مع النّص المذكور من الكتاب المقدّس، فما ذكر هؤلاء ملائكة أصولهم بشريّة، ترقوا روحانيّا، وقريب منه عند الفيدس من الهندوس كما رأينا أيضا في الرّحلة الشّيكاغيّة فليرجع إليه، ولينظر فيه.

ونحن نؤمن بوحدة الوجود، فالإنسان جزء من الله من خلال روحه، والله متجلي في هذا الإنسان وفي الطّبيعة.

وكلّ ما يؤثر على العقل والصّحة كالمخدرات والسّجائر والخمور فهو محرم في ديننا، منصوص على ذلك في كتابنا المقدّس، والامتناع عن اللّحوم ليس بسبب التّحريم، ولكنّها رغبة شخصيّة لأجل الرّقي الرّوحي، ولا يجوز القتل أو الإعدام في السّيخيّة، فللجميع حق الحياة، والمخطئ يعطى فرصة أخرى، ويستثنى حالة الحرب، فهنا ندافع عن أوطاننا وحقنا في الوجود ولو أدّى إلى القتل، وأمّا الموسيقى فهي شيء جميل، ومباحة في شريعتنا، ونستخدمها في طقوسنا، فهي من الجمال الّذي أودعه الله في الوجود، ولا يوجد عندنا إجبار الولد أو البنت على الزّواج، وإنّما يقتصر عند التّوجيه، وينبغي على الأبناء طاعة الوالدين، ولا يوجد عندنا التّعميد بمعنى الجميع ينزل إلى الماء، وإنّما خمسة أشخاص من المعمدين، يأتون بالماء من آمْريستار في البنجاب، ويخلطونه بالسّكر، ومن يذهب هناك يرشونه عليهم.

وفي ختام اللّقاء كانت رسالته الأخيرة: علينا أن نتعلّم من الآخر ونحترمه ونزور مكان عبادته، ولا أحد أفضل من الثّاني، كما لا يملك أحد الحقيقة المطلقة، وأنا ضدّ فكرة التّبليغ والتّبشير بين الأديان؛ لأنّها تؤدي إلى الصّراع والاحتراب، وعلى كلّ دين أن يشتغل مع نفسه، ويتسالم مع الآخر.

وفي الأخير ودعنا الأستاذين، وعبّروا عن سعادتهم بالزّيارة، ثمّ أخذنا جولة سريعة في دالاس لنستعد ليوم جديد، لأداء صلاة عيد الأضحى، وتسجيل حلقة حول الدّيانة اليهوديّة كما سنرى في الحلقة القادمة.

صلاة عيد الأضحى وتسجيل حلقة حول الدّيانة اليهوديّة وحضور الدّوري النّهائي للنّاشئين

في صباح يوم الأحد 10 أغسطس، كان يوم عيد الأضحى أو العيد الكبير عند المسلمين، ويسمى عيد القربان؛ لأنّ الحجاج يتقرّبون فيه بالهدي، وغالب المسلمين من غير الحجاج بالأضاحي، ويجعلون قسما منها للفقير والمحتاج، ويعتبرونها ذكرى نبي الله إبراهيم عندما أراد ذبح ابنه إسماعيل، ففداه الله بكبش عظيم، والمشهور عند المسلمين خلافا لليهود والمسيحيين أنّ الذّبيح هو إسحاق، ومع ذكر ابن تيميّة [ت 728هـ/ 1328م] في الفتاوى أنّ "هذه المسألة فيها مذهبان مشهوران للعلماء، وكل منهما مذكور عن طائفة من السّلف، وذكر أبو يعلى في ذلك روايتين عن أحمد، ونصرَ أنّه إسحاق، اتّباعا لأبي بكر عبد العزيز، وأبو بكر اتّبع محمّد بن جرير، ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنّ أصحاب أحمد ينصرون أنّه إسحاق، وإنّما ينصره هذان، ومن اتّبعهما، ويحكى ذلك عن مالك نفسه، لكن خالفه طائفة من أصحابه"[1].

وبعد الفطور ذهبنا إلى أقرب مسجد يصلّى فيه صلاة العيد، وفيه قاعة أعدت لذلك، ورأيت في أمريكا يؤخرون صلاة العيد كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة، والظّاهر يتجمعون حسب الأجناس، فللعرب مراكزهم، وللهنود كذلك، وهكذا، وفي المسجد كنّا من أوائل من وصل، وشاهدت لاحقا من بعيد أشخاصا يلبسون اللّباس العماني، والظّاهر أنّهم طلبة من عمان، وكعادة مساجد المسلمين يجهرون بتعظيم الله وتكبيره وتهليلة بصوت مرتفع قبل الخطبة، وعادتهم هنا قريبة من عادة الإباضيّة في عُمان، يجهر بها القائمون في المسجد، يتبادلون الدّور في التّكبير والتّهليل، يتقدّم أحدهم وعنده مكبر الصّوت مستقبلا القبلة قائلا: "الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر ، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله

[1] ابن تيميّة: تقيّ الدّين أحمد؛ **مجموعة الفتاوى**، تحقيق: عامر الجزّار وأنور البار، ط دار الوفاء، مصر/ المنصورة، الطّبعة الثّانية، 1422هـ/ 2001م، المجلد الثّاني، ج:4، ص: 204.

بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون"، والنّاس يرددون معه.

وهنا أتى الإمام، ويبدو أنّه من الجنسيّة الباكستانيّة، وصلّينا معه حسب سنّة الأحناف، وسنّتهم تسع تكبيرات، ثلاث أصليات: تكبيرة الإحرام، وتكبيرتي الرّكوع، وست زوائد، ثلاث تكبيرات بعد دعاء الاستفتاح وقبل قراءة الفاتحة من الرّكعة الأولى، وثلاث بعد قراءة السّورة وقبل الرّكوع من الرّكعة الثّانية.

يبدأ الإمام خطبته الأولى بالتّهليل والتّهظيم والتّكبير مرتين ثمّ مفتتحا بالتّوحيد وعظمة اليوم ونعمة بهيمة الأنعام ونعمة الإسلام، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين مردفا بالشّهادتين، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين مردفا بالصّلاة على النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه وفضلهم، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة مردفا بعظمة هذا العيد وهذا اليوم، وعظمة الأضحية، مع صدق النّية، والإخلاص لله تعالى فيها، وأنّها واجبة بنص الحديث، وأنّ علماء الفقه بينوا مسائلها، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين، ثمّ جلس جلسة خفيفة بعدها مباشرة.

ثمّ يبدأ الخطبة الثّانية بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين، وافتتحها بأحاديث فضل القربان وإراقة الدّم، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة مردفا بما جاء عن الصّحابة في ذلك، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة وأردفها برواية الّذي لا يضحي لا يقربن مصلى المسلمين، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين مردفا بآية الحج/ 37: {لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة.

والظّاهر أنّه يقرأ خطبة معهودة عندهم باللّغة العربيّة مع التّغني بها، والخطبة الأولى قصيرة لا تتعدى ثلاث دقائق يأتي فيها كعادة الأحناف بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير تسع مرات يفصل بينها بما ذكر عدا الأخيرة يجلس بعدها جلسة خفيفة، وفي الخطبة الثّانية وهي قصيرة أيضا يأتي بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير سبع مرات يفصل بينها كما فصلنا.

وبعدها يأتي بكلمة أو خطبة سريعة باللّغة الإنجليزيّة مبينا لذة العبادة بطاعة الله تعالى، والعيد مكافأة من الله، والّذي يكثر من الاستغفار وعبادة الله يشعر أنّ العيد مكافأة من الله له، وبيّن ضرورة الحفاظ على المظاهر الاجتماعيّة يوم العيد، وأهمها زيارة الوالدين والأقرباء والأحباب، وتطرق إلى سنّة إبراهيم مع ابنه اسماعيل، وما يتعلق بهذه السّنة من أضاحي وقرابين، وأهمية العمل الصّالح في هذه الأيام، وقد سجلتُ الخطبة، ونشرتها على قناة أنس 11 أغسطس.

ثمّ بعد الصّلاة وتسليمنا على الجماعة ذهبنا إلى المطعم الإيراني، حيث طلب الأستاذ بيان الغداء لنحمله معنا إلى منزل ابيه في منطقة بلينو، وسبق الحديث عن المنطقة، وهنا وجدنا الحاخام رابي دايفيد جريبر قد سبقنا بالوصول في المنطقة، وكنّا على موعد معه لتسجيل حلقة حول اليهوديّة، والحاخام ولد في شيكاغو في أمريكا في أسرة يهوديّة أرثذوكسيّة، ثمّ ذهب إلى إسرائيل لدراسة اللّاهوت والشّريعة اليهوديّة، حتّى وصل إلى درجة الحبر عندهم، واعتبر من العلماء المتخصصين في الشّريعة اليهوديّة، وبعدها سافر إلى نيوزيلندا كراهب في كنس، ثمّ رجع إلى أمريكا عام 1999م، واستقر في دالاس للاهتمام بالمدارس اليهوديّة، وعمل في المدرسة الثّانوية العامّة لليهود، ومع مرور الزّمن نتيجة البحث والتّأمل لم يقتنع بالأرثذوكسيّة، ورأى أفكارها لا تتوافق معه، فخرج منها، واهتم بالإصلاح الدّيني والعقلاني، فأصبح يزوّج اليهوديات من غير اليهود، وكذا العكس اليهود من غير اليهوديات.

هنا وجدنا أم الأستاذ بيان سيمين موهبتي تنتظرنا، وقد أعدّت لنا الأرز، وباقي الغداء طلبه الأستاذ بيان من المطعم الإيراني كما أسلفنا، فجلسنا نتحدّث على الغداء، وغالب الحديث حول الدّيانة اليهوديّة واللّغة العبريّة والتّأريخ اليهودي، والدّراسات المعاصرة في اليهوديّة كالأنسنة والعلمويّة، وهنا طلبت منه تسجيل حلقة افتتاحيّة حول اليهوديّة في برنامج حوارات، حلقة (46)، فوافق، فسجلنا بعد الغداء أي في السّاعة الثّانية عشر ظهرا، وبثت يوم 13 أغسطس.

تحدّث في البداية أنّ اليهوديّة كمصطلح ظهرت في عهد الدّولة الفارسيّة، ولم يكن المصطلح معروفا في عهد النّبي موسى – عليه السّلام -، فظهر بعد ألف عام من وفاته، فمملكة إسرائيل انقسمت إلى المملكة الشّماليّة واسمها مملكة إسرائيل أو السّامرة وعاصمتها شكيم [نابلس حاليا]، واحتلها الآشوريون بعد مائتين سنة من سقوط المملكة الجنوبيّة، والمملكة الجنوبيّة واسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم، واحتلها البابليون، وتمّ سبيهم إلى بابل، وفي عهد الدّولة الفارسيّة في عهد كورش الكبير [ت 529 ق م] أرجعهم إلى بلدهم، وهنا ظهر مصطلح اليهوديّة[1].

واليهوديّة ظهرت من جنس بني إسرائيل، أي من أبناء يعقوب، ولكن لا يعني أنّ جميع اليهود من بني إسرائيل، فالعديد دخل في اليهوديّة من الأجناس الأخرى، ومع أنّ اليهود لا يبلغون دينهم؛ لكنّهم لا يرفضون من أراد اعتناق اليهوديّة كدين له، فمثلا يهود روسيا ويهود اليمن، فعن طريق الحمض النّووي DNA، وجد فئة من اليهود الرّوس يتوافق حمضها مع الحمض النووي لليمنيين، وعند فئة لا يتوافق.

---

[1] اختلف في سبب تسمية اليهوديّة، فقيل من التّوبة والرّجوع كما في قوله تعالى: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف/ 156]، وقيل نسبة إلى يهوذا من أبناء يعقوب، ومن الاسباط الاثني عشر، وقيل نسبة إلى مملكة يهوذا، ولعل الثّالث أرجح، كغالب النّسبة إلى الأماكن، فقلبت الذّال دالا، والله أعلم.

والتّوراة تنفي أن يكون السّامريون من بني إسرائيل، ولكن في نظري قد يكونون من بني إسرائيل[1].

وبعد دمار الهيكل [586 ق م] انقسم اليهود إلى الصّدوقيين والفريسين والآسينيين[2]، بيد أنّ الصّدوقيين والآسينيين انقرضوا، وما بقي اليوم فمن الفريسيين، وفي القرن الثّامن الميلادي ظهرت فرقتان كبيرتان في اليهوديّة: فرقة القرائين[3]، وفرقة الرّبانيين، وكلا الفرقتين من الفريسيين، وفرقة القرائين كانت كبيرة لكنّها اندثرت شيئا فشيئا حتّى لم يتبق منها اليوم سوى عشرة آلاف، وأغلبهم في إسرائيل، وأمّا الرّبانيون فيسمون اليوم باليهود الأرثذوكس، أو باليهود الكلاسيكيين، وكذلك يسمون باليهود الحاخامانيين، وقبل خمسمائة سنة لا يعرف شيء اسمه اليهود الأرثذوكس، وظهرت من الرّبانيين فرقة الحاسيديم [في القرن السّابع عشر الميلادي]، وهي فرقة عرفانيّة تميل أكثر إلى الاستمتاع بهذه الحياة بالغناء والرّقص، ويستخدمون ذلك في ذكر الله [مثل الصّوفيّة معنا تقريبا]، وهؤلاء بسبب رهبنتهم، والتصاقهم بالشّخوص انقسموا إلى طرق وأقسام مختلفة.

---

[1] السّامريون يرون أنّهم الوريث الحقيقي لبني إسرائيل، واليهود خليط من أجناس مختلفة بعد السّبي البابلي.

[2] الصّدوقيون أتباع صدوق وذرّيته الّذين كانوا يتولون الكهانة في عهد داود وسليمان، ويؤمنون بالكتب القديمة أي الأسفار الخمسة، ويرفضون ما عداها، وهم حرفيون في مسائل الدّين، يختلطون مع الأجانب، ولا يؤمنون بالبعث ولا بالجنّة ولا بالنّار.

الفريسيون من الفرز أي المتميزون عن الأغيار، وهم الأكثر شعبيّة وحضورا، ولا يختلطون بغيرهم، ويؤمنون بجميع الكتب اليهوديّة بما فيها المشناة والجمارا.

الآسينيون أو الآسيون من آسى أي الطّبيب في الآرامية، ونشأت على الغالب في الأسكندرية في القرن الثّاني قبل الميلاد، ويميلون إلى الزّهد والرّهبنة، ويهتمون بالرّوح، ولا يأكلون لحوم الحيوانات.

للمزيد ينظر: العقاد: عبّاس محمود؛ **حياة المسيح**، ط دار الهلال، القاهرة/ مصر، 2014م، ص: 37 – 42. بتصرّف.

[3] يؤمنون بالتّوراة المكتوبة أي الأسفار الخمسة، ولا يؤمنون بالتّوراة الشّفويّة والشّروحات خلافا للرّبانيين، ظهرت على يد عنان بن داود [ت 795م] في الدّولة العباسيّة.

وفي القرن الثّامن عشر وأوائل القرن التّاسع عشر ظهرت فرقة اليهود العقلانيين، ويسمون باليهود الحداثيين أيضا، وهؤلاء يرفضون الأخذ بحرفيّة النّصوص المقدّسة والآثار؛ لأنّه في الأصل كتبها بشر، وهؤلاء أحدثوا تغييرا فيها، ولهذا قابلتهم فرقة وسط، فقالوا لا نرفض التّوراة، ولكن تقرأ في ظرفيّتها الزّمكانيّة، فلم يبتعدوا كالعقلانيين اليهود، ولم يتشددوا كالحاخامانيين، ولكن وقفوا موقفا وسطا، وهؤلاء هم اليهود الإصلاحيون، وأجازوا في أمريكا زواج اليهود من غيرهم من الجنسين، كما أجازوا زواج المثليين، وكانت ردّة فعل الحاخامانيين شديدة بسبب هذين المذهبين، ممّا أدّى إلى ظهور مذهب رابع، وهم اليهود العلمانيون[1]، وهؤلاء فصلوا علاقتهم بالتّوراة وغيرها، وإنّما هم يهود كاسم لا أكثر، لأنّ الزّمان اختلف، وأنا – أي رابي دايفيد - من طائفة الإصلاحيين اليهود، لأنّي رأيت أنّ الثّقافة اليهوديّة الأرثذوكسيّة لا تتناسب مع الواقع، فالتّوراة قد تتناسب مع العهد البرونزي أو النّحاسي، لكنّها لا تتناسب مع العصر الحديث.

واليهود طبيعيّا كأي أمّة تتأثر بغيرها [كتأثرهم بالهلنستيّة الرّومانيّة، والغنوصيّة الفارسيّة، وتأثر القرائيين بالثّقافة العربيّة، وتأثرهم حاليا بالحضارة الغربيّة]، مثلا قبل مائتين سنة من ميلاد المسيح تحدّث اليهود بالرّومانيّة، فطبيعي التّأثر بالثّقافة الهلنستيّة، وفي الأندلس تأثروا بالثّقافة الإسلاميّة، واليوم بالثّقافة المسيحيّة، فلا يمكن أن نكون موسويين أي بمعنى أن نكون كموسى بالكامل في عصره.

واليهود الأرثذوكس يؤمنون بالتّوراة المتضمنة للأسفار الخمسة [التّكوين والخروج واللّاويين والعدد والتّثنية] المنزلة على موسى حرفا حرفا، واليهود لا يؤمنون بالعهد القديم عند المسيحيين، وإنّما وضعه المسيحيون ليكون مقابلا للعهد الجديد، أي الأناجيل الأربعة وأعمال الرّسل، والعديد أيضا من اليهود قديما وحديثا لا يرون أنّ

[1] فصّل هذا التّيار العلماني في اليهوديّة المعاصرة الكاتب اليهودي يعقوب ملكين في كتابه عِلمنة اليهوديّة بصورة كبيرة، يمكن الاستزادة منه.

الأسفار الخمسة نزلت حرفا حرفا، وإنّما كتبت في فترات لاحقة ومختلفة، وحدث فيها بعض التّعديل، بجانب اليهود الأرثذوكس يؤمنون بأسفار الرّسل كسفر أشعيا، والآيات والأدعية، ولا يعرف من كتب التّوراة، وأمّا التّوراة السّبعينيّة[1] فهي ترجمة للتّوراة من العِبريّة إلى اليونانيّة من قبل اثنين وسبعين حبرا.

والتّلمود يشبه ما عند المسلمين أي الحديث، ففي اليهوديّة أقوال وأعمال قام بها النّبي موسى، وهي غير موجودة في التّوراة، وقام اليهود بعد فترة طويلة من وفاة موسى بالاهتمام بها، فكانت المشناه وهي الرّواية الشّفويّة توضع في الأعلى، وفي الأسفل يضعون الشّروحات والخلافات بين الفقهاء اليهود وهي الجمارا، والاثنان يطلق عليهما التّلمود [أي كتاب الدّراسة].

وأمّا المكان المقدّس عند اليهود وحرمهم في الأعلى هو جبل صهيون، وفي أعلاه يوجد الهيكل الّذي بناه سليمان، ودمر البابليون الهيكل، وأرجع في عهد الفرس، وفي عهد هيردوس الرّوماني [ت 4 ق م] قام ببناء الهيكل في شكل جميل جدّا، وبنى حائط المبكى في الأسفل، وفي عام 70م دمّر الهيكل [في عهد تيتوس ت 81م]، وأبقي الحائط، لهذا أغلب اليهود حتى اليوم يقفون عند الحائط، ويدعون الله عنده، ويطلبون التّوبة والمغفرة، والقليل ممّن يصعد إلى الأعلى، حيث يعتقد البعض بوجوب الوصول إلى الأعلى، ولكن غالب اليهود يكتفون بالوقوف عند الحائط، وفئة قليلة جدّا من اليهود الأرثذوكس لا زالت تعتقد أنّ المسيح سوف يأتي، ويعيد بناء الهيكل من جديد، ومعظم اليهود عموما لا يؤمنون بفكرة مجيء المسيح.

وأمّا ما يتعلق باليوم الآخر والجنّة والنّار فاليهود الأرثذوكس أو التّقليديون يؤمنون بذلك، وذكر اليوم الآخر في التّوراة بشكل غير صريح، وتوجد أيضا إشارات

[1] جاء في الموسوعة العالميّة ويكبيديا: "السّبعينيّة هي التّرجمة اليونانيّة للعهد القديم الّتي أجريت في القرن الثّالث قبل الميلاد، حيث يذكر أنّ بطليموس أراد أن يضمّ إلى مكتبة الإسكندريّة الكتب المقدّسة لليهود، والبعض يرى أنّه بسبب عدد اليهود الّذين لايعرفون إلاّ العِبريّة قام اثنان وسبعون من الأحبار بالتّرجمة".

غير صريحة للعذاب والنّعيم والبعث أو قيام الأموات، وهي إشارات غير قطعيّة، فلهذا أغلب اليهود لا يؤمنون بها خلافا لليهود الأرثذوكس كما أسلفنا.

وبعد اللّقاء حضر والد بيان عطاء الله يحيى نوري فجرنا إلى حديث طويل حول الأديان وفلسفتها، وحول واقع الحضارة الغربيّة، وموقع الأديان منها، ومستقبل العديد من الأحكام في الكتب المقدّسة أمام القراءات المعاصرة والنّقديّة والتّفكيكيّة، وكان لنا موعد آخر العصر للمشاركة في الدّوري النّهائي في منطقة منطقة ويكوري ميدو فاستأذنا بالخروج.

وقد أسلفت الحديث عن المنطقة، والّذي يهمني هنا العمل الاجتماعي الّذي ينشأ عليه أبناء المنطقة، وميزته أنّ عملهم الاجتماعي يشارك فيه الجميع أيّا كان دينهم وتوجههم، مثله حلقات التّعليم المساعدة، والّتي تهتم بغرس القيم الكبرى وبالحوار والتّعايش ليس تدريسا فحسب؛ بل حتّى عمليّا، فعندهم حصص في تنظيف الطّرق والمنطقة، ليتعوّدوا على النّظافة، كذلك يقوم بعض النّاشئين – كما أخبرت – بصنع الكعك، ثمّ بيعها، وريعها يذهب إلى الفقراء والمشردين، بجانب في التّعاون على مساعدتهم بالطّرق الاجتماعيّة الأخرى.

وهنا رأيت أعدّ مجموعة من جماعة المنطقة ملعبا كبيرا للأطفال والنّاشئين، ويقسّمونهم إلى فرق رياضيّة تتبارى طول العام، كما يحملونهم لمشاهدة الدّوريات الرّياضيّة في المجمعات، ويعملون في بعض الأشهر دوريات مكثفة، ومن حسن الطّالع صادف وجودنا المباراة النّهائيّة في الدّوري، وطلب مني حضور المباراة، ورأيت النّاشئين يرحبون بالضّيف، ويأتي الجميع للسّلام عليه، وأغلبهم من البورميين، وجاءني أحدهم يحفظ سورة مريم، وصوته جميل جدّا، فقال أريد أن أقرأ عليك بداية السّورة، فسرني ذلك، وفعلا كانت قراءته متقنة، وصوته جميل، وقال أصلي بهم أحيانا في

مسجد قريب، وطلب مني زيارة مسجدهم، وفعلا زرتهم في اليوم نفسه، وشاركتهم صلاة العشاء.

وبعد نهاية الجلسة أخذنا جولة أنا والأستاذ بيان في دالاس، ولتناول العشاء لنستعد ليوم آخر لحضور مشرق الأذكار وزيارة مؤسسة MDHA في علاج ظاهرة المشردين كما سنرى في الحلقة القادمة.

حضور مشرق الأذكار وزيارة مؤسسة MDHA في علاج قضيّة المشردين

في صباح يوم الاثنين الثّاني عشر من أغسطس حضرتُ مشرق الأذكار في دالاس بعد شروق الشّمس، وشاركنا أحد الأخوة من المكسيك، وكان يتمتع بالصّوت الحسن في الدّعاء، وهنا الكل يدعو بلغته، بالعربيّة والإنجليزيّة والأسبانيّة حسب المجتمعين، ومجلس الأذكار مجلس ذكر بهائي، إلا أنّه يحضره من جميع الأديان، ويذكرون الله مجتمعين، كلّ واحد يأتي بدعاء من حفظه أو يقرأ من كتاب، أو حتّى من كتابه المقدّس كالقرآن أو الكتاب الأقدس مثلا، والباقي يصمت ويتأمل، وأفضل وقته عندهم وقت السّحر كما جاء في كتاب الأقدس: 115 "طوبى لمن توجه إلى مشرق الأذكار في الأسحار ذاكرا متذكرا مستغفرا، وإذا دخل يقعد صامتا لإصغاء آيات الله الملك العزيز الحميد"، إلا أنّهم يدعون في أيّ وقت، ويفضلون إن لم يكن وقت السّحر في أول الصّباح بعد شروق الشّمس.

وأصل مشرق الأذكار كما جاء في كتاب فهم الدّين البهائي لندى مؤمن وموجان مؤمن ص: 237 عبارة عن "أبنية ومؤسسات مكرّسة لحسن سير المجتمع روحانيّا واجتماعيّا، ولتوفير حاجاته التّربويّة والتّدريب العلميّ، بما فيها بيت للعبادة في وسطها، وجامعة، وفندق للمسافرين، ومستشفى وصيدليّة، ومدرسة للأيتام، وبيت للعجزة"، وسبق أن تحدّثنا في الرّحلة الشّيكاغيّة عن مشارق الأذكار كمبنى للعبادة في زيارتنا لمبنى مشرق الأذكار في شيكاغو، لهذا لفظة مشرق الأذكار في الأصل عند البهائيّة إذا أطلقت فيراد بها بيت العبادة نفسه، إلا أنّها أيضا تشمل "أي مبنى أو غرفة مكرّسة للتّعبد، أو لجلسات الدّعاء، وبالأخص الدّعاء عند الفجر".

وبعد مشرق الأذكار أعددنا الفطور، ثمّ ذهبت إلى ستار بكس قريب من النّزل، ثلاث دقائق بالسّيارة، وستار بكس كما جاء في الموسوعة العالميّة ويكبيدا "شركة مقاهي أمريكيّة، بدأت عام 1971م في سياتل بولاية واشنطن على يد ثلاثة شركاء، وهم مدرس اللّغة الإنجليزية جيري بادوين، ومدرس التّأريخ زيف سايغل، والكاتب غوردان

بوكر"، جلست فيه لأعدّ بعض الجلسات الحواريّة، وأرفع بعض الحلقات اليوتيوبيّة، وكنت أعاني في النّزل من ضعف الأنترنت، فاشتريت شريحة أنترنت، ووفيها النّت والاتصال مفتوح لمدة شهر، وبمبلغ زهيد جدّا، فقمت بالتّحميل والرّفع في أيّ مكان، وظلّت معي حتى رجعت، ورأيت في ستار بكس تزاحم الطّلاب، ويرطمون بأحاديث لا أفهمها إلا كلمات عابرة، وهو المكان المناسب أيضا للتّعارف والقاءات والحوارات.

وفي الظّهر ذهبنا إلى مؤسسة Metro Dallas Homeless alliance في منطقة Swiss Ave في دالاس والمعنية بعلاج قضيّة المشردين في دالاس، حيث كان لدينا موعد مع الحاخام رابي دايفيد جريبر، وسبق الحديث عنه، واستقبلنا بحفاوة، وفي البداية قال لي: هل تريد الشّاي أم الماء؟ فقلت له: الماء؛ لأنّه لو قلت له شكرا لك، لن يرجع مرة أخرى إلى سؤال ذلك، وهذه عادة وجدتها عندهم، مرة واحدة يخيرونك، وعموما ذهبنا إلى مكتبه في المؤسسة، وسجلنا الحلقة (47) من برنامج حوارات، وكانت بعنوان: تجربة مؤسسة MDHA في علاج قضيّة المشردين في ولاية تكساس، وبثت يوم الأربعاء 14 أغسطس.

والحاخام رابي دايفيد جريبر يعمل في هذه المؤسسة بشكل رسمي من عام 2014م، وهذه المؤسسة تأسست في سبتمبر عام 2002م، وهي شركة لا تساعد المشردين مباشرة، وإنّما تتواصل مع الشّركات والجمعيات الخيريّة المهتمة بالفقراء والمحتاجين والمشردين واللّاجئين، لكي يسهل الوصول إلى المشرد بشكل منظم وسريع معا.

ويقول بعد التّعريف بذاته وبالمؤسسة أنّه يوجد في الولايات المتحدة الأمريكيّة حتى الآن خمسمائة وخمسون ألف مشردا، منهم ثمانون بالمائة يحملون الجنسيّة الأمريكيّة، والباقي من اللّاجئين من دول مختلفة، وإحصائيّة عدد المشردين تكون في

العشر الأخير من شهر يناير من بداية كلّ عام، ولو وجد مشرد واحد قبل يوم يدخل في الإحصائيّة.

وفي دالاس يوجد أربعة آلاف وخمسمائة وثمانية وثلاثون مشردا حسب إحصائيات عام 2019م، بزيادة تسعة بالمائة.

وبدأت قضيّة المشردين في أمريكا في السّبعينيات، خصوصا أيام كارتر، وفي عهد كلينتون وبوش الابن وأوباما وترامب تمّ الاهتمام بصورة كبيرة بقضيّة المشردين، ولهذا قلّ عدد المشردين بصورة أكبر.

والحكومة الفدراليّة لا تساعد المشردين بشكل مباشر، وإنّما تدعم المؤسسات القائمة بهذا العمل، فهي تدعم سنويّا بمبلغ بليونين فاصل ستة دولار، وهذا المبلغ في جملته ليس كبيرا، وهذه المؤسسة تتلقى دعما كغيرها من الفدراليّة، ومن الولاية، ومن الجانب المحلي، بجانب التّبرعات الأهليّة ومؤسسات العمل المدني والأماكن الدّينيّة، وبالتّالي تقوم الشّركة بتوفير بيوت للمشردين، ولصعوبة توفير البيوت حاليا يوفرون قاعات كبيرة، فيها أسرة وطاولات، تكون حلّا عاجلا حتى يتم توفير البيوت، لكي لا ينامون في الشّوارع والطّرقات، والحكومة تريد منّا توفير بيوت بشكل عاجل، ولكن ليس من السّهولة توفير ذلك في أمريكا، فيحتاج إلى وقت، مع الاهتمام بجانب التّعليم والصّحة والعلاج.

وأمّا بالنّسبة إلى الأديان فيختلف من مؤسسة دينيّة إلى أخرى من حيث مساعدة الأديان، لكن في الجملة أغلب المؤسسات الدّينيّة من كنس وكنائس ومساجد ودور عبادة تساهم في مساعدة المشردين، وبعض المؤسسات الدّينيّة بذاتها توفر قاعات تشمل أسرة وطاولات للمشردين، مثل مؤسسة Faith Forward Dallas لمجموعة من رجال الدّين من أديان مختلفة، وهدفهم المساهمة في علاج قضيّة المشردين، كما أنّ الشّركة أيضا تواصلت مع كنس وكنائس ومساجد ودور عبادة

للمشاركة والمساهمة؛ لكنّها رفضت ذلك أو لم تبادر إلى المساهمة، لاعتقادهم أنّ دورهم في دور العبادة يقتصر عند الطّقوس وممارسة الشّعائر، وهذا ليس من اختصاصهم.

والعديد من المؤسسات والمتدينين يساعدون لاعتقادهم أنّ الله أمرهم بذلك، فيساعدون الجميع على مبدأ الإنسانيّة، بلا تفريق بين مشرد وآخر، بغض النّظر عن دينه وتوجهه، وبعض المؤسسات الدّينيّة هدفها تبشيري للدّخول في دينه أو مذهبه، وشركتنا لا يهمها هذا، كان هدفه إنسانيّا أو تبشيريا، فنتعامل مع الجميع؛ لأنّ الغاية مساعدة هذا المشرد، وعمل الشّركة إنسانيّ بشكل مطلق.

والأصل أنّ أغلب النّاس لا يصلون إلى درجة التّشريد لتوفر ثلاثة أغطية: الأول غطاء العمل، فإذا كان يعمل فيستطيع توفير إيجار البيت أو الغرفة، والثّاني المال المدخر، فإذا خسر عمله، وكان لديه مبلغ من المال، فسيحميه حتّى يوفر عملا بديلا، والثّالث الأسرة والأصدقاء حيث يحمونه من التّشريد حتّى يتيسر أمره، فمثلا اللّاجئين من المكسيك، ونسبتهم في تكساس ودالاس مثلا مرتفعة، ومع ذلك تجد القليل جدّا من المشردين أصولهم مكسيكيّة بسبب العلاقات الأسريّة والاجتماعيّة بين المكسيكيين كبيرة عكس الأمريكيين.

ولمّا نقرأ الخطّ الأفقي لأسباب التّشريد قد يتصور البعض أنّ لديهم مشاكل عقليّة، أو كانوا ضحيّة مخدرات أو إكثار من الشّراب، ولكن ليس هذا السّبب الرّئيسي، وإنّما السّبب الرّئيسي هو التّفكك الأسري والاجتماعي، وحاليا لا يهمنا الاشتغال بالأسباب أيّا كانت، بل يهمنا توفير مأوى للمشردين، ثمّ نهتم بعلاج هذه الأسباب.

والضّرائب ليست سببا كبيرا في التّشريد إذا كان لديه عمل أو دخل، وإنّما المشكلة الرّئيسة العلاج، فهو يقود إلى التّشريد، وأغلب القروض في أمريكا لأجل

العلاج، وثلث هؤلاء قد يفلس، فيقعون في التّشريد، مثلا امرأة تعمل في شركة، وقد أصيبت ابنتها بخلل في الأذن، وتركت يوما واحدا فقط عملها، وبالتّالي فصلت عن عملها، فلم تستطع دفع إيجار البيت، فشردت هي وابنتها.

وأمّا المجتمع من حيث نظرتهم إلى المشردين، فتوجد فئة تنظر إلى أنّهم بشر لا يفرقون عن غيرهم، فقط يتمايزون أنّ هذا لديه مأوى عكس المشرد، ولكن للأسف أكثر فئات المجتمع في أمريكا ينظرون إلى المشرد نظرة دونيّة لسببين: إمّا أنّهم لم يعملوا بإخلاص، أو لكونهم خالفوا القانون، وهذا عكس الإنسان النّاجح، وهذا ليس سببا رئيسا في الحقيقة، فالعديد من النّاس توفرت لديهم فرص عمل ذهبيّة ونجحوا فيها، بينما الآخرون لم تأتهم هذه الفرص الذّهبيّة من العمل، أو لم ينجحوا في عملهم لأسباب متعددة، فوقعوا في التّشريد، فليس علينا أن ننظر إليهم نظرة دونيّة، وإنّما نساعدهم في الرّجوع إلى حياتهم الطّبيعيّة كباقي البشر.

وعدم مساعدة المشرد في النّهاية يترتب عليه خطورة أكبر، فيكونوا عرضة لشخصيات مجهولة تستغلهم في الإرهاب أو المخدرات أو لأغراض أخرى.

وعموما شركتهم عملت بشكل جيد في علاج هذه القضيّة، ووحدوا الشّركات المساهمة في ذلك اجتماعيّة ودينيّة وأهليّة، ليعملوا تحت مظلّة واحدة، وبالتّالي اختصر العلاج، وحال استمرارنا على هذا العمل، وبهذا العطاء والتّعاون والجديّة؛ سيقضون على هذه الظّاهرة بعد خمسين عاما، بل وقبل ذلك، صحيح عقبة توفير البيوت في أمريكا من أكثر العقبات، ومع ذلك نسعى لتحقيق أهدافنا.

وفي الختام يقول في أمريكا فئة قليلة تعيش في درجة الغنى، وأغلب الشّعب في أمريكا مستواه متدني، فمثلا الدّول الإسكندنافيّة قدّمت نموذجا رائعا، ففي أمريكا إذا خسرت وظيفتك تخسر تأمينك الصّحي، وبالتّالي تقع في الدّيون، فالإفلاس والتّشريد، أمّا في الدّول الإسكندنافيّة ولو خسر عمله لن يخسر مكانته الاجتماعيّة كالتّأمين

والصّحة والعلاج والتّعليم، بل لن يخسر طعامه، فأتعجب من عالم يتمتع بالغنى، وعوالم أخرى تعيش تحت خط الفقر، فالأصل تقسيم هذه الموارد بشكل عادل بين البشر، لتحقيق الإنسانيّة بين الجميع، فلو نزلت مخلوقات من السّماء لتعجبت من حال هؤلاء البشر، وقد أعطاهم الله هذه الموارد الكافية في الطّبيعة، وأمم منهم تعيش تحت خط الفقر!!!

وبعد الحلقة ودّعنا الحاخام رابي دايفيد، والأصل لدينا موعد معه لزيارة الكنس اليهودي، فلم أزره مسبقا، ورحب بالأمر، وفعلا تواصل معنا لاحقا، ولكن للأسف كان جدولنا مزحوما حينها، وعسى يكون ذلك مستقبلا، لنذهب مرة أخرى إلى مول نورث بارك لتناول الغداء، ودبلجة هذه الحلقة، وبعد جولة سريعة في دالاس رجعنا إلى النّزل لسنسعد ليوم آخر نزور فيه كاتدرائيّة الأمل، وجلسة الملحدين في دالاس كما سنرى في الحلقة القادمة.

زيارة كاتدرائيّة الأمل والمشاركة في جلسة الملحدين

في صباح يوم الثّلاثاء الثّالث عشر من أغسطس ذهبت إلى ستار بكس، وبعد الغداء ذهبنا إلى كاتدرائيّة الأمل، وهي الكنيسة البروتستانيّة اللّيبراليّة، أو اللّاهوت التّحرري، وظهرت في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر الميلاديين، وهي منفتحة بشكل كبير على الجانب الفرداني والميولات الجنسيّة، والحريات الجندريّة، وظهر نشاطهم في أمريكا بقوّة في القرن العشرين، وأشهرها كنيسة المسيح المتحدة، وكان الرّئيس أوباما عضوا فيها، وكما جاء في موقع الكنيسة المتحدة في الشّبكة العالميّة أنّها "تأسست كنيسة المسيح المتحدة في عام 1957م في كليفلاند بولاية أوهايو، مع اندماج الكنيسة الإنجيليّة والإصلاحيّة ....".

كاتدرائيّة الأمل تقع في منطقة Cedar Springs، وتبعد ربع ساعة عن النّزل، وهنا استقبلنا القس نيل سيزر تومس القائم في إدارة شأن الكاتدرائيّة، وأصله من كنيسة المورمون ثمّ خرج إلى كنيسة الأمل، وأصبح قسّيسا فيها، وفي البداية أخذنا جولة حولها، فهي كاتدرائيّة كبيرة، تضم حديقة وأماكن للمشي وممارسة الرّياضة، وقاعة للمنشورات، وقاعة كبيرة للصّلاة والقدّاس، ولا يوجد فيها تصاوير كثيرة كالكنيسة الأرثذوكسيّة، ومكان إعداد سر القربان ليس في الوسط، ولا يوجد عندهم في الأمام قاعة سر الكهنوت، وفيها مكاتب عديدة، وهي نظيفة ومنظمة بشكل كبير جدّا.

ثمّ ذهبنا إلى غرفة لتسجيل حلقة حول الكنيسة البروتستانتيّة اللّيبراليّة مع القس نيل سيزر تومس، ضمن برنامج حوارات حلقة (48)، وسجلت في السّاعة الرّابعة عصرا بتوقيت تكساس.

في البداية تحدّث القس أنّ أساس كنيسة الأمل تعود إلى كنيسة المسيح المتحدة، حيث انظموا إليهم، ولِفهم مدار كنيستهم لابدّ من فهم مدار الكنائس

المسيحيّة عموما، فهي على ثلاث مذاهب: مذهب يأخذ بحرفيّة النّصوص المقدسة، ومذهب ليبرالي يتوّسع في تأريخيّة النّص المقدّس، وينفتح على الحرّيات بشكل كبير، ومذهب وسط بين المذهبين، فكنيسة الأمل تندرج تحت المذهب الثّاني، فهي لبراليّة منفتحة بشكل كبير جدّا.

وكنيسة الأمل ظهرت في عام 1972م، واهتموا في الأساس بقضيّة المثليين، وحرّيتهم رجالا ونساء، أو ذات الميول المشتركة من النّوعين، أو من المتحوّلين جنسيّا.

وهنا طرحت له بعض النّصوص في العهدين القديم والحديث من الكتاب المقدّس المتعلق بالمثليّة، كنص "ولا تضاجع ذكرا مضاجعة أنثى فإنّه رجس" [سفر اللّاويين، [إصحاح: 18، آية 22]، وفي رسالة كورنثوس الأولى [إصحاح: 6، آية: 9] "إنّ المثليين غير أبرار، ولن يرثوا ملكوت الله"، بجانب قصّة سدوم في سفر التّكوين، فأجاب: العهدان القديم والحديث من الكتاب المقدّس جاءا لفترة زمنيّة معينة، وليس بالشّريطة أن يتوافقا مع زمننا، والمسيح جاء برسالة المحبّة، الّتي تجسّدت في محبّة الإنسان واحترامه، ورفض المسيح نفسه العديد من التّعاليم الموجودة في العهد القديم، فنحن نجسّد المحبّة الّتي جاء بها المسيح، ونتعامل بها حسب زمننا، وبالنّسبة للمثليّة توجد في العهد القديم أربعة أسفار، وسفران في العهد الجديد أشارت إلى المثليّة، أهمها قصّة قرية سدوم في عهد لوط، لكنّها ليست دليلا في المنع، وإنّما حدث ذلك بسبب سوء الضّيافة ومحاولة الاغتصاب، ولا يوجد في زمنهم ما يمسمّى بالزّواج المثلي، فهي قضيّة جديدة ومستجدة، فلا يمكن أن نسقطها على القصّة.

ثمّ عقّبت على كلامه: لو سلّمنا بأنّ قضيّة المثليّة المشروعة هي تحت مظلّة الزّواج المثلي، وليس بمعنى العلاقة خارج إطار الزّواج، أو الاغتصاب؛ ألا ترى أنّ المثليّة مخالفة للجانب الطّبيعي في العلاقة بين الذّكر والأنثى القائمة على بقاء النّوع البشريّ، وهي سبب في انتشار أمراض مختلفة، فأجاب: المثليّة لا تهدد النّوع البشري، وهم

يتبنون أطفالا أيضا، عن طريق التّلقيح، وعن طريق أطفال الشّوارع والأيتام، فيساهمون في إيوائهم وتربيتهم والاهتمام بهم، وأمّا الأمراض فهي تنتشر في غير المثليين أيضا، ولو سلّمنا بوجود المرض فهو ليس عذابا، فالله محبّة، ولا يرسل كهذا لأبنائه.

ثمّ كان الحديث عن الكنيسة بشكل عام فيقول: هناك العديد من الكنائس رفضت المثليين وغيرهم من أصحاب التّوجهات والميولات الأخرى غير المقبولين اجتماعيّا، فهذه الكنيسة فتحت بابها للجميع، وهذا كما أسلفنا تجسيد للمحبّة الّتي جاء بها المسيح، والكنيسة مصدر لهذه المحبّة، فلا تفرق بين أحد في المجتمع.

والكنيسة تقوم بعقد الزّواج بين المثليين وغيرهم، ولا توجد إحصائيّة لزواج المثليين من خلال هذه الكنيسة؛ لأنّه كان ممنوعا في السّابق، وسمح بذلك في عهد أوباما عام 2015م، ولكن في الجملة المئات أتوا لأجل هذا الزّواج من خلال هذه الكنيسة فقط في دالاس فضلا عن باقي أمريكا.

والكنيسة علاقتها جيدة مع الأديان المختلفة، كالهندوس والمسلمين والبهائيين والطّوائف المسيحيّة الأخرى، وغيرهم، وهناك كنائس أخرى أيضا تؤمن بذات فكرهم، مع أنّه لا يقتصر دور هذه الكنيسة في خدمة المثليين فحسب؛ وإنّما تقوم بدور كبير في مساعدة الفقراء والمشردين، ويتبرعون سنويّا بآلاف الدّولارات، بجانب إيوائهم وخدمتم لليتامى وأبناء الشّوارع، ويوفرون لأطفال الفقراء الأكل في المدارس وغيرها، وهدفهم ليس محليّا بل إنسانيّا، حيث يقدّمون خدماتهم للبشر عموما في أيّ مكان كانوا، وعمل جميع القائمين في هذه الكاتدرائيّة هو تطوعيّ بحت.

وهم يناهضون حاليا فكرة منع اللّاجئين، وكذلك التّفريق بين الأطفال إذا كان والدهم ليس أمريكيّا؛ لأنّ هذا يتعارض مع حقوق الإنسان، فهو إنسان أيّا كان، وله حقوقه الإنسانيّة.

وفي هذه الكنيسة يمارسون العديد من الطّقوس، وعندهم دعاء تقليدي يوم الأحد، كما يستخدمون أيضا الموسيقى المعاصرة والتّقليديّة، وطقوسهم في الذّكر والدّعاء تمارس باللّغتين الإنجليزيّة والأسبانيّة، وشعارهم شعار المسيح وهو المحبّة، وقانونهم ما لا ترضاه لنفسك لا ترضاه لغيرك، وشعارهم وقانونهم سواء مع جميع البشر والدّيانات، ويشاركون في مجمع الأديان Faith Forward Dallas، والقائم على خدمة المجتمع.

وفي ختام اللّقاء كانت رسالته تأكيدا على ما سبق أنّ الدّين محبّة، والمسيح جاء بالمحبّة، فعلينا أن نعيش في الأرض بمحبّة، وننشر السّلام بيننا، وفي الحكمة اليونانيّة الحبّ الّذي يخرج منك لابدّ أن يكون حقيقيّا وليس مجرد كلام عابر، وأكبر سبب للحروب أنّ البشر استخدموا اسم الله فيها وفي قتل الآخر وإيذائه، والله بريء من هذا لأنّه مصدر هذه المحبّة.

وبعد المحاضرة ودعنا القس، ثمّ ذهبنا إلى قاعة الصّلاة، وهي كما أسلفت كبيرة جدّا، ثمّ ذهبنا إلى مطعم هندي في دالاس، يجتمع فيه الملحدون، وهم أقليّة في أمريكا، فالتّدين يغلب على الأمريكيين، وكما أخبروني أنّ الملحد كان قبل أقل من عشرين سنة يتعرض لإقصاء مجتمعي، وإذا علم رئيس العمل بإلحاده قد يفصله من العمل، لهذا قد يستخدم في مكتبه الشّعارات الدّينيّة كالصّور والتّماثيل حتى لا يلفت النّاس إليه، وهنا أن تكون لك ميولات جنسيّة مختلفة أخف بكثير من أن تكون ملحدا، ولكن الآن الوضع انفتح بشكل كبير جدّا، ولكن ليس بتلك الحريّة، خصوصا في تكساس، حيث ينتشر فيها الأنجليكانيون المتعصبون.

والملحدون هنا يطلقون على أنفسهم Ex Christian، أي كانوا مسيحيين فخرجوا من المسيحيّة، وهم ليسوا بالشّريطة دهريين أو طبيعيين لا يؤمنون بالله، فقد يكونوا ربوبيين، أو لا أدريين، وفي دالاس يجتمعون مرتين في الأسبوع، ويعلنون

ذلك عن طريق برنامج Meet Up، وهو برنامج مفتوح للجميع، وميزته لا يوجد فيه مراسلات جانبيّة، فقط يعلن صاحب الدّعوة في أيّ تخصص أو مجال معرفيّ أو اجتماعي أو حياتي أنّه ستكون جلسة ما، ويذكر المطعم والتّوقيت، لمن يحبّ المشاركة، كما فيه خاصيّة أنّ كلّ واحد يدفع فاتورته بنفسه، وهذه عادة طيبة للّقاءات المعرفيّة واستمراريتها بلا تكليف على صاحب الدّعوة، وهنا دفعت فاتورتي، كما وجدتهم كلّ واحد يأخذ ما بقي من أكله فلا يرميه، ويتركون صحونهم نظيفة.

ووجدت أغلب من حضر من الرّجال والنّساء كبارا في السّن، كما يوجد من فئة الشّباب وهم أقل، ويمنع هنا التّبشر لأيّ مذهب أو فكرة، فقط تقتصر الجلسة على الحوار والنّقاش والتّعارف الجانبي، وصاحب الدّعوة يبدو في بداية الخمسين من عمره، يأتي ويجلس مع كلّ واحد بكرسيه المتحرك، وهو مبتسم ويعامل الجميع بلطف، فأنا جلست في طاولة تتسع لعشرة أشخاص تقريبا، وشاركنا الحوار ثلاثة رجال وامرأتان، وأذكر أننا تحدّثنا عن فكرة الإله، وعن نظريّة التّطور، وعن النّازية وارتباطها بنيتشه [ت 1900م]، وعلاقة الدّين بالعلم، وما جاء في سفر التّكوين من العهد القديم، كما تحدّثنا عن وضع الملحدين في أمريكا ودالاس خصوصا.

وبعد اللّقاء كلّ دفع فاتورته، ثمّ رجعنا إلى النّزل لنستعد ليوم آخر، ومع زيارة زيارة مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW كما سنرى في الحلقة القادمة.

زيارة مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW

في صباح يوم الأربعاء الرّابع عشر من أغسطس ارتأى مجموعة من الشّباب أنّ نعمل قراءة في أحد كتبي، واخترت حينها إضاءة قلم؛ لأنّه يتحدّث عن التّعايش، ولكن لظروف طارئة في عدم مناسبة الوقت يومها ارتأينا التّأجيل إلى يوم آخر، بيد أنّ الظّروف لم تتح لكون الجدول مزدحما، فأخذت في الصّباح شيئا من الرّاحة، مع بعض الأعمال الكتابيّة، فقد كنت حينها أصحح كتابي الجمال الصّوتي: مراجعة في النّص الدّيني حول الغناء والمعازف لأجل طباعته من قبل الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، والآن ناشرون في الأردن.

وعموما قبل الظّهر ذهبنا إلى منطقة Compassionate Dallas – FT Worth في دالاس، وهي تبعد عن النّزل عشر دقائق، والمنطقة يكثر فيها الأسواق والمطاعم والمساجد العربيّة؛ لأنّ أكثر العرب يسكنون فيها.

ذهبنا إلى مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW، مع الطّبيب تشالرز باركير، إذ أسس هذه المؤسسة والّتي تعنى بالتّعاطف والتّعايش بين الأديان من جهة، وبين الجنس البشري من جهة ثانيّة، واهتمامهم بالأديان لما لها من تأثير في المجتمع، فإذا قامت رسالتها على التّعاطف والتّعايش، ونشر المحبّة والسّلام، هذا بدوره سيؤثر في شريحة كبيرة من النّاس، إلا أنّ هذا لا يعني إهمال بقيّة أفراد المجتمع، ممّن لهم توجهات أخرى.

ولمّا وصلنا رأينا الطّبيب تشالرز باركير ينتظرنا بالخارج، وهو كبير في السّن، وكان الجوّ رائعا مع المطر الخفيف، والطّبيب وضع هذه المؤسسة التّطوعيّة، وهي عبارة عن بيت قسّمه إلى مكاتب صغيرة، وتساعده في ذلك كما أخبرنا ابنته، والعديد من المتطوعين، والجميل عندهم ممّا وجدته أنّ العمل التّطوعي حاضر بقوّة، والفرد يمارس العمل التّطوعي من صغره، حتّى في يومه بعد عمله يلتحق بأيّ عمل تطوعي

يخدم المجتمع، فإذا تقاعد لا يجد فراغا، بل يساهم في الخدمات المجتمعيّة، أو يؤسس بذاته عملا مجتمعيّا في أيّ مجال كان، حيث أنّ البعد الإنسانيّ حاضر عندهم بقوّة.

في الابتداء أخذنا جولة على البيت والمكاتب، ورأيناه رتّبها في شكل هندسي بديع، من حيث الدّيكور وبساطة المكتب، فغالبها عبارة عن كرسيين أو ثلاثة على طاولة صغيرة، ونافذة مفتوحة على الحديقة ذات الأشجار الجميلة والمنظمة، فيعطيك المكان نوعا من الهدوء والطّمأنينة، كما يوجد عند الدّرج طاولة فيها منشوراتهم، وهي عبارة عن مطويات، وكتاب حول الموضوع أصدرته المؤسسة.

وهنا خيرنا أيّ مكتب نريد تسجيل الحلقة فيه، فاخترنا مكتبا فيه أكثر إضاءة في الطّابق الأعلى، حيث سجلنا معه حلقة حوارات (49) حول مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW، وبثت يوم السّبت في السّابع عشر من أغسطس على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث أنّه لا أحد يولد وفي قلبه الكراهيّة ضدّ أحد، مهما اختلف عنه، فهو مولود على فطرة بيضاء نقية، ومع مرور الزّمن يكسب سلوكيات معينة، لهذا كانت الرّحمة والتّعاطف ضروريّة لهذا الإنسان، ومثل هذا النّقود تحمل وجهين: وجهها الأول المحبّة، ووجهها الثّاني التّعاطف، فبين المحبّة والتّعاطف مشترك كبير.

قلتُ: ولهم مطويّة حول التّعاطف والتّعايش بعنوان: for Compassion تتكون من أربعة نصوص كمبادئ وقيم عامّة يعملون عليها، حيث بيّن الطّبيب تشالرز باركير أنّ هذه النّصوص الأربعة جاءت من قبل شخصيّات دينيّة متعددة، ومن قبل أيضا شخصيات لا دينيّة، وكذلك شخصيّات فكريّة وفلسفيّة، حيث الجميع كتب أو اتّفق مع هذه النّصوص الأربعة، وهذا يعود إلى عام 2008م لمّا كرّمت كارن أرمستروتج بجائزة عالميّة، وهي بريطانيّة الجنسيّة، فلمّا سؤلت ما أمنيتك؟ أجابت: أرجو أن

يجتمع رجال الدّين والفكر عموما معا، ويضعوا نصوصا حول التّسامح والتّعايش، فاجتمعوا في عام 2009م وكتبوا هذه النّصوص الأربعة.

النّص الأول يتحدّث عن التّسامح والتّعايش مع الجميع، فمن حق الجميع أن يعيش في هذه الحياة، وأن يتمتع بما فيها من خيرات، وأن يكون شعارهم: حبّ للآخر ما تحبّه لنفسك، فالغاية نشر السّلام والمحبّة بين الجميع من البشر.

والنّص الثّاني يتحدّث أنّه علينا بشكل عام أو خاص أن نشعر بآلام الآخرين، ونبحث عن هذه الآلام لنقدّم الحلول، ونبتعد عن الأنانيّة، فالكثير من البشر محرومون من أقل حقوقهم الإنسانيّة، فعلينا أن نساعدهم، وأن نسعى في خدمته ولو كان معاديا لنا، لقد خسرنا معركة مواجهة الكراهيّة، فقد شاعت بين البشريّة، ولكن علينا أن لا نيأس، بل نواصل الطّريق في مواجهتها، ليحلّ محلّها المحبّة والتّعايش والسّلام.

والنّص الثّالث يتحدّث عن الأديان في السّابق أنّها كانت سببا في الكراهيّة والصّراع بين البشر، ومع هذا الأديان أيضا حملت فكرة السّلام والمحبّة، وعليه النّصوص القديمة في هذه الأديان إمّا أنّها نصوص تدعو إلى الصّراع والكراهيّة، وإمّا نصوص تدعو إلى المحبّة والسّلام، فنصوص الصّراع والكراهيّة جاءت لزمنها، ولا علاقة لها بزمننا، بينما نصوص المحبّة والسّلام هي الّتي تفيدنا في زمننا، فتعامل مع هذه الأديان وتعاليمها بشكل إيجابي فيما يخدم البشريّة.

والنّص الرّابع يتحدّث عن ضرورة الإسراع في نشر التّعاطف والتّعايش بين النّاس، وأن نحارب الكراهيّة، وكلما اتّحدنا كلّما أسرعنا في كسر خطاب الكراهيّة.

وبعد قراءة هذه النّصوص الأربعة يواصل حديثه: سبب وجود صراع في النّصوص الدّينيّة القديمة أنّ البشريّة حينها كانت في البحث عن سبب الوجود، وعن خالق الوجود، إلا أنّه أيضا بسبب الجوع والبحث عن الطّعام كانت القبائل تتقاتل

فيما بينها، والإله سمح لهم بذلك لأجل الحياة وبنائها واستعمارها، وأنا كمسيحي أجد في العهد القديم من الكتاب المقدّس من النّصوص الّتي تدعو حتّى إلى قتل الأطفال والنّساء، كما توجد نصوص تدعو إلى التّسامح والمحبّة، فعلينا أن نتجاوز نصوص الكراهيّة والعداوة، ولا نشتغل بها، ونتمسك بنصوص المحبّة والتّعايش والتّسامح.

وأنا كطبيب أيضا أدرك أنّه يوجد مكان في أسفل الرّأس من الخلف يهيّج الصّراع ممّا يؤدي إلى القتل، بينما في أعلا الرّأس من الأمام يوجد مكان يدعو إلى التّعقل، فعلينا أن نأخذ بمقدّمة الرّأس، ولا يسيطر علينا آخر الرّأس.

وممّا يهدد المجتمع البشريّ الصّراعات الثّلاثة: الدّينيّة والعرقيّة والسّياسيّة، وخطورة الصّراع الدّيني أنّه ينطلق من دائرة الغيب، وكذلك الصّراع العرقي خطورته خصوصا في اللّون واللّغة، وأمّا السّياسات فتختلف، فقد تستغل الدّين والعرق في تأجيج الصّراع، وقد تحجّم من ذلك، وتكون سببا في التّعاطف والتّعايش، وهناك إشكاليّة في السّياسات أنّها تهتم بالتّعاطف والتّعايش في دولها من باب المواطنة، لكنّها لا تهتم بذلك في الدّول الأخرى، أو تكون سببا في نشر الصّراع في أماكن من العالم.

وإذا كانت الأديان جاءت لتحقيق المحبّة وفق تعاليم تناسب ذلك الزّمان؛ فنحن اليوم بحاجة أيضا إلى تحقيق هذه المحبّة من خلال تعاليم نصنعها نحن، وتحقق ذات الغاية بما يناسب زماننا.

وإذا كان الطّفل يولد بلا كراهيّة، فيجب علينا تعميق المحبّة والتّعاطف والتّعايش بين الأطفال، خصوصا الأطفال من ثلاث سنوات إلى ست سنوات، ونعمّق فيهم أن يحبّوا جميع البشر، وأن نكرّس فيهم قيمة المساواة بين الجنس البشري، وفي هذه المؤسسة نظام دراسي من الطّفولة وحتّى اللّحد، فالكبار أيضا بحاجة إلى تعميق المحبّة والتّعاطف والتّعايش، وبهذا في المؤسسة نساهم ولو بقدر بسيط لأجل الإنسانيّة.

وفي العشر السّنوات الماضية قامت المؤسسة بعقد العديد من المؤتمرات والنّدوات، وعندنا يوم في السّنة نمشي فيه، ونعرّف النّاس بهذه القيم، ونتجمع في هذه المنطقة – أي Compassionate Dallas – FT Worth -، وهي أيضا منطقة تجمع الأديان.

ولأقرب الصّورة لك أكثر؛ لمّا نجتمع نشرب ثلاثة أكواب من الشّاي، الكوب الأول أعرّف لك بنفسي، والكوب الثّاني أتعرّف عليك، والكوب الثّالث نتباحث معا في جوانب معرفيّة وحياتيّة، وهكذا يكون بين الأديان، وأنا جلست مع جميع الأديان الموجودة هنا، ونتج عن هذا تجمع الأديان في السّنة، ونعمل طعاما للفقراء والمحتاجين، ونقدّم معا مائة ألف وجبة لطلاب المدارس، ونساهم في مساعدة المشردين، وأفضل ما حققناه أننا خرجنا من حيّز الذّات والمذهب والدّين إلى حيز الإنسان.

ورسالتي الأخيرة إنّ الحياة قصيرة، فعلينا أن نستمتع بها، ولا يكون إلا بنشر روح السّلام والمحبّة والتّعايش، ومحاربة الكراهيّة، فلنعش في سلام، ونضع أيدينا معا لأجل السّلام.

وبعد هذا اللّقاء أخذنا جولة أخرى في المؤسسة مع بعض الحديث الجانبي، ثمّ ذهبنا للغداء، وبعدها جولة بسيطة في دالاس، لنستعد ليوم جديد، ومع زيارة الكنيسة الأرثذوكسيّة، وتسجيل حلقة معها، كذلك تسجيل حلقة مع مؤسسة مساواة دالاس كما سنرى في الحلقة القادمة.

زيارة وتسجيل حلقة مع كاتدرائيّة الأرثوذوكس وتسجيل حلقة مع مؤسسة دالاس مساواة

في صباح يوم الخميس الخامس عشر من أغسطس ذهبت إلى مول نورث بارك، وجلست في ستار بكس في المول حتّى الغداء، للقراءة والدّبلجة والتّحميل، ثمّ ذهبنا إلى منطقة Holy Trinity Dallas، وهي قريبة من شارع Hillcrest Road، وهي منطقة راقية، يقطنها العديد من الطّلاب بسبب وجود كليّة فيها، حيث تتوفر فيها السّكنات الخاصّة بالطّلاب.

وهنا ذهبنا إلى كاتدرائيّة الأرثوذوكس، وكان لدينا موعد مع البابا جراسر، فانتظرنا قليلا في الخارج، ثمّ أتى إلينا يمشي بسكينة كمشية الرّهبان، وزاده وقارا جسمه الضّخم ولحيته الكثيفة والطّويلة، ولباسه الدّيني الأرثوذوكسي، إلا أنّه كان كثير الابتسامة، ويستمع إليك جيّدا مع ابتسامته الّتي لا تفارقه في سماعه، وهو ولد في كاليفورنيا، وله أخوان، ومتواصل مع جميع الكنائس الأرثوذوكسيّة في العالم، وقريبا كان في الأكوادور، ولمّا دخلنا أعطانا جولة عامّة حول الكاتدرائيّة، وأذكر أنني سألته عن الرّسومات وعن الكراسي في الكنيسة، وفكرة الرّسومات تحدّثنا عنها سابقا في الرّحلة البحرينيّة أثناء الحديث حول الكنيسة المشيخيّة ورأينا أنّها دخلت متأخرة، وتقبلتها الكنيسة الأرثوذوكسيّة لأنّها تضيف جوّا من الجمال والرّوحانيّة كالموسيقى، وأخبرني أنّ كنيستهم في الأصل لا يوجد بها كراسي، ولكن حدث هذا مع تطور الكنيسة وخصوصا في الغرب، وقام يشرح لي أسرار الكنيسة وخصوصا سرّ القربان، وأدخلني قريبا من المكان حيث طاولة القربان، إلا أنّه اعتذر لي عن الدّخول لقداسة المكان عندهم، كذلك تحدّثنا عن الحضور الأرثوذوكسي في أمريكا عموما، وتكساس خصوصا، وأنّهم أقليّة من حيث العدد.

عموما طلبت منه تسجيل حلقة حول الكنيسة الأرثوذوكسيّة، فوافق، واقترح علينا أن نسجل في الأعلى قريب طاولة القربان، فأسعدني ذلك كثيرا؛ حيث روحانيّة

المكان وقداسته، فسجلت معه ضمن برنامج حوارات الحلقة (50)، في السّاعة الثّانية ظهرا، وبثت يوم الأحد 18 أغسطس على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث عن الأرثوذوكسيّة أي الطّريقة الصّحيحة [أو المستقيمة]، وكانت توجد مذاهب قبل ظهور الأرثوذوكس[1]، فالأرثوذوكسيّة أرجعت هذه المذاهب إلى الطّريقة الصّحيحة الّتي كان عليها السّيد المسيح، وممّا يدل على صحتها وجودها في الأماكن الأولى كما في فلسطين ومصر.

ولمّا كان الصّراع شديدا بين الآريوسيين والأرثوذوكس، وكان النّقاش بينهما شديدا في الكنيسة قرب أسطنبول [وفي مصر]، حيث يرى الآريوسيون [نسبة إلى آريوس ت 336م، وكان راهبا في الأسكندرية، ورأيه "إنّ الآب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن"[2]]، بينما يرى الأرثوذوكس إذا كان عيسى هو ابن الله؛ إذا فله طبيعة الآب، والآب والابن حقيقة واحدة، والتّمايز في الأبوة والبنوة لا في الحقيقة والجوهر.

والأرثوذوكس انتشروا أكثر في الدّول الشّرقيّة، في بلاد الشّام ومصر والسّودان والحبشة وتركيا وروسيا، كما انتشرت في أروبا وأمريكا، وغيرها، بينما الكاثوليك اتّجهوا نحو الغرب في الجملة، ولهذا الاختلاف في الأماكن سيؤثر في بعض التّصورات اللّاهوتيّة، كما سيوثر في تفاسير بعض الطّقوس [مع اشتراكهم في الطّقوس الكنسيّة: الأسرار السّبعة]، [وأصل الخلاف هل للمسيح طبيعتان أم طبيعة واحدة، فذهب الكاثوليك أنّ له طبيعتان: لاهوتيّة وناسوتيّة، خلاف الأرثوذوكس يرون له طبيعة

---

[1] الأرثوذوكسيّة في نظري امتداد للبولسيّة [نسبة إلى بولس الرّسول] ضد النّصرانيّة ابتداء بعد مجمع أرشليم (50 و51م)، وبعد دخول قسطنطين [ت 337م] المسيحيّة، تبنى الجانب المسيحي القائم على عقيدة التّثليث بعد مجمع نيقيّة [325م]، إلا أنّ الافتراق داخل الخط المسيحي بين الكنيسة الغربيّة [الكاثوليك]، والكنيسة الشّرقيّة [الأرثوذوكس] كان بعد مجمع خلقيدونيّة (451م).

[2] أبو زهرة: محمّد؛ **محاضرات في النّصرانيّة**، ط مطبعة المدني/ مصر، الطّبعة الثّالثة، 1385هـ/ 1966م، ص: 136.

واحدة فقط، أي لاهوتيّة، وأنّ لاهوته لم تفارق ناسوته]، ويرى الأرثوذوكس أنّ الرّوح القدس منبثقة من الآب وحده [خلاف الكاثوليك يرون منبثقة من الآب والابن معا]، ويرى الأرثذوكس أنّ مريم لم تولد معصومة ولكن طهرت نفسها خلاف الكاثوليك الّذين يرون أنّها ولدت معصومة وطاهرة، [ويشتركان في شفاعة مريم، إلا أنّهم يختلفون في منح الشّفاعة للقدّيسين، فيوسع في ذلك الكاثوليك، بينما يرى الأرثوذوكس صعوبة تحقق ذلك مع إمكانيته، وتتفق الكنيستان أنّ مريم هي أم الله خلافا لكنيسة القدّيسين - وهي كنيسة قديمة مستقلة – لا ترى مريم أمّ الله؛ بل والدة المسيح].

وأصل فكرة الكنيسة أنّها تكون في العالم الآخر؛ إلا أنّه عمليّا ظهرت بعد قيام المسيح من بين الأموات، وظلّ أربعين إلى اثنين وأربعين يوما، ثمّ بعده جاءت الرّوح القدس إلى الرّسل، ومن هؤلاء الرّسول بولس.

وأعظم كنيسة أرثذوكسيّة في أسطنبول في تركيا، ثمّ الأسكندرية، وهي ترجع إلى أسطنبول، ثمّ القدس، وهي ترجع إلى الأسكندرية، ثمّ روسيا، وروسيا ترجع إلى القدس، وبينهم اتّحاد واحد فيما يتعلق بالشّرق والمشرقيين، والمشرقيون لهم انتشار في أروبا وغيرها أيضا مثل ألمانيا.

والكتاب المقدّس بما فيه الأناجيل الأربعة لم ينزل مكتوبا من عند الله، ولكن كتبها الرّسل تحت مشيئة الله، وهكذا الرّسائل الملحقة وأعمال الرّسل، وأمّا الكتب الّتي ظهرت بعد ذلك كإنجيل برنابا ويهوذا وغيرها فقد كتبت لأغراض أخرى لهذا هي غير قانونيّة، وتوجد كتب يهوديّة أيضا غير العهد القديم نتعامل معها بحذر، وإن كنّا نستفيد منها.

ولمّا نرجع إلى العهد القديم في سفر التّكوين [إصحاح: 1، آية: 27]: "فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ"، فنحن نشبه الله،

والسّؤال: كيف نشبهه ونحن لم نره؟ ولم نجد لهذا جوابا في سفر التّكوين، وبالتّالي المسيح يشبه الله، [أي أيقونة الرّب]، ونحن هنا نجسّد عيسى في أقواله وأفعاله، وكذا بولس يشبه الله أيضا.

ونحن نؤمن بالاعتراف والغفران، وهو موجود في العهد القديم، فهناك من فعل الخطايا والله تاب عليهم وغفر لهم، ورجال الدّين عندنا أكرمهم الله بهذه السّلطة، فيغفرون الخطايا.

ونحن نؤمن بالجنّة والنّار، والجنّة في السّماوات عند نزول المطر، والرّب جالس فوق السّماء يحكم العباد، والنّار مذكورة في العهد القديم باسم جهنّم، وهو نفس المصطلح العربي.

والقوانين المسيحيّة أخذت من اليهوديّة، ومن هؤلاء الرّسل الّذين أتوا من جبل صهيون[1]، وبشر بهم العهد القديم [كقضيّة رفع الختان مثلا].

وأول الأسرار السّبعة سر المعموديّة، والتّعميد موجود قبل المسيحيّة، فيوحنا المعمدان [أي يحيى][2] كان يعمّد، وغير المعمّد ليس مسيحيّا، والتّعميد عندنا بعد الولادة بغمس المعمّد في الماء، ويستحبون الحركة في الماء، ثمّ يختارون اسما مسيحيّا له، أو سمّوه بأحد أسماء القدّيسين.

والسّر الثّاني سر الميرون، [أي سر الحياة بمعنى العطر أو الزّيت المعطر]، ويكون بعد التّعميد، والزّيت يطحن ويطبخ، ثمّ يوضع على أجزاء الجسم كعلامة

---

[1] الجدل الأول الّذي حدث في المسيحيّة أنّ فئة النّصارى ترى أنّ المسيح بقي على الشّريعة اليهوديّة، ورفضوا ما جاء به الرّسل بعده من تعاليم كبولس وبرنابا، إلا أنّ المسيحيّة استقرت على ما جاء به الرّسل، بجانب القوانين اليهوديّة، وأيضا دخول القوانينين الرّومانيّة إليهم كما سنرى في ملحق الكنيسة المارونيّة مع الآب حنّا أسكندر.

[2] سنجد حضور التّعميد عند الصّابئة أيضا، وارتباطهم بتعميد النّبيّ يحيى، كما سنرى في ملحق الدّيانة الصّابئيّة مع الدّكتور بهادر قيّم.

الصّليب، على جبهته وأنفه وصدره وظهره ويديه ورجليه، وسائر أجزاء جسمه، [وفي الكنيسة الأرثوذوكسيّة ست وثلاثون رشمة على جميع أجزاء الجسم].

والسّر الثّالث سر القربان المقدّس [الأفخارستيا]، [وهو مذكر بالعشاء الأخير للمسيح قبل أخذه للرّومان أيام الفصح]، حيث توجد طاولة في أعلا الكنيسة في مكان القربان المقدّس، فنضع فيها الخبز المجسّد لجسد المسيح، والخمر المجسّد لدمه، والخمر يؤتى من منطقة جبل أرارات في تركيا، ونسبة الكحول فيه بسيطة لا يصل إلى السّكر، فيأتي الرّوح القدس، ويوم الأحد نمزج الخبز والخمر، ويقدّم للنّاس يوم الأحد.

والسّر الرّابع سر التّوبة والاعتراف، والإنسان بطبعه يقع في الخطايا، لهذا لابدّ من التّوبة، والقساوسة يغفرون له ويسامحونه، والأصل يعلن خطيته في العلن، وإن أرادها سرا فله ذلك.

والسّر الخامس سر الزّواج، والزّواج مقدّس باسم الآب والابن والرّوح القدس، ويقرأون في الزّواج آيات من العهد القديم، مثل آيات زواج إبراهيم بسارة، وزواج يعقوب براحيل، ويوسف بأسينات، ويمكنه أن يتزوّج الثّانية حال وفاة الأولى، أو حالة الطّلاق، وهو ليس سهلا وقوعه في الكنيسة الأرثوذوكسيّة، ويقرأون في هذه الحالة آيات أخرى.

والسّر السّادس سر صحة المرض، وهذا مرتبط بالشّفاء، والعديد يذهب إلى المستشفيات لطلب الشّفاء، والطّبيب يعطيه دواء مؤقتا، والشّفاء هنا شفاء دائم، وبعد توبة المريض يجلسون للدّعاء، يجتمع سبعة قساوسة، كل واحد يتلو آية ويدعو، ثمّ يضعون فيه سبع رشمات في سبعة أماكن، ورقم سبعة عندنا مقدّس، فأيام الاسبوع سبعة، وبولس بيّن أنّه يوجد سبع هدايات، كما أنّ رقم ثلاثة أيضا مقدّس.

والسّر السّابع هو سر الكهنوت، وفي الكنيسة عندنا ثلاثة أنواع من رجال الدّين، أعلاهم البطريرك، ثمّ القساوسة، ثمّ الخدام [الشّماسة]، ويتم اختيار البطريرك من ثلاثة مرشحين، ويسجد ثلاث مرات حتّى يصل إلى المكان المقدّس [أي طاولة القربان]، ويطوف عليه ثلاث مرات، ثمّ يشاور النّاس فيه ولصلاحه لهذه الرّتبة الكنسيّة، فإن رضوا به تكون له رمزيّة مقدّسة عند الآب والابن.

ويصح في الكنيسة الأرثوذوكسيّة زواج القسيس قبل الرّهبنة، ويحق أن يكون لديه زوجة وأولاد، والكنيسة الأرثوذوكسيّة لا تجيز المثليّة؛ لأنّه تذهب بذلك البركة من الكنيسة، وتحرّم أيضا الكنيسة الإجهاض، فالطّفل نعمة وبركة، ولا يجوز حرمانه من الحياة ولو كان لسبب الفقر.

وهذه الكاتدرائيّة بنيت عام 2000م، ويقام هنا القدّاس أيام الأربعاء والجمعة، وفيها العشاء الأخير، بجانب السّبت والأحد، ويوم الأحد مقدّس، ويحضر يوم الأحد أكثر من مائتي شخصا، ويقل في الأيام الأخرى.

وبعد التّسجيل طلبت منه الدّعاء، فدوّن اسمي كاملا مع اسم الوالدة، ثمّ ودّعنا باتسامته المعهودة، وبعدها ذهبنا إلى مول ول مارت، حيث اشترينا بعض الأغراض النّباتيّة لطبخها للعشاء، حيث يشرفنا في نزل الأستاذ بيان الأستاذان مورك وفيك من مؤسسة دالاس مساواة، والمؤسسة هدفها تعميق قيمة المساواة في المجتمع التّكساسي خصوصا في دالاس، ويركزون على جانب المساواة بين الذّكر والأنثى وما يتعلق بالجندريّة، والأستاذ مورك من المترشحين في بلدية تكساس، وخسر بأصوات قليلة من منافسه، وهو من مؤسسي مؤسسة مساواة دالاس، ومن المدراء النّافذين فيها، ويعمل أيضا في جمعيّة حقوق الإنسان في تكساس.

وصل الأستاذان مبكرا، وقمنا بإعداء العشاء النّباتي، ثمّ كان العشاء، وبعدها سجلنا حلقة عن قيمة المساواة من خلال نظرة مؤسسة مساواة دالاس، ضمن برنامج حوارات حلقة (51)، السّاعة الثّامنة مساء، وبثت يوم الثّلاثاء 20 أغسطس.

في البداية تحدّث أنّ قيمة المساواة مرتبطة بالإنسان، وهي حق لجميع البشر، ويرتبط بها حق الحياة، وفي عام 1964م كانت قوانين في أمريكا تحمي البشر وحقوقهم الإنسانيّة في العرق والدّين والجنس، وأعطت الحرية لجميع الأديان بلا تفريق، وسابقا كان الدّين مسيطرا على القانون فظلمت باقي الأديان [لأنّه سيتكئ على دين واحد]، وأمّا الآن فالقانون مسيطر على جميع الأديان، ويضيف فيك أننا نشترك في أشياء كثيرة، ولكن للأسف نركز على المختلف.

وفي أمريكا يشترك الجمهوريون والدّيمقراطيون في تمكين القيمة الإنسانيّة، وإعطاء المجتمع حقّه الإنسانيّ، ويفترقان أنّ الديّمقراطيين يرون على الحكومة السّعي في توفير هذه القيمة الإنسانيّة مع الحرّيات، بينما يرى الجمهوريون على الفرد أن يقوم بنفسه لإقرار ذلك.

ويعتبر الصّراع العرقي من أخطر الصّراعات المؤثرة على قيمة المساواة في أمريكا، ومع هذا يصعب تحديد الأسوأ من حيث درجة الصّراع الدّيني والسّياسي، ولكن في نظري الصّراع العرقي سبب كبير حتّى في الصّراع الدّيني، ويكون منشأ الصرّاع الدّيني كثيرا سببه عرقي، وهذا يغلب في أمريكا خلاف إيرلندا مثلا يغلب عليهم الصّراع الدّيني بين الكاثوليك والبروتستانت، ويضيف فيك: هذا مثل ما قلناه سابقا، يتركون جماليات الدّين إلى الأشياء السّيئة المنسوبة إليه [ولعلّه يريد ما يتعلق بظرفيات الأديان فيشتغلون بها، ويتصارعون حولها، ويتركون جوهر الأديان من حبّ وتعايش وسلم مثلا].

وسألتهم: ألا يمكن للسّياسي أن ينادي بهذه المبادئ المتعلقة بالمساواة والحريات ثمّ يخالفها عند الفوز؟ أجاب مورك: لا أتصوّر ذلك، فالسّياسي يريد الفوز والوصول إلى الحكم، ولا يكون هنا إذا أضرّ بهذه القيمة، وعند فوزه في الأولى يرغب في التّرشح للثّانية فيحافظ عليها، حتّى لا يفقد جانبه الاجتماعيّ، وجمهوره في الحزب، ويضيف فيك: أنا لا أخاف من الأساس من السّياسيين، حتّى ولو قالوا بذلك وخالفوه بعد فوزهم مثل ما نراه الآن مع ترامب؛ ولكن أخاف من المجتمع عندما يعارضون هذه القيمة، أو ينافقون حولها، ويستبدلون المساواة بالتّعصب والتّمييز العنصري في المجتمع.

ويواصل مورك قائلا: نحن بحاجة إلى قوانين تحمي الحقوق والمساواة، ويوجد أشخاص في المجتمع ضدّ المساواة، وإذا لم توجد قوانين تحمي المساواة سيزداد التّعصب العنصري، وأنا محامي في الأصل، وأفهم مثل هذه القضايا.

وعلينا هنا أن نعرض أفكارنا المتعلقة بالمساواة، وننشرها في المجتمع، خصوصا مع الطّلاب، وأن نشجع على السّياحة لتتلاقح الثّقافات، ونغرس مثل هذه القيم، ويرجعون بها إلى بلادهم، كما نستفيد منهم، ويضيف فيك: أفضل طريقة في نظري علينا أن نتعرّف على الآخر؛ لكي نكسر حاجز عدم فهم الآخر، ففهمنا للآخر نقترب منه ونستفيد أكثر.

وأيام الحروب الأهليّة قام جيم كرو ببث قوانين الكراهيّة في المجتمع الأمريكي، ونتيجة الوعي قلّت بصورة كبيرة جدّا، ولا يكاد تذكر، وأنا ولدت في عام 1960م، وأذكر كانت الحمامات منفصلة بين البيض والسّود، فللبيض حماماتهم الخاصّة، ولا يمكن أن يدخلها السّود، واليوم انتخبنا رجلا أسود – أي أوباما -، وأصبحت الأمور أفضل بكثير من السّابق، ويضيف فيك: الكراهيّة اليوم في أمريكا قلّت بشكل كبير جدّا بدليل

لو أحد بثّ الكراهيّة في المجتمع لثار عليه النّاس، ومع هذا توجد أقليّة تحمل الكراهيّة، ولكن صوتها يكون أحيانا مرتفعا.

وفي الأخير يؤكد فيك أنّه يجب أن نتعرف على الآخر، وأن نزوره ونجلس معه؛ لنكسر حاجز البعد، كما يؤكد مورك لا ننظر إلى أمريكا من خلال رئيسها وخطاباته، علينا أن ننظر إلى الشّعب الأمريكي، فأمريكا بشعبها شيء آخر تماما، فعلينا دوما أن لا نكره آلاخر؛ بل نحبّه، وهو شخصيّا دائما يحلق مع محل لأسرة أفغانيّة مسلمة، ولدينا علاقة جيدة مع هذه الأسرة المسلمة، ومع كافة المسلمين والأديان الأخرى.

وبعد اللّقاء ودعنا الأستاذان مورك وفيك، لنستعد ليوم آخر لتسجيل حلقة حول حلقات تدريس النّاشئين عند البهائيّة، وتسجيل حلقة أخرى حول فلسفة الوحدة والحوار مع الأديان كما سنرى في الحلقة القادمة.

تسجيل حلقة حول حلقات تدريس النّاشئين عند البهائيّة، وحلقة أخرى حول فلسفة الوحدة والحوار مع الأديان

في صباح يوم الجمعة السّادس عشر من أغسطس كان مشرق الأذكار، وسبق الحديث حوله سابقا، وكان ممّن حضر الأستاذ إليكس، وهو أصله مسيحيّ من المكسيك، اعتنق البهائيّة، ويسكن حاليا في دالاس بولاية تكساس، وله دور كبير في الاهتمام بحلقات النّاشئين، وهي فكرة بهائيّة تعنى بنشر التّعليم للنّاشئين عن طريق الحوار وغرس العمل الاجتماعي، بجانب قيم المساواة والمحبّة، وهي ليست محصورة على الجامعة البهائيّة، لهذا سنجد مثلا في دالاس ممّن يحضر هذه الحلقات من كافة الأديان والتّوجهات، ويحضرها حوالي مئتان طالبا، وأغلبهم من المسلمين، لكون أغلب الجاليات في ويكوري ميدو من المسلمين البورميين، لهذا سجلت حلقة مع الأستاذ إليكس حول حلقات النّاشئين تجربة من دالاس، ضمن برنامج حوارات الحلقة الثّانية والخمسين، في السّاعة الثّامنة صباحا، وبثت يوم الأربعاء الحادي والعشرين من أغسطس، وأليكس شاب متواضع جدّا، وصوته جميل جدّا، ويدعو ويغني باللّغة الأسبانيّة، وأجد فيها تقاربا مع اللّغة العربيّة، كما أجد المكسيكيين و اللاّتينيين عموما يقتربون من الجنس العربي في ملامحهم وهيئاتهم وجمالهم، ورجوت لو أزور أمريكا اللّاتينيّة، وأخبرت بذلك إليكس ورحب بالفكرة، وعسى يتحقق ذلك يوما.

في البداية تحدّث الأستاذ إليكس أنّ غايتهم تقويّة النّاشئين روحيّا في الابتداء، وهذه الحلقات تضمّ أفرادا من الطّفولة وحتّى مرحلة الشّباب، حيث هذه المرحلة من أهم المراحل وأخطرها الّتي يمر بها الإنسان، فإذا وصل سنّ البلوغ مثلا استطاع التّفريق بين الصّواب والخطأ، لهذا قبل الوصول إلى مرحلة البلوغ تركز هذه الحلقات على غرس المبادئ والقيم والأخلاق.

والاهتمام بالنّاشئين عموما يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة: أولا التّعبير عن الأفكار، فعند النّاشئة أفكار جميلة، ولا يستطيعون التّعبير عنها، فهذه الحلقات تفتح له ذلك بحريّة بعد تعلّمه للقراءة والكتابة، والثّاني لكي يستطيع النّاشئ بنفسه أن يميز بين الصّواب والخطأ، وبين الإيجاب والسّلب، والثّالث خدمة المجتمع، منطلقين من الجوانب الرّوحانيّة والأخلاقيّة معا.

وهم يركزون على جانبين: تنمية الفنون وخدمة المجتمع، والفنّ وخدمة المجتمع هدفه تحقيق المحبّة والصّداقة والأخوة، ويهتمون بأشياء بسيطة، لكن لها معاني كبيرة، مثل تنظيف الطّرق والشّواطئ، وزيارة المرضى وكبار السّن، وإعادة تصنيع بعض ما يرمى في القمامة، كما يغرسون في النّاشئة مساعدة الفقراء والمشردين عمليا، كما يهتمون بالمشردين داخليّا بغرس فيهم أهميّة روح العمل والاعتماد على الذّات، ومن ذلك بعض النّاشئين يصنعون الكعك بأنفسهم، ثمّ يبيعونها، وبثمن بيعها اشتروا من الملابس والأحذية للفقراء والمشردين.

والمراحل عندهم من من خمس إلى عشر سنوات تعتبر مرحلة الطّفولة يدرسون فيها الأخلاقيات المتعلقة بالأطفال، ومن إحدى عشر إلى أربعة عشرة سنة للنّاشئين، يدرسونهم من كتاب نسائم التّأييد إلى بوارق الأمل وغيرها، ومن ستة عشر سنه فما فوق لهم مناهج روحيّة متخصصة، بجانب جلسات الدّعاء، ويشركون معهم جميع الأديان، حيث يدعون إلها واحدا، مع جلسات النّقاش والحوار بعد جلسات الدّعاء.

في الابتداء يدرسونهم كتاب نسائم التّأييد، ويغرس هذا الكتاب في النّاشئة أنّ الحياة ليست سهلة، فعلى الإنسان أن يتحمّل، وأن يستصحب معيّة الله في حياته، ويتكوّن من إحدى عشر إلى خمسة عشر مرحلة، أي من الأجزاء، والكتاب الأول مخصص من الّذين أعمارهم خمس إلى عشر سنة، وتشمل أيضا هذه الكتب علوما

أخرى كالرّياضيات، والجغرافيا، وعلوم الطّبيعة والفيزياء وغيرها، بجانب تعليم القراءة والكتابة وكيفيّة التّفكير والتّعبير والحوار.

والكتب عموما على نوعين: نوع فيها آثار البهائيّة بدرجة بسيطة دون الإشارة إلى الأسماء، ونوع فيها آثار البهائيّة بصورة كبيرة مع الأسهاب في الاقتباس وذكر الأسماء، والإشارة إلى نصوصهم؛ لأنّ الفكرة بهائيّة، ولكن هذه النّصوص ليست تبشيريّة، وإنّما دعوة إلى القيم العليا الّتي تحقق وحدة الجنس البشري.

وهذه الكتب عموما ليست مخصصة للبهائيّة، ولكن من منطلق إيمانهم أنّ بهاء الله جاء بأدبيات تدعو إلى وحدة الجنس البشري.

أمّا حلقات تدريس النّاشئين بدأت في دالاس قبل عشر سنوات، ويحضرها العديد من مختلف الأديان، وحققوا نتائج جيدة، منها مثلا طفل من أسرة مسيحيّة كاثوليكيّة كان بعيدا عن الدّين هو وأسرته، ولما حضر هذه الحلقات، ورجع إلى أسرته؛ طلب أن تكون حلقات دعاء في البيت، وطلب منهم الذّهاب إلى الكنيسة أيضا للدّعاء والصّلاة.

وكما تعلم هنا في أمريكا ينتشر شرب الكحوليات والمخدرات، لذا لهذه الحلقات دور في غرس الأخلاق والقيم الرّوحيّة في النّاشئة، كذلك لا يوجد في أمريكا اهتمام كبير بمواهب النّاشئين، فتحاول هذه الحلقات تنمية هذه المواهب أيّا كانت.

ومعظم النّاشئين يعشقون الكرة، ويرغبون أن يكونوا لاعبين مشهورين في نوادي عالمية، وأن تكون لهم قنوات يوتيوبيّة، وبعد هذه الحلقات تبين للنّاشئين أنّ لهم مواهب أيضا أخرى، مثلا اكتشفوا أنّ البعض لهم رغبة في الجانب الميكانيكي المتعلق بالسّيارات، فربطتهم الحلقات بورشات تصليح السّيارات ليكشفوا مواهبهم، ويدركوا كيفيّة تركيبها وصناعتها.

وفي أمريكا حريّة سياسيّة وعرقيّة ودينيّة، لهذا يجدون هنا تقبلا في حلقاتهم من جميع الأديان والأعراق، كما يجدون الحرية الكاملة في ممارسة حلقاتهم كغيرهم من التّوجهات الأخرى، ومن باب العلم مثلا رسلوا إلى رئيس البلديّة وشرحوا له الفكرة، ورحب بذلك وشجع، إلا أنّه على مستوى الأسر قد لا تتقبل بعض الأسر لأسباب دينيّة، وهذا شيئ طبيعي، ولكن نجد أيضا تقبلا من العديد حتّى على مستوى الكنائس، ففي إحدى المناطق مثلا تعاني من أخلاقيات سلبيّة كثيرة عند النّاشئة، وعجزت الكنيسة من علاجها، ولمّا سمعت بهذا الأثر الّذي تحققه حلقات النّاشئين من قبل الجامعة البهائيّة [أي المجتمع البهائي]، فطلبت منهم إقامة هذه الحلقات في هذه المنطقة، وكان لهذه الحلقات تأثير حسن وجيّد في تنمية السّلوكيات الحسنة، وعلاج السّلوكيات السّيئة في هذه المنطقة عند النّاشئين خصوصا.

وعموما أصبحت هذه الحلقات منتشرة في العديد من دول العالم، لهذا نحن نستفيد منها، مثلا توجد جزيرة في المحيط الهادي، كان العديد في السّجون، وبعد هذه الحلقات لاحظوا تدني مستوى الجريمة، وبالتّالي انخفاض معدل المساجين، فهذه الحلقات تقدّم خدمات إيجابيّة للنّاشئين خصوصا، والمجتمع عموما.

وبعد تسجيل الحلقة ذهبنا إلى الفطور، وأخذنا حديث طويل، ثمّ أخذنا شيئا من الرّاحة، لنذهب إلى مول نورث بارك في السّاعة الثّانية عشر ظهرا، حيث عندنا موعد مع البرفسور توماس مكفول، وهو عالم في الأديان معروف في أمريكا وتكساس، ويدرس علم الأديان، ومهتم بتحقيق الحوار والسّلام والتّقريب بين الأديان، فوجدته ينتظرنا مع زوجته في المول، وهو رجل على كبر علمه وسنّه إلا أنّه متواضع جدّا، ثمّ ذهبنا إلى حديقة المول لأنّه كان مزدحما حيث وقت الظّهيرة، وهذا الوقت يزدحم فيه المول عندهم والمجمعات والأسواق، فسجلنا مع البرفسور حلقة حول فلسفة الوحدة والحوار بين الأديان في السّاعة الواحدة ظهرا ضمن برنامج حوارات الحلقة الثّالثة والخمسين، وبثت يوم الخميس الثّاني والعشرين من أغسطس.

في البداية تحدث أنّه توجد قوّة في الخارج، وهي الله بالمعنى الشّمولي حاضر في جميع الأديان، وهناك إله الأديان، ودرجته أقل من حيث تصوّرات كلّ دين حول الإله، فجميعها تنظر إلى هذه القوّة في الخارج، ولكن ستختلف تصوّراتها حول هذه القوّة، لهذا الأديان متطوّرة من بعضها، ومتطوّرة في نظرتها إلى الإنسان ومعالجة قضايا البشريّة، ومع كوني مسيحيّا إلا أنني أجد البهائية أكثر الأديان تطوّرا في نظرتها إلى الإنسان، ومعالجة قضاياه، والأديان جميعها واحدة مثل الكونفوشيوسيّة أو الهندوسيّة أو البوذيّة، والبوذيّة ليست ديانة توحيديّة بل أقرب إلى الإلحاديّة، إلا أنّ التّعاطف والقيم الموجودة فيها لا يخرجها عن الأديان، وتمثل الإله في صورة أخرى غير التّصور التّقليدي والظّاهري عند باقي الأديان، وهكذا إذا جئنا إلى الأديان الإبراهيميّة كاليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، فحظور الإله ظاهر فيها ومتشابه، وأمّا الملحدون [الدّهريون والرّبوبيون وألا أدريين] هم يبحثون عن الإله، فلا نجعلهم على الهامش، بل نقربهم، ونتحاور معهم، فقد يصلون إلى الإله يوما ما.

وأقدم الدّيانات في نظري الهندوسيّة والزّرادشتيّة واليهوديّة، وهي الدّيانات الرّئيسة الموجودة اليوم، وهذا يعني وجود ديانات قبلها، وهي شبه منقرضة، وهذه الدّيانات لا يمكن تحديد الأقدميّة منها، وهي تعود من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف سنة، والهندوسيّة الأكثر عددا، حيث يزيد أتباعها عن بليون نسمة، ثمّ تليها الزّرادشتيّة وعددها ليس كبيرا، وكذا اليهوديّة، ومن اليهوديّة انبثقت المسيحيّة والإسلام والبهائيّة، وأمّا السّيخيّة فانبثقت من الهندوسيّة والإسلام.

فالدّيانات حالة طبيعيّة، ولكن تكمن خطورتها إذا أقصت الآخر ورفضته وكفرته، ولكن إذا سادت فيها القاعدة الذّهبيّة حبّ للآخر ما تحبّه لنفسك، وعامل الآخر كما تحبّ أن يعاملك الآخرون؛ وهذه قاعدة موجودة في جميع الأديان، وبها سنعيش جميعا في محبّة وسلام.

ومن فكرة البهائيّة مثلا الوحدة في الخالق وفي الدّين وفي الجنس البشري، وأنا اتّفق معها فيما يتعلق بالوحدة في الخالق وفي الجنس البشري، ولكن اختلف من حيث الأديان، فلا يوجد وحدة بينها، ولكن يوجد تقارب، فالأختلاف كبير بين الأديان، وهذا بعيد عن الوحدة، لكنّه قريب من التّقريب.

والاختلاف طبيعي موجود بين جميع البشر، ولهذا ثقافات الأديان ستختلف حتّى في داخل الدّين نفسه، فعلينا أن نجعل هذا الاختلاف في حيّزه الطّبيعي، وأن نبعده عن التّكفير والصّراع وإلغاء الآخر وإيذائه.

واليوم بسبب أنّ العالم يعيش متقاربا في قرية عالميّة واحدة بسبب تقدّم وسائل النّقل والتّواصل التّكلنوجي من خلال الأنترنت؛ فهنا أصبح تحقق التّقريب والحوار بين الأديان سهلا جدّا.

وفي جميع الأديان نجد أتباعا لها يؤمنون بأهميّة الحوار والتّقريب بين الأديان، كما نجد من الأتباع من يرفض هذه الفكرة، ونحن علينا أن نوسع دائرة المؤمنين بالحوار والتّقريب من جميع أتباع هذه الدّيانات، لنقلل من الفئة المعارضة.

والخطورة في نظري إذا تدخلت السّياسة في الأديان، فالسّياسي يوجه الدّين حسب ما يريد هو، فعلينا أن نفصل السّياسة عن الدّين، وإلا كان الصّراع والتّنافر بين الأديان.

وعموما الجماليات موجودة في جميع الأديان، وطلبتي يسألوني دائما أيّ الدّيانات تفضل؟ وأيّهما الصّحيح في نظرك؟ فأنا لا أجيب عليهم؛ حتّى لا يختلفون معي، وأنا أعمل لتدريس الأديان، لا لأجل التّبشير بدين، فالمدرس يكون على خط واحد مع جميع الأديان.

وأسأل تلامذتي: ما مستقبل الأديان في عام 2050م مثلا؟ فيجيب بعضهم أنّ التّسامح والتّعايش سيسود بين الأديان، وبعضهم يرى العكس أنّها ستقود إلى الكراهيّة والحروب، ولكن في نظري بعد قرن من الزّمان، وهي سنوات قليلة في عمر المجتمع البشري، هذه الأديان ستتطور وتتقارب بشكل أكبر.

وبعد تسجيل الحلقة ودعنا البرفسور توماس مكفول، كذلك ودعت الأستاذ بيان لارتباطه بعمله، أما أنا فذهبت للغداء، ومنها أخذت جولة في المول، وبعدها في المقهى لأعمل دبلجة ورفع للحلقة، ثمّ رجعت إلى السّكن لأستعدّ ليوم آخر، حيث المشاركة في مؤتمر التّبليغ، وتسجيل حلقة مع الكنيستين اللّوثريّة والمورمون كما سنرى في الحلقة القادمة.

المشاركة في مؤتمر التّبليغ، وتسجيل حلقة مع الكنيستين اللّوثريّة والمورمون

في صباح يوم السّبت السّابع عشر من أغسطس ذهبنا إلى الكنيسة اللّوثريّة في منطقة في منطقة Mockingbird Ln Dallas، والكنيسة اللّوثريّة نسبة إلى مارتن لوثر [ت 1546]، وسبق الحديث عنه أثناء الحديث عن الكنيسة المشيخيّة الكالفينيّة في الرّحلة البحرينيّة، واللّوثريّة انقسمت إلى اللّوثريّة الأرثوذكسيّة، واللّوثريّة العليا والسّفلى، واللّوثريّة الحديثة اللّيبرالية، وعموما اللّوثريّة أقل انقساما وتمذهبا من الكالفينيّة، وهما الجناحان الرّئيسان في البروتستانتيّة.

في الابتداء التقينا بالأستاذ القس روسيل، القائم في الكنيسة، وهذه الكنيسة تمثل الكنيسة اللّوثريّة الحديثة اللّيبرالية، ولمّا دخلنا كانت صورة مارتن لوثر في الواجهة بين مدخل الكنيسة ومدخل القاعات الملحقة بها، وهي صورة قديمة، والكنيسة يظهر من بنائها أنّها قديمة، ومتواضعة في البناء، وكان على يمين الكنيسة قاعة الصّلاة، وهي بسيطة، من كراسي ومحراب للكنيسة، ولا توجد فيها تصاوير، ثمّ عن يسار القاعة ذهبنا إلى مكتبه ووجدنا امرأة تعمل معه، ووجدنا الكتب متناثرة على طاولته، وعلى الأرض بجانب الأوراق، ممّا يدل على انغماسه في المعرفة، وطول بحثه، وهذا لاحظناه من الحديث معه، ثمّ أدخلنا إلى المكتبة وهي مكتبة قديمة، وفيها كتب قديمة جدّا، وطبعات حجريّة، ومن ضمنها رسائل وأعمال مارتن لوثر في مجلدات، وليتها ترجمت إلى العربيّة، وهنا شعرت بحرقة شديدة، وتحركت فيّ الأشجان، لأعرف ما تبطنه هذه الكتب من معارف وأدبيات إنسانيّة ولاهوتيّة، ولكن حال بيني وبينها بعد المكان واللّغة، والحمد لله على كلّ حال.

وهنا أهداني القس روسيل كتيّبا صغيرا بعنوان: The Small Catechism أي التّعليم المسيحي الصّغير، لمؤلفه: Martin Luther، وهو يحوي جميع تعاليم الكنيسة اللّوثريّة بشكل مختصر، في جمل صغيرة، وينطلق من الوصايا العشر في العهد القديم، ويختم الكتيب بأسئلة ومفاتيح تختصر له رسالة الكتاب عموما.

ثمّ ذهبنا إلى قاعة أيضا متواضعة، فيها طاولة عرضيّة بسيطة، وكراسي من الجانبين، لأسجل معه حلقة حول المذهب البروتستانتي اللّوثري، وكان ضمن برنامج حوارات الحلقة الرّابعة والخمسين، وبثت يوم الجمعة في الثّالث والعشرين من أغسطس على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث القس روسيل أنّ مارتن لوثر ظهر في نهايات القرن الخامس عشر كقس كاثوليكي، وشاهد تعاليم خاطئة في الكنيسة الكاثوليكيّة، من هنا ظهرت البروتستانتيّة [أي الاعتراضات]، ومنه ظهرت الكنيسة البروتستانتيّة اللّوثريّة نسبة إليه في عهده هو وليس بعد وفاته.

ومارتن لوثر من ألمانيا، وأمّا جان كالفن [ت 1564م] الّذي عاش عصره فهو من أصل فرنسي عاش في سويسرا، ومارتن لوثر تمسّك بكاثوليكيّته مع الإصلاح الدّيني فيها، فلم ير الاستقلال خلاف كالفن رأى الاستقلال عنها من الابتداء، وكلاهما مصلحان.

ومارتن لوثر شخصيّة إصلاحيّة عظيمة، وهو رسول ليس بمعنى الرّسل كما في الكتاب المقدّس، ومن أهم كتبه طريق الحياة، وهو كتاب مهم في اللّوثريّة، ويتضمّن الوصايا العشر، وكتابات الرّسل، وشرح تعاليم المسيحيّة، وهذا الكتاب ليس مقدّسا، لكنّه عظيم الاستفادة والأهميّة، وما قام به من ترجمة الكتاب المقدّس جعل الجميع يفهم الكتاب المقدّس بدون واسطة، وهو ترجمة ظرفيّة أيضا حسب زمنه، ثمّ ترجم إلى اللّغة الإنجليزيّة.

وأهم انقسام في الكنيسة اللّوثريّة هو اللّوثريّة العليا، واللّوثريّة السّفلى، والأولى تهتم بالمظاهر كالشّكل واللّباس، والثّانية لا تهتم بذلك، بل اهتمامها بالبساطة واللّباس الشّعبي البسيط، وربما القساوسة قد يهتمون فيها بالمظهر واللّباس ليس بصورة كبيرة، وأمّا اللّوثريون الأرثوذكس واللّوثريّة الحديثة فبينهما خلاف أكبر،

فالأرثوذكس متشددون كثيرا، ويهتمون بالتّفسير القديم [للنّص الدّيني]، مثلا لا يجيزون الطّلاق، ولا يجيزون أن يكون القس من النّساء، ولا يجلسون مع مخالفيهم في الدّين، بل حتّى من نفس الكنيسة اللّوثريّة ممّن يختلف معهم، وأمّا اللّوثريّة الحديثة أو اللّبراليّة، فهي أكثر انفتاحا على غيرها [من الأديان والكنائس والتّوجهات]، ويجيزون الطّلاق، ويصح عندهم أن يكون القسّيس امرأة، ويلبسون اللّباس المعاصر كالكرفتة خلاف الأرثوذكس، والأرثوذكس أقليّة في الكنيسة اللّوثريّة.

[ومن مبادئ الإصلاح عند مارتن لوثر: الكتاب المقدس وحده، المسيح وحده، الإيمان وحده، النّعمة وحدها، المجد لله وحده][1]، فالكثير من الكاثوليك كانوا يحملون كتابين: الكتاب التّأريخي والكتاب المقدّس، ومارتن لوثر رفض الكتاب التّأريخي، وتقيّد بالكتاب المقدّس، واعتبره المقدّم على التّقاليد، وهو الأصل في فهم الكتب الأخرى والتّعامل معها، وهكذا الإيمان والنّعمة مربوطة بالله تعالى.

وأهم الخلافات بين اللّوثرية والكاثوليك أنّ اللّوثريين يرون أنّ الكنيسة يمثلها فقط الله والمسيح، والكاثوليك يرون أنّ الّذي يمثلها البابا الموجود في روما، والكاثوليك في جملتهم لا يجيزون زواج القساوسة من الرّجال والنّساء خلاف الموارنة[2] من الكاثوليك، وأمّا اللّوثريون فيتزوجون ويطلقون.

---

[1] "مثّل هذه المبادئ الخمسة، للإيمان الإنجيلي المُصلَح، صُلب المُعتقدات التي ميّزت بين لاهوت الإصلاح ولاهوت الكنيسة الرومانيّة الكاثوليكيّة في القرن السّادس عشر، يأتي أولا مبدأ الكتاب المقدّس وحده، فلكونه كلمة الله الموحى بها، لذا معصوما، وكافيا، وهو السّلطة النّهائيّة في الكنيسة، ويؤكد المبدأ الثّاني، المسيح وحده، على أنَّ المسيحَ وحده أساس تبرير الخُطاة أمام الله، ويأتي مبدأ الإيمان وحده، ليؤكد على أنّ المؤمن ينال الفداء الّذي أنجزه المسيح عن طريق الإيمان فقط، بينما يُعلِن مبدأ النّعمة وحدها، أنّ خلاصنا كُلّه، من البداية إلى النّهاية، هو بالنّعمة، والنّعمة دون سواها، وبناء على هذه المبادئ الأربعة، تمسَّك المُصلحون، بقوّة بالمبدأ الخامس وهو المجد لله وحده؛ بمعنى أنّ الله وحده هو المستحق لكلّ المجد جَرّاء خلاصنا".
ينظر: موقع الصّورة، تأريخ الزّيارة: الخميس 12 أغسطس 2021م، السّابعة والثّلث صباحا بتوقيت مسقط.

[2] سيأتي الحديث عن المذهب الماروني مع الأب حنّا أسكندر في ملاحق الكتاب، وبتواصل مع الأب حنّا أسكندر الماروني عن طريق الواتس أب قال لي: "تتفق الموانة مع الكاثوليك والأرثوذكس أنّ الرّاهب والرّاهبة لا يتزوجان؛

وفي المعتقد جملة يحملون نفس المعتقد الكاثولوكي، مثلا يرون للمسيح طبيعتان: طبيعة لاهوتيّة وطبيعة ناسوتيّة، [وهكذا معالم ما يميز الكاثوليك عن الأرثذوكس من حيث المعالم الرّئيسة][1].

وأهم الخلافات بين اللّوثرية والبروتستانتيّة أنّ المسيح يحضر حقيقة في العشاء الأخير في اللّوثريّة، وهذا يخالف باقي المذاهب البروتستانتيّة، كما توجد اختلافات في تفاسير بعض النّصوص في الكتاب المقدّس.

وفي العهد الجديد أكثر من الإشارة إلى العشاء الأخير، لهذا نهتم بهذه المناسبة، وبهذا الحدث الّذي تجسّد في صلب المسيح ثمّ قيامته وارتفاعه؛ ونعتقد بحضور المسيح حقيقة [جسده ودمه] من خلال الخبز والخمر، [وعلى هذا يفترقون مع الكاثوليك والأرثوذكس بعدم الإيمان بالتّحول الجوهري للمسيح، ومع باقي البروتستانت مع عدم الإيمان بالحضور الحقيقي للمسيح في القربان المقدّس].

ونحن نؤمن بالأسرار السّبعة ولكن مع التّركيز على سري التّعميد والقربان أي العشاء الأخير، والتّعميد عندنا بوضع الماء في الطّفل، وفي سر الكهنوت لا يوجد عندنا كهنوت مقدّس، نعم عندنا احتفاليّة بذلك لكن لا يصل إلى درجة القداسة كما عند الكاثوليك، والمطهر عندنا يكون في الوسط، ويطلب من الله والمسيح بغفران الذّنوب، وفي الخطايا الكبيرة يكون على انفراد لأجل طلب الغفران من الله والمسيح.

ونحن في الكنيسة اللّوثريّة الحديثة أو اللّبراليّة نعتقد أنّ الله للجميع، ونحبّ الجميع، فنحبّ حتّى المثليين، والمغايرين في الجنس، وعندنا قساوسة مثليون من

لأنّ الرّاهبة خطبت المسيح عريسا لها، والرّاهب خطبها للمسيح، تمثلا بيحيى أنّه كان حصورا، ولأنّ المسيح تعفف عن النّساء، أمّا الكاهن (القسّيس) ممكن أن يتزوّج، والعديد من الكهنة لا يتزوجون تأثرا بالكاثوليك، أمّا الرّاهب فهو المترهب والمبتعد عن العالم متوحدا، ويسكن في الدّير والبراري، فهذا يتزوّج راهبا أم راهبة، وأمّا الكاهن القائم بخدمة المجتمع في الكنيسة فله أن يتزوّج".

تأريخ التّواصل: صباح الخميس 12 أغسطس 2021م، بتصرّف بسيط.

[1] وأشرنا إلى معالم ذلك في الحلقة مع الأرثذوكس ومع البابا جراسر.

الرّجال والنّساء، [وبهذا يقتربون من الكنيسة البروتستانتيّة اللّيبراليّة، أو كنيسة المسيح المتحدة][1]، وأما الإجهاض جوازه أن يكون الخيار الأخير فقط.

وهذه الكنيسة تأسست قبل خمس وتسعين سنة تقريبا، وأغلب الحضور حاليا إلى الكنيسة من كبار السّن، كما يوجد من صغار السّن، وتكون التّبرعات فيها بشكل فردي، ولا يوجد دعم لها، وكل أحد يقرأون الأدعية مع القدّاس، ويحتفلون بعيد الكريسمس، وعندهم عيد الشّكر [عيد الشّكر على نعمة الحصاد، ويختلف وقته من دولة إلى دولة، في أمريكا في الخميس الرّابع من شهر نوفمبر]، والصّيام عندنا أن نصوم عن نوع معين من الطّعام.

وفي الختام الكل يدعي التّعاليم الإصلاحيّة الّتي نادى بها مارتن لوثر، ولكن سنقع في ذات الإشكاليّة إن بقينا على القديم، فمارتن لوثر نفسه ثار على القديم، ونادى بالتّجديد، فعلينا أن لا نتوقف مع القديم؛ بل نتجدد، وفي كنيستنا أعطينا المرأة مساحة كبيرة من الحريّة، فهي جزء كبيرة من الكنيسة عندنا، ورسالتنا: الله يحبّنا جميعا.

وبعد تسجيل الحلقة ودعنا الأستاذ القس روسيل ثمّ ذهبنا إلى بهائي سنتر في دالاس لحضور مؤتمر التّبليغ، وبهائي سنتر مركز للتّجمع البهائي ينظمه المحفل المتعلق بالمدينة، وهو أقل درجة من مشرق الأذكار بمفهومه البنائيّ والمادي الواسع والكبير، لا بمفهومه التّعبدي المرتبط بجلسات الدّعاء فهذا لا يحدّه مكان ولا زمان، وسبق الحديث عنه، وعند البهائيّة أربع سناتر بهائيّة في دالاس فورت ورث[2] في دالاس وأرفينج وبلينو ولويس ويل، وأصل بهائي سنتر في تكساس كنيسة مشيخيّة تمّ شراؤها من قبل

[1] سبق الحديث عنها في هذه الرّحلة.

[2] دالاس فورت ورث أوسع من دالاس، ويدخل فيه مدن أخرى، مثل: بلينو، وأرفينج وغيرها، وإن كانت دالاس وفورت ورث من المدن الكبيرة في تكساس.

البهائيين، وتعقد فيها الجلسات البهائيّة من جلسات الدّعاء والمشورة والحوار وحلقات النّاشئين والمؤتمرات والاحتفالات وغيرها.

وشاركت معهم مؤتمر التّبليغ، وهو مؤتمر بسيط ومصغر، يناقش جدليّة التّبليغ بالذّهاب إلى البيوت والأسواق، أي التّبليغ الفردي والمباشر إلى البهائيّة، وهذه عادة يستخدمها المورمون وشهود يهوه في أمريكا، حيث يذهبون إلى البيوت، وتجدهم يبلغون في الأسواق والطرّقات، إلا أنّ المحفل البهائي عندهم لم يتشجع للفكرة، أو ليست حاضرة حتّى الآن، لطبيعة البهائيّة الابتعاد عن التّصادم والاحتكاك مع الآخر قدر الإمكان، والتّركيز على الدّعوة غير المباشرة، من خلال التّعامل بالحسنى أو الحوار أو جلسات الدّعاء ونحوها، دون إغراء أو طلب تغيير دين، أو تهجم على الآخر ومعتقده.

وأصل فكرة التّبليغ عند البهائيّة "هو عقد جلسة التّبليغ ... حيث برز هذا الاصطلاح بين البهائيين الأوائل في مونتريال بكندا، مع أنّ ذلك النّشاط كان مستمرا آنذاك في عدّة مراكز، فجلسة التّبليغ [في بدايتها] ... يعني اجتماع مجموعة دراسيّة صغيرة من النّاس في منزل خاص بصورة دوريّة ومستمرة، ويدعى لها الأصدقاء المقربون من الأصدقاء، والرّاغبون في البحث والتّحري"[1].

كما نوقشت العديد من القضايا، وقدّمت أوراق عمل مختصرة في ذلك، وأعقبه بحفلة فنّية باللّغة الأسبانيّة من قبل الأستاذ إليكس، وهو من أصل مكسيكي سبق الحديث عنه، حيث كانت أغنيته الدّينية باللّغة الأسبانيّة مصحوبا بطبل (الطّرنجة)، ثمّ كانت وجبة الغداء وهي متواضعة عبارة عند سندويشات وعصائر

[1] مارتن: دوغلاس، وهاتشر: وليام؛ **الدّين البهائي: بحث ودراسة**، ترجمة عبد الحسين فكري، ط دار البديع للطّباعة والنّشر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 2007م، ص: 220.

سريعة، وبعدها كانت جلسة مفتوحة في قاعة مفتوحة على الخارج، حيث وزعنا على حلقات صغيرة، لا يزيد أفرادها عن سبعة أشخاص، يتدارسون مذكرة من أوراق متعلقة بالتّبليغ عن طريق الإجابة عن الأسئلة الموجودة في المذكرة، فيتناقشون حولها، ويجيبون عن الأسئلة معا، كذلك كانت ورشات وحلقات مصاحبة في غرف مغلقة لك الخيار في اختيار ما تريد من الورشات، إلا أنّه لم نطل لارتباطنا بموعد مع كنيسة المورمون.

ذهبنا إلى منطقة E Lake Highlands DR، واسم كنيسة المورمون كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة [The Church of Jesus Christ of latter - day Saints]، ولا يطلقون على كنائسهم كنيسة المورمون، ولكن غلب عليهم هذا الاسم من غيرهم، فلا يعرفون كنائسهم إلا بهذا الاسم، وسبق في مقدّمة الرّحلة الشّيكاغيّة أن تحدّثنا عن المورمون بصورة سريعة، ورأينا أنّها تأسست عام 1830م على يدي جوزيف سميث [ت 1844م]، وينتشرون في مدينة مدينة Salt Lake بولاية يوتا في أمريكا، ولهم كتاب مقدّس اسمه: كتاب مورمون: شهادة ثانية ليسوع المسيح.

وصلنا إلى المنطقة في قرب السّاعة السّادسة مساء، واستقبلنا الأسقف الدّكتور تيد آساي، وأخذ بنا جولة حول الكنيسة، وهي كنيسة كبيرة، وبناؤها جديد ومنظم، وغاية في النّظافة، وبها مكاتب عديدة، وعند المدخل تجد صور المسيح ومريم وغيرهم من رموزهم، خصوصا صورة العشاء الأخير ليسوع المسيح مع حواريه، ولكن داخل الكنيسة لا يوجد تصاوير، ثمّ ذهبنا إلى قاعة اجتماع ملحقة بالكنيسة لنسجل حلقة حول كنيسة المورمون مع الدّكتور تيد آساي ضمن برنامج حوارات الحلقة 55، وبثت يوم الأحد الخامس والعشرين من أغسطس على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث الدّكتور تيد آساي أننا لم نطلق على أنفسنا اسم المورمون، وإنّما سمانا بذلك باقي الكنائس المسيحيّة، ومورمون اسم شخص وليس اسم مكان،

[وعندهم النّبيّ مورمون، أحد الأمريكيين الأصليين، جاء قبل ألف سنة، وكتب ألواح مورمون "وبعد أن أكمله سلّم السّجل لابنه موروني، الّذي أضاف بعض الكلمات، وخبأ الصّفائح في تل كومورة، وفي 21 سبتمبر ظهر موروني نفسه كشخص ممجد قائم من بين الأموات إلى النّبيّ جوزيف سميث وأخبره بالسّجل القديم، وبعد أربع سنوات سلّم موروني الصّفائح إلى جوزيف سميث فترجمها بهبة الله وقوّته"[1]، ولا يوجد لدينا إشكاليّة في الاسم، ولكن نسمي أنفسنا كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة.

والعشاء الأخير من أهم مراحل حياة السّيد المسيح، وقدّم لهم في تلك اللّيلة الخبز والخمر، مبينا لهم أنّ هذه حياته، لهذا نحن نجسّد هذا المشهد كلّ أحد، بيد أننا نقدّم الماء بدل الخمر، والخمر والماء أشياء رمزية، والماء أقرب إلى [الصّفاء] والتّوبة، ونمتنع عنه لناحية طبيّة بالصّورة الأكبر، كما نمتنع عن جميع الكحوليات، والتّبغ والتّدخين، والشّاي والقهوة.

وكتاب مورمون فيه إشارة إلى الرّسل الّذين عاشوا في أمريكا، من ستمائة قبل الميلاد إلى أربعمائة وثمانين بعد الميلاد، وشهادتهم تعتبر الشّهادة الثّانية ليسوع المسيح بعد العهد الجديد [أي الإنجيل]، وهذه [أخذت من ألواح نافي] [سجل لما فعله الله بين سكان أمريكا القدماء، كما يحتوي على ملئ إنجيل يسوع المسيح][2] اختصرها النّبي مورمون على ألواح، وأشاروا أنّه سيأتي المسيح، وسيتعرض للاضطهاد، وسيقوم من بين الأموات، وسيأتي المسيح إلى أمريكا أيضا، ويلتقي بالنّاس، وسيشفي الكثير منهم.

ونعتقد أنّ كتاب مورمون وحي من عند الله، كما أنّ العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدّس وحي أيضا، والعهد القديم كتبه الرّسل على فترات زمنيّة مختلفة عدا الوصايا العشر نزلت مكتوبة كما عند الأغلب، وكذا العهد الجديد كتب نصوصه

---

[1] ينظر: **مقدّمة كتاب مورمون: شهادة ثانية ليسوع المسيح**، نشر: كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، سولت ليك سيتي، بوتا/ أمريكا، 1985م،

[2] المصدر نفسه، بتصرّف بسيط.

الرّسل، وأيضا المورمون وحي كتبه [أنبياء قدماء كثيرون عن طريق النّبوة والرّؤيا على صفائح ذهبيّة، ثمّ اختصر تلك الكلمات النّبيّ مورمون][1]، وفيه أحكام مستقلة غير موجودة في الكتاب المقدّس.

ونعتقد أن جوزيف سميث الّذي ظهر في 1930م نبيّ ورسول من قبل الله، ولمّا كان عمره أربعة عشر سنة أراد الانضمام إلى أحد الكنائس البروتستانتيّة، وكانت موجودة الكنيسة اللّوثريّة والمعمدانيّة والمشيخيّة، فحار بينهما، ثمّ دعا الله تعالى، وهنا ارتقى روحانيّا إلى الله والمسيح، وقال له: جميع هذه الكنائس خاطئة، والكنيسة الحقيقيّة في الجنّة في الدّار الآخرة، وأرجعت هذه الكنيسة من تلك الدّار إلى العالم الأرضي، كما أنّه التقى أيضا بالحواريين، ووهبوا له القوّة، لهذا القوّة بعد الحواريين ارتفعت ولم تنزل إلا على جوزيف سميث، ويشكلون أيضا اثني عشر حواريّا، وهم أحياء، وينزل عليهم الوحي، وموجودون في ولاية يوتا في أمريكا، وهؤلاء الحواريون خدم الله في الأرض، ويخدمون العالم.

ونعتقد أنّ مارتن لوثر وجان كالفن رجالا صالحين، وأصلحوا الكنيسة الكاثولوكيّة، ومارتن لوثر سبب ظهور جوزيف سميث، ويوجد ثلاث فروقات رئيسة بين المورمون والبروتستانتيّة وغيرهم من المذاهب المسيحيّة، أولها: يوجد عند المورمون اثني عشر حواريّا، ولا يزالون أحياء يوحى إليهم، ولهذا المورمون في تجدد دائم خلاف البروتستانت والمسيحيين عموما يعتمدون على الكتب السّابقة، والثّاني: أنّ القساوسة في المورمون توجد لديهم الحقيقة الإلهيّة لوجود الحواريين، خلاف البروتستانت والمسيحيين عموما ارتفعت من عند قساوستهم الحقيقة بعد غياب الحواريين الأوائل، والثّالث: نظرتهم إلى الله والمسيح والرّوح القدس أنّها ثلاث حقائق أو قوى منفصلة، فالله جسد متميز، وكذلك المسيح أيضا، والرّوح القدس قوّة روحيّة، خلاف

[1] المصدر نفسه، بتصرّف بسيط.

البروتستانت والمسيحيين عموما يرونها حقيقة واحدة، ونحن ولدنا مع الله، ونحن أولاده، جئنا إلى الحياة لنعيشها بخيرها وشرها، ثمّ نعود إليه مع أسرنا.

ونحن وإن كنّا نعتقد للمسيح صفة الأولوهيّة، إلا أنّ الآب غير الابن، وجاء عن طريق مريم العذراء، ولم يخطئ أبدا، وجاء للخلاص، والّذي يعيش حياة مسيحيّة وإن أخطأ؛ المسيخ يغفر له، والمسيح موجود في العالم اليوم.

وأمّا كيف نعرف أنّ الحواريين يوحى إليهم فهذا مذكور في كتب ورسائل جوزيف سميث غير عن كتاب مورمون، ففي العهد القديم وجد أنبياء، وكذلك في العهد الجديد، فلماذا لا يوجد اليوم وينقطعون؟! [سؤال تعجبي]، وإذا كان أولئك يوحى إليهم؛ فأيضا يوحى إلى هؤلاء، وكان لجوزيف سميث ثلاثة شهود [أولفر كاودري (ت 1850م) ودافيد ويتمر (ت 1888م) ومارتن هارس (ت 1875م)]، ومع هؤلاء ثمانية شهود أيضا، [كريستان ويتمر وجيكوب ويتمر وبيطر ويتمر الابن وجون ويتمر وهايرم بيج وجوزيف سميث الأب وهايرم سميث وصموئيل سميث] ومع جوزيف سميث النّبيّ يكونون اثني عشر حواريّا للمسيح، ومن الثّلاثة الأوائل يكون أقدمهم خدمة له حواريّا بديلا عنه، أمّا الحواريون اليوم من يمت أحدهم يختار الرّئيس بعد الدّعاء والمناجاة حواريّا بديلا عنه.

ونحن نرى التّعميد، فلا يمكن أن تكون مسيحيّا إلا عن طريق التّعميد، وعندنا سر الكهنوت وهم الاثني عشر حواريّا، وهؤلاء يديرون شؤون الكنائس، يحيث يختارون البطريرك، والبطريرك يختارو الأساقفة، وأنا كنت بطريرك، والآن من الثّلاثة المستشارين، وأشرف على اثنتي عشرة كنيسة، وعددنا في العالم ستة عشر مليونا في مائة وخمسين دولة، ولدينا خمس وستون ألف مبلغ، [يبلغون في البيوت والطّرق والأسواق والأماكن العامّة وغيرها].

وعندنا أهم ركن في المجتمع الأسرة، ولهذا يجوز عندنا تعدد الزّوجات سابقا، وبعد 1898م منع، كما نهتم بكثرة إنجاب الأولاد، والجميع عندنا ممّن في الكنيسة يتزوّج بما في ذلك البطريرك، ولا يجوز عندنا الإجهاض إلا في حالات نادرة كاغتصاب المرأة، أو أنّ حياة المرأة متحقق بإجهاض الطّفل، فيقدّم الحي على الميت، فالطّفل والرّوح نعمة من الله، [علينا الإكثار منها والحفاظ عليها]، ولا نجيز المثليّة، فلا تتحقق الأسرة بدون زواج طبيعي، وكذلك العلاقات خارج إطار الزّواج لا يجوز عندنا، وفي كلا الحالتين المثلية وعلاقات خارج إطار الزّواج ليس عندنا إفناؤهم أو التّضييق عليهم وإيذاؤهم.

ونصوم كلّ أحد من بداية كلّ شهر أربعا وعشرين ساعة عن الأكل والشّراب، ونجمّع فيه وجبتين يأخذونها إلى الكنيسة، والكنيسة توزعها على الفقراء والمساكين والمشردين، كما تساعد عن طريق المال المنكوبين بسبب الفيضانات والزّلازل والحروب وغيرها، كما تعمل على حفر الآبار، وتوصيل المياه العذبة، وجمّعوا العام الماضي حوالي أربعين مليون دولار لهذا الغرض، وأمّا الأعياد فعندنا الكريسمس والفصح، ونحترم أعياد الأديان الأخرى.

ونحن نختلف مع شهود يهوه، إلا أنني شخصيّا أجلّهم واحترمهم لأنّهم يعملون بإخلاص، وأرى لديهم سوء فهم في تفسير بعض آيات الكتاب المقدّس والآثار المسيحيّة.

وبعد تسجيل أهداني الدّكتور نسخة من كتاب مورمون باللّغة الإنجليزيّة، قائلا فيه:

"بدر،،،

كان من دواعي سروري أن ألتقي بك.

أشكرك لعملك الرّائع الّذي قمتَ به.

باركك الرّبّ دوما.

صديقك: تيد آساي"

وكان الأستاذ بيان أهدى لي نسخة من الكتاب باللّغة العربيّة، وهنا ودعنا الدّكتور تيد آساي، ورجعنا إلى النّزل، لنستعد ليوم جديد، ومع حضور قدّاس الأحد في كنيسة الأمل، وزيارة المتحف الّذي يحكي قصة اغتيال الرّئيس الأمريكي جون كينيدي 1963م كما سنرى في الحلقة القادمة.

حضورقدّاس الأحد في كنيسة الأمل وزيارة المتحف الّذي يحكي قصة اغتيال الرّئيس الأمريكي جون كينيدي 1963م

في صباح يوم الأحد الثّامن عشر من أغسطس بعد الفطور طلب منّي الأستاذ بيان أن أشاركهم في حلقات النّاشئين، فاعتذرت له لأنّي أريد حضور قدّاس الأحد، فذهبت إلى كاتدرائيّة الأمل في منطقة Cedar Springs؛ لقربها من النّزل، ولأنّها لبراليّة قد لا يسبب وجودي حرجا أو تساؤلا، وسبق الحديث عنها، وتسجيل حلقة مع القس نيل سيزر القائم بأعمال الكاتدرائيّة.

وصلت إلى الكاتدرائيّة مبكرا، ووجدت النّاس تتوافد إلى الكنيسة، ويحضرون معهم أطفالهم، ولعلّها لدروس الأحد المتعلقة بالأطفال، مع أنّ الكاتدرائيّة تحوي أماكن مخصّصة للعب الأطفال، ولدور الأيتام، وتعليم الأطفال والنّاشئين، ووجدت النّاس تحضر معها صدقات ماديّة من أحذية وملابس وأغراض أخرى لتوزيعها على المحتاجين والمشردين.

وعلمت لاحقا أنّ هذه الكاتدرائيّة وغيرها من الكنائس لكثرة من يأتي إليها يوم الأحد تعمل أكثر من قدّاس؛ لأنّه لو عملوا قدّاسا واحدا لازدحم المكان، ومع أنّها كنيسة ليبراليّة لكنني وجدت الكراسي شبه ممتلئة في قاعتها الكبيرة والأنيقة والنّظيفة.

فجلست في الوسط، وكان في يسار الكنيسة من الأعلى الفرقة الموسيقيّة، ولهم لباس معيّن، ويأتون بألحان روحانيّة تضيف جمالا على المكان، كما رأيت الأغلب من كبار السّن، مع وجود فئة لا بأس بها من الشّباب، وقليل من صغار السّن.

هنا دخل مجموعة من الخدم والشّماسين يتقدّمهم القس نيل سيزر في صف منتظم عن يمينه ويساره، وكان دخوله مع الموسيقى، ووقف الجميع يرددون دعائهم مع أصوات الموسيقى، والقس تقدّم حيث القربان المقدّس، وليس له غرفة خاصّة،

فقط طاولة فيها القربان من خبز وخمر، ويدور حولها، والنّاس في ذكرهم ودعائهم، ثمّ جلسوا وألقى فيهم القس خطبة طويلة لم أفهم غالبها لأنّي لا أتقن الإنجليزّية جيّدا، وبعد خطبته أيضا وقف النّاس مع ألحان الفرقة الموسيقيّة، وهنا وجدتهم يمررون صندوقا صغيرا لمن أراد التّبرع.

وبعد هذا ذهب النّاس للسّلام على القس ومن معه من الخدم والشّماسين، ووجدته يلقمهم من القربان المقدّس، ورأيت السّعادة في وجوههم، وكل يسلّم على الآخر وذكرني حال الانتهاء من صلاة الجمعة، لكن هنا نظام بديع، الكل يرجع إلى مكانه، ثمّ وقفوا جميعا مع ألحان الفرقة الموسيقيّة ونشيدها، وخرج القس مع خدمه وشماسه إلى الخارج، ووقف عند الباب، والنّاس صفوفا يودعهم واحدا واحدا، وهنا سلّمت عليه، وصافحني بحرارة شديدة مع ابتسامة وترحيب كبير، ويعلم أنني مسلم، ولكن لم يسألني أبدا سبب مجيئي؛ لأنّه يرى المحبّة للجميع.

وبعد هذا كانت ساعة فراغ حتى يبدأ القدّاس الثّاني، فذهبت إلى مكتبة الكاتدرائيّة، ثمّ ذهبت إلى الحديقة، وكان فيها ممشى، ومشيت فيها متأملا تنسيقها وجمالها، ومتأملا نظافتها، ثمّ حضرت القدّاس الآخر، فكان كالأول عدا اختلاف وجوه من حضر.

ثمّ رجعت إلى النّزل، وأخذنا جولة عامّة في دالاس، وفي مساء يوم الاثنين، التّاسع عشر من أغسطس، تحديدا بعد الظّهر ذهبنا إلى منطقة Downtown Dallas، وهي المقابل لمنطقة Uptown Dallas، ومنطقة Downtown Dallas تعتبر المنطقة القديمة في دالاس، وفيها عمارات شاهقة، ومزدحمة بالسّياح، لذا طرقها مزدحمة، ومواقف السّيارات فيها قليلة، لذا أخذنا وقتا حتّى نجد موقفا، لنذهب إلى المتحف الّذي يحكي مقتل الرّئيس الأمريكي جون كينيدي في الثّاني والعشرين من نوفمبر عام 1963م.

والرّئيس جون كينيدي هو الرّئيس الخامس والثّلاثون في أمريكا، وانتخب في العشرين من يناير 1961م، ورغم أنّه لم يرأس أمريكا عدا سنتين؛ إلا أنّه كان من أشهر رموز من حكم أمريكا، كما أنّه من أشهر الرّموز في الحزب الدّيمقراطي الأمريكي، وأبوه جوزيف باتريك [ت 1969م]، من كبار الأثرياء والدّبلوماسيين الأمريكيين.

وأصل كينيدي من ولاية ماساتشوستس من أسرة كاثوليكيّة، وشارك في الحرب العالميّة الثّانية [1939 – 1945م] في الجانب البحري جبهة المحيط الهادئ، أصدر كتابه الأول: ?Why England slept في فترة مبكرة من حياته، كما فاز في مجلس الشّيوخ الأمريكي كمنافس للحزب الجمهوري.

ساهم كنيدي في إصلاحات اجتماعيّة واقتصاديّة وقانونيّة في أمريكا، ممّا جعله محبوبا من الجميع، مع وسامته وقربه من الكل، إلا أنّ فترة رئاسته توافقت مع الحرب الباردة مع الاتّحاد السّوفييتي، ومع حركات التّحرر الشّيوعي في كوبا وفيتنام.

قرر كنيدي زيارة دالاس لأغراض سياسيّة في الثّاني والعشرين من نوفمبر عام 1963م، بيد أنّه حذّر من الزّيارة، لما تمثله تكساس حينها من عدم استقرار، لوجود المعارضين ضدّه فيها من المتعصبين الجمهوريين، بجانب الحركات اليساريّة، إلا أنّه قرر الذّهاب مع زوجته جاكلين كينيدي [ت 1994م]، وصاحبهم من المطار حاكم ولاية تكساس جون كونالي [ت 1993م].

وفي احتفال مهيب، وحضور حشد كبير لاستقباله، وبما أنّ الجوّ كان صحوا يومها، فتح كنيدي غطاء سيارته، لتصيبه ثلاث رصاصات في السّاعة الثّانية عشر والنّصف ظهرا من قبل الماركسي الأمريكي هارفي أوزوالد [ت 1964م]، ليفارق كنيدي الحياة قرب الواحدة ظهرا.

والماركسي الأمريكي هارفي أوزوالد ذاته قتل في مقر الشّرطة في دالاس، وعلى الهواء مباشرة!!!

عموما وصلنا إلى المتحف عند الخامسة عصرا؛ لكن للأسف وجدناه مغلقا، ولعلّهم يغلقون مبكرا يوم الأحد، ولم تأت فرصة أخرى لزيارته، وفكرة المتحف لها جانب اقتصادي وسياحي، فمن جهة يحكي القصّة صوتا وصورة وشرحا وافيا، مع أخذ السّائح إلى الأماكن الّتي قتل فيها كنيدي، وكيف أطلق عليه الرّصاص، وكأنّه حاضر المشهد، فلا زالت صدمة الذّاكرة باقية، كما أنّ المتحف يستثمر الذّاكرة اقتصاديّا وسياحيّا.

ثمّ ذهبنا إلى مطعم قريب للغداء، وبعدها أخذنا جولة مشي، وعند محطّة المطار رأينا أمريكيين سود البشرة، أجسامهم أفريقيّة ضخمة، ينادون بصوت مرتفع، وفي أيديهم الكتاب المقدّس لدى المسيحيين، ولمّا رأوني نادوني بقوّة أن أحضر إليهم وأقرأ من الكتاب المقدّس، فخشيت الاقتراب منهم، وهنا ذهب الأستاذ بيان، فيطلبون منه أن يقرأ نصوص ما يتعلق بعلاقة بني إسرائيل في فلسطين، فاكشفنا لاحقا أنّها جماعة مسيحيّة متعصبة، ترى أحقيّة اليهود في فلسطين، وأنّها الأرض الموعودة لهم، وإشكاليّة مثل هذه القراءات للنّصوص المقدّسة أنّها تجعل في دائرة الإطلاق، خاصّة النّصوص المتعلقة بالشّخوص والبلدان والقبائل والأجناس، فهي ظرفيّة بالكليّة، ومثلها عندنا قوله تعالى عن بني إسرائيل: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة/47]، هذا التّفضيل ظرفي لأداء الأمانة، ولا يعني أنّ بني إسرائيل مميزون في الجنس البشري، فهذا يتعارض مع رسالات الأنبياء ذاتها، ومنها رسالة موسى عليه السّلام، ولو نزلت هذه الآية في أتباع محمّد عليه السّلام لكان الحكم واحدا، ومنها قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران/110]، فالخيريّة هنا ليست خيريّة جنس، ولكن خيريّة أداء أمانة، فهي متعلقة بسببها، وتدخل في السّنن المجتمعيّة، وأيّ أمّة تؤدي هذا الدّور من الأمانة كانت الخيريّة معها، كانت الأمّة عربيّة أم أعجميّة.

ثمّ ذهبنا إلى منطقة بلينو في ضيافة الأستاذة هيلين فرهاني، وهي امرأة بهائيّة عاشت فترة طويلة في دولة الإمارات العربيّة المتحدة، ولهجتها إماراتيّة، وتعشق الإمارات، وتحن بالعودة إليها، وهنا شربنا معها القهوة الإماراتيّة.

وقد كان للأستاذ بيان موعد معها؛ حيث عندها جلسة مشورة، والمشورة من أهم عناصر الجامعة البهائيّة بعد مشرق الأذكار في الجانب المجتمعي، وجاء في ألواح حضرة بهاء الله: "إنّ سماء الحكمة الإلهيّة مستضيئة ومستنيرة بنيرين: المشورة والشّفقة، تمّسكوا بالمشورة في جميع الأمور، فهي سراج الهداية، إنّها تهدي السّبيل، وتهب المعرفة"، والمشورة من التّشاور، وهنا يتشاورون في الاحتفال الّذي سيقيمونه بمرور مائتين عام على ولادة الباب عليّ محمّد الشّيرازيّ [ت 1850م]، حيث ولد في 20 أكتوبر 1819م، وهو المبشر عندهم ببهاء الله الميرزا حسين عليّ [ت 1892م]، وسبق الحديث عن البهائيّة بتفصيل في الرّحلة الشّيكاغيّة.

والاحتفالات حينها بمولد الباب في 29 و30 أكتوبر 2019م، وكانت لي كلمة في الجانب الإنساني في الاحتفال الّذي أقامه الأستاذ فريد أحمد عبد الوهاب من البحرين في منزله في مسقط بعد رجوعي، وقد أعدّ البهائيون في دالاس حفلا كبيرا في بهائي سنتر، وكان على الأستاذ بيان إعداد بطاقات الدّعوة، وشاورني في تصميمها، وتشاوروا فيها، وفي توجيه الدّعوة إلى أصحاب الأديان وغيرهم من الشّخصيات السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والعلميّة، كما تشاوروا في فقرات الحفل، وفي الجوانب الماديّة، ولاحظت معاناتهم في الجانب المادي، وضعف التّعاون من المنتسبين إلى الجامعة البهائيّة كما أخبرني الأستاذ بيان نفسه، وتجدهم ينفقون من جيبهم الخاص رغم بساطة حالتهم المادية، وشارك المشورة مجموعة من الشّباب البهائيين النّاطقين بالعربيّة والفارسيّة.

وبعد المشورة رجعنا إلى النّزل لنستعد للذّهاب إلى مدينة دينسون في تكساس، وحضور ضيافة تسعة عشر، وبعدها الذّهاب إلى شيكاغو برا كما سنرى في الحلقة القادمة.

حضور ضيافة تسعة عشر في مدينة دينسون ثمّ الذّهاب إلى شيكاغو

في صباح يوم الثّلاثاء، في العشرين من أغسطس، بعد الفطور انتظرت وصول الأستاذ بيان، فقد حمل سيارته إلى (السّيرفس)، ومعالجة بعض الإطارات، حيث ينتظرنا طريق طويل برّا إلى شيكاغوا، وهي تبعد عن دالاس حوالي ستة عشر ساعة بدون توقف.

في الابتداء ذهبنا إلى مدينة دينسون، وتبعد عن النّزل ما يقرب من ثلاث ساعات، وهي مدينة ريفيّة تقع آخر تكساس من جهة ولاية أوكلاهوما، وهذه المدينة تكثر فيها المزارع والمزارعون، ولا ترى فيها عناصر الحداثة من حيث العمارات الشّاهقة، والأسواق العصريّة، والمولات الكبيرة، فأهلها يرفضون ذلك، ويعشقون حياة البساطة مع الطّبيعة، إلا أنّهم يعانون من انتشار المخدّرات بين النّاشئين والشّباب، كما لا توجد بها فرص كبيرة للعمل؛ لهذا العديد من السّكان خصوصا الشّباب يهاجرون إلى المدن الأخرى، ويأتون هنا لزيارة عائلاتهم أو الاستجمام مع الطّبيعة، وغالب السّكان في هذه المنطقة من البيض.

ذهبنا إلى منزل الأستاذ مفيد سعيد، وهو بهائيّ مولود في لبنان من أصول تركيّة، وهاجر إلى أمريكا، وعاش مزارعا في الرّيف، كما أنّه عمل في مستشفى كطباخ، وقد تطبع بعاداتهم، وأصبحت لغته العربيّة ضعيفة لأنّه كما أخبرني تمر سنوات لا يتحدّث بها، ولا يقرأ أو يستمع إليها، وفرح كثيرا بزيارتنا له، والتّحدّث معه بالعربيّة، وله زوجة أمريكيّة بهائيّة من البيض، ولمّا دخلنا بيتهم الجميل بين الزّروع والحشائش آوت إلينا الكلاب ملاعبة، والحقيقة لم نتعوّد على الكلاب، حيث تصيبنا خيفة منها، بينما هم متعوّدون عليها وكأنّها من أفراد الأسرة، يلاعبونها ويداعبونها، فلمّا رأت تحرجي منها أدخلتها في غرفة قريبة، كما وجدنا امرأة أمريكيّة أخرى من البيض من سكان المنطقة، وهي كانت مسيحيّة ثمّ أصبحت بهائيّة.

وكانت لديهم ضيافة تسعة عشر، "وهي القاعدة لحياة الجامعة البهائيّة الاجتماعيّة على المستوى المحلي"[1]، وفي الكتاب الأقدس: 57 "قدر رقم عليكم الضّيافة في كلّ شهر مرّة واحدة ولو بالماء، إنّ الله يؤلّف بين القلوب ولو بأسباب السّماوات والأراضين"، وجاء عن وليّ أمر الله شوقي أفندي [ت 1957م]: "إنّ الاشتراك في الضّيافة التّسع عشريّة ليس فرضا، ولكنّه أمر مهمّ جدّا، وينبغي لكلّ مؤمن أن يعتبر حضور الضّيافة واجبا شخصيّا، وامتيازا خاصّا"[2].

وكما قلنا في الرّحلة الشّيكاغيّة أنّ للبهائيّة تسعة عشر شهرا في العام، وعدد أيام الشّهر تسعة عشر يوما، فتكون الضّيافة في اليوم الأخير من كلّ شهر، بلا تكلّف على المضيف، ولو أكرم ضيوفه بالماء فقط، والهدف منها تحقق المشورة بينهم، والإصلاح بين المتخاصمين، ومساعدة المحتاج، وقراءة ما يصدر عن بيت العدل والمحفل المركزي، ورفع ما يلزم بعد المشورة إلى المحفل المركزي، والّتي قد يرفع المهم منها إلى بيت العدل في حيفا مركز البهائيين في العالم أجمع، ولهذا يقسّمون الجلسة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول قسم الرّوحانيات من دعاء وذكر، والقسم الثّاني القسم الإداري، وفيها يناقشون رسائل بيت العدل إن وجدت، وكذا المحفل المركزي أي في الدّولة القطريّة، والمحفل المحلي أي في المدينة، وكذا يناقشون ما يتعلّق بالمنطقة واحتياجتها، ثمّ القسم الثّالث أي القسم الاجتماعي، وفيه الإصلاح بين المتخاصمين والأكل والشّرب مع المسابقات للأطفال والحضور.

وفي الجلسة بعد الدّعاء قرأت رسالة بيت العدل، وتضمنت دعوة البهائيين إلى الاهتمام بالعصر، والمشاركة في إصلاح العالم، والمشاركة البناءة في حياة المجتمع، دون التّدخل في الأمور السّياسيّة؛ لأنّ التّدخل يؤدي إلى هدر طاقاتهم وتبديدها، وركزت رسالة بيت العدل إلى ما تعانيه المجتمعات البشريّة من انحدار الحوارات العامّة، لتنزل

---

[1] مارتن: دوغلاس، وهاتشر: وليام؛ **الدّين البهائي: بحث ودراسة**، مرجع سابق، ص: 224.

[2] **خلاصة وترتيب أحكام الكتاب الأقدس وأوامره**، ملحق بالكتاب الأقدس، ص: 216.

إلى دركات الضّغينة والعداء، والتّعصب للأحزاب، وما يسايرها من عبارات القدح والاستهزاء، ولهذا كما لا يصح للبهائيّ أن يدّخل في صراع السّياسات، عليه أن يجتنب أيضا الصّراعات الحزبيّة والأثنية، وخصوصا ما يحدث في وسائل التّواصل الاجتماعي.

وبعدها ناقشوا الاحتفال الّذي سيقيمونه بمرور مائتين عام على ولادة الباب عليّ محمّد الشّيرازيّ [ت 1850م]، والّذي سيقام في بهائي سنتر في دالاس كما أسلفنا سابقا، وسلّم الأستاذ بيان الحضور بطاقات الدّعوة، وكما سيقام أيضا في كليّة Austin College في مدينة شيرمان قريب دنيسون، ثمّ ناقشوا قضايا مجتمعيّة، كما أخذني حديث طويل مع الأستاذ مفيد سعيد عن لبنان وحياته خصوصا.

وبعد الظّهر ودعنا الأخوة، ثمّ ذهبنا إلى مطعم مكسيكي للغداء، ثمّ انطلقنا إلى ولاية أوكلاهوما، وهي مدينة اقتصاديّة نفطيّة منتجة للغاز الطّبيعي مثل تكساس، وأوكلاهوما تعني النّاس الحمر، وهنا رأينا في بدايتها مول كبير، فأخبرني الأستاذ بيان هذا مكان للعب القمار، فطلبت منه أن ندخل ونرى، وشخصيّا أول مرة أدخل مكانا للعب القمار، وفي أسفله قاعة كبيرة لذلك، وفي الطّابق الثّاني محلات تجاريّة ومحلات أخرى، وفي تكساس يمنع لعب القمار لأسباب دينيّة، ولكون الهنود الحمر لهم تعلّق كبير بالقمار فتجد وقت الإجازة يتوافدون بشكل كبير من دالاس إلى أوكلاهوما.

ثمّ مررنا بولاية كانساس، وتعني شعب الرّيح الجنوبيّة، وجاء في ويكبيديا: "استقر في كانساس الأمريكيون من ولاية ماساتشوستس منذ عام 1850م، والّذين كانوا يحاولون إيقاف العبوديّة في ولاية ميزوري المجاورة"، وسكنها الهنود الحمر منذ أكثر من ألف سنة.

ثمّ عند المغرب دخلنا ولاية ميزوري، ومررنا مع الغروب على نهر ميزوري، أطول نهر في أمريكا الشّماليّة، وينبثق من نهر المسيسيبي، وهو في قمّة الجمال والرّوعة، وولاية ميزوري من الولايات الشّهيرة في أمريكا، ولها تأثير كبير في التّأريخ الأمريكي

خصوصا الحديث، وهنا توقفنا للصّلاة والعشاء وأخذ الرّاحة، ورأيت محطات البترول في أمريكا كبيرة، ومنظمة، وتجد في "سّيلكت" ليس كما عندنا، ففيها جميع الخدمات، من مقاهي، ومطاعم سريعة، ومشروبات، ومختلف أنواع القهوة، وهنا بنفسك تختار من المشروبات الغازية والقهوة بحيث تختار الكوب المناسب لك، ثمّ تذهب إلى المحاسبة، كما يتوفر في "سّيلكت" ما تحتاجه من أغراض السّفر، ودورات مياه، ومقاعد للاسترخاء والرّاحة وتناول الطّعام، وتذكرت كبر حجم هذه المحطات، وكثر الشّاحنات بالطّرق في المملكة العربيّة السّعوديّة، فأخذني بعض الحنين لذلك، فلنا في طرق المملكة ذكريات عديدة.

وهنا أخذ الأستاذ بيان شيئا من الرّاحة، فاستثمرت الوقت في رياضة المشي والتّأمل في المواقف، وأردت أن أسوق عنه، فلا أشعر بالتّعب، إلا أنّه لم أكن أملك حينها رخصة قيادة دوليّة، لنواصل بعدها الطّريق، وندخل في ولاية إلينوي، وهي الولاية الّتي تنتمي إليها مدينة شيكاغو، وسبق الحديث عنها في الرّحلة الشّيكاغيّة.

لنصل صباح يوم الأربعاء إلى شيكاغو، في الحادي والعشرين من أغسطس، لنذهب إلى نزل MOTRL 6، وهو ذات النّزل الّذي نزلنا فيه سابقا في رحلتنا إلى شيكاغو، فأخذنا راحة طويلة، وحتّى المساء تجولنا في شيكاغو وأسواقها لنستحضر رحلة 2018م، ومن يزر شيكاغو لمرة يشدّه الشّوق لزيارتها سنويّا، لنأخذ راحة ونستعد لافتتاح المؤتمر، وجدول محاضرات اليوم الأول منه كما سنرى في الحلقة القادمة.

حضور جلسة افتتاح مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي الثّامن واليوم الأول منه

في صباح يوم الخميس، في الثّاني والعشرين من أغسطس أخذنا جولة طويلة في شيكاغو، واسترجعنا بعض زياراتنا السّابقة عنها، في طرقها وأسواقها ومكتباتها وحدائقها ومطاعمها.

وفي السّاعة الخامسة عصرا توجهنا إلى فندق Double Tree Hilton في منطقة Skokie Blvd لحضور جلسة افتتاح مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي الثّامن، وسبق أن شاركنا المؤتمر السّابع وكان بعنوان: الوحدة في التّنوع، وأشرنا إليه بإسهاب في الرّحلة الشّيكاغيّة، وأمّا هذا العام بعنوان: تطلعات لمستقبل الإنسانيّة[1].

وجلسة الافتتاح عبارة عن جلسة تعارف بين المحاضرين والحضور مع القائمين على المؤتمر، يتضمنها جلسة عشاء، مع توزيع برنامج المؤتمر، والتّسجيل فيه، وهنا التّقيت بمجموعة ممّن رأيتهم سابقا، مثل الباحثة سوسن حسني وأخوها عمرو حسني، والثّاني من القائمين في المؤتمر، كما التقيت بثريا وأخوها سمير، وهؤلاء أصولهم عراقيّة، وسبق الحديث عن سمير في الرّحلة الشّيكاغيّة، وهو من ولاية أريزونا، وعاتبنا على عدم زيارته والتّعرف على الهنود الحمر، فأكدنا عليه زيارتنا له 2020م، ولكن كورونا حالت دون ذلك، كما التقيت مرة ثانية بالأستاذ ورقاء كنعاني من كندا عاش في السّعوديّة سابقا، وهو شخص فاضل، وكنت قد وعدته في المؤتمر السّابق بنسخة من كتابي فقه التّطرف، وقد حضر هو وزوجته ألحان رحيمي وعائلته برا بالسّيارة من كندا وحتّى شيكاغو، كذلك التقينا بالأستاذ فريد شريفي من كندا عاش في السّعوديّة أيضا سابقا مع زوجته مرجان رحيمي، والأستاذتان ألحان ومرجان كلتاهما كانتا في قطر، والتقيت مرة ثانية بالأستاذة هيلين فرهاني حيث زرتها في بينها في دالاس، كما التقيت بالأستاذة سناء روحاني، وهي عضوة في المؤتمر، وكذلك الأستاذ عبير من العراق، وعضو في المؤتمر أيضا، كما كان حديث طويل على العشاء مع الدّكتور نبيل إلياس، وقد التقيت به في المؤتمر السّابع، ومن حسن الطّالع التقيت مرة أخرى بالمشرف السّوداني على المطعم القائم بتقديم الوجبات في المؤتمر، وحدث بيننا

[1] كما شاركت في مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي التّاسع، وكان بعنوان: قراءة واقعنا أداة محوريّة لبناء مستقبلنا، وعقد افتراضيّا بسبب جائحة كورونا 1 – 2 أغسطس 2020م، كذلك شاركت مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي العاشر، وكان بعنوان: التّمكين المجتمعي: استلهام من الماضي ورؤى للمستقبل، افتراضيّا في 17 – 18 أغسطس 2021م.

حديث جانبي أيضا، والتقيت بالعديد من الجدد الّذين تعرفت عليهم لأول مرة، وعلى رأسهم الأستاذ محمود عطيّة الله روحاني من مملكة البحرين، حيث جاءني مسلما بقوّة وحرارة، وأخبرني أنّه عرفني من خلال القناة اليوتيوبيّة (أنس)، وحدث بيننا ألفة كبيرة وصحبة بعدها.

وفي صباح يوم الجمعة في الثّالث والعشرين من أغسطس كان افتتاح المؤتمر في التّاسعة والنّصف صباحا، وقبل الجلسة كانت جلسة الفطور في الفندق على نفقة المؤتمر، ثمّ جلسة الافتتاح، وأدارت الجلسة الأستاذة مي رو، وأعقبتها الأستاذة سارة أحمدي أخوان، عضو اللّجنة المنظمة لمؤتمر العرب الأمريكيين، مرحبة بالحضور، ومبينة رسالة المؤتمر لهذا العام وجدول أعماله، ثمّ قرأ الأستاذ كن بورز سكرتير المحفل الرّوحاني للبهائيين في أمريكا رسالةَ المحفل المركزي في أمريكا، مبينا سعادتهم في ارتفاع عدد مناصري حقوق الإنسان في الدّول العربيّة، مع الغوص في أعماق الثّقافة العربيّة، جامعين بين الماضي والحاضر، لتشكل حضارة عالميّة إنسانيّة، وبالرّغم من المشاكل الّتي تعم العالم؛ إلا أنّ المتصفح في الأوضاع الحالية يجد أيضا تقدّما كبيرا، فنجد التّعصب والنّزاعات بدأت تتلاشى أمام التّفاهم الإنساني، وأملنا أن تتوسع الحقوق المدنيّة للأقليات، وتمكين المرأة، واحترام الأديان، وفهم القواسم المشتركة بينها، وهذا سيعود أثره إيجابا أيضا على العالم العربي.

ثمّ كانت ورقة الدّكتورة صبا حدّاد، وهي باحثة أكاديميّة في الطّب الحيوي، وشاركت في تقديم برامج تعليميّة للشّباب في ألمانيا والنّمسا وسويسرا، في الابتداء عرضت فيلما جميلا يصوّر مساعدات إنسانيّة يقوم بها صغار السّن لمساعدة الكبار وذوي الحاجة في الأسواق والطّرق في الغرب، مثلا امرأة كبيرة في السّن، تحمل أغراضا كبيرة، فينشأ الولد على مساعدتها وخدمتها إنسانيّا بدون أخذ مقابل، وأشارت الدّكتورة صبا إلى حالة اجتماعيّة حقيقيّة تتمثل في ناشئين يقدّمون خدمات اللّغة لآبائهم الكبار، ولا تقتصر هذه الخدمات عند التّرجمة فقط، ولهذا ترى لابدّ من بناء

جامعات نابضة بالحياة، ولا تقتصر فقط عند تلقين المعرفة، كما لابدّ من تدريب النّاشئة والشّباب على الخدمات الاجتماعيّة ليكبروا عليها، وليدركوا أنّ السّعادة الحقيقيّة تتمثل في تقديم خدمة للآخر.

ثمّ كانت استراحة لمدة ربع ساعة، وفيها تعرّفت على الدّكتور فريدون جواهري، وهو عضو سابق في بيت العدل الأعظم في حيفا، كما أنّه رمزيّة بهائيّة لها مكانتها، وأهديته كتابي إضاءة قلم حول التّعايش، وسر بذلك، وقال لي هذا اشتغال الأديان جميعا، وأنّ الإنسان واحد علينا التّعاون في الرّقيّ به وإحيائه، وكنت قد كتبت ترجمة بسيطة حول البهائيّة في إضاءة قلم من خلال لقائي بالدّكتورة أميلي جوشي في الكويت، وأثنى كثيرا على التّرجمة، وطلب مني أن نلتقي في وقت أوسع، كما رجوت منه تسجيل حلقة يوتيوبيّة، إلا أنّه اعتذر لوضعه المنصبي.

وبعد الاستراحة كانت كلمة الأستاذ بارازان باران رشيد من كردستان العراق، ويعمل في وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة في كردستان العراق، وعمله مرتبط بخطب الجمعة والأئمة، وهو ذاته إمام وخطيب في مدينة أربيل عاصمة كردستان العراق، وناشط في مجال حقوق الإنسان، ومهتم بالتّعايش الدّيني بين الأديان، وقد كان شاركنا في المؤتمر السّابع مريوان النّقشبنديّ، وكلاهما على الطّريقة النّقشبنديّة، وأصبح بيننا تواصل وتعارف حتّى كتابة هذه الرّحلة، وشاركنا في العديد من الحلقات الحواريّة الّتي كانت عبر برنامج ZOOM، كما طلبت منه زيارة كردستان العراق وتسجيل حلقات مع الأديان الثّمانية أو بعضها، كما أرجو أن أعمل حلقات أيضا مع الطّرق الصّوفيّة، وكان لي أمل أن أزور البصرة والمناطق المتاخمة لها، برا عن طريق الكويت في ديسمبر 2020م، وقد نسقت مع الدّكتور سعد سلوم، وهو من أهم الباحثين في شؤون الأديان في العراق المعاصرين، ورحب بالفكرة وعمل ما يلزم هناك، ولكن كورونا حالت دون ذلك، وعموما سجلت حلقة مع الأستاذ بارازان باران حول التّعايش الدّيني في كردستان العراق نذكرها في حينه.

وكانت ورقة الأستاذ بارازان حول دور رجال الدّين في تعزيز وتقوية وتوطيد التّعايش بين عناصر المجتمع المتنوعة، وأشار فيها إلى أهميّة دور علماء الدّين في تحقيق ذلك على مجتمعهم، لما لهم من تأثير إيجابي وسلبي، فيمكن لعلماء الدّين استخدام تعاليم دينهم في بناء السّلام، وغرس التّعايش وقيم الإنسان في المجتمع، فضلا عن الصّحة والاقتصاد والثّقافة وغيرها، ولهم دور في مدافعة العنف، ومواجهة التّطرف، وأن يكملوا أدوار الدّولة لثلاثة أسباب رئيسة: الأول: تمتعهم بالسّلطة الأخلاقيّة لهذا يستمع لهم عدد كبير من السّكان، والثّاني: ارتباطهم بقوّة قاعدة مجتمعاتهم، وبالتّالي تأثيرهم على شريحة أكبر من النّاس، والثالّث: توجيه الدّعم المادي من خلال التّعاون المجتمعي في توجيه المشاريع الخيريّة في المجتمع، ممّا يساهم في الاقتصاد واستقرار الأمن.

وبعد هذه الجلسة كانت الحلقة النّقاشيّة والّتي أدارتها أيضا الأستاذة مي رو، وفيها وجهتُ العديد من الأسئلة رغم أنّها كتابيّة، وشخصيّا لا أحبّ الأسئلة الكتابيّة بل المباشرة، ثمّ كانت فترة الغداء وبعدها راحة، وهنا كنّا في رحاب الفندق مع الدّكتور فريدون جواهري، ومعنا الأستاذ بيان النّوري ومحمود روحاني، وحدث جدل بين بيان ومحمود، فبيان يرى أنّ الدّعوة تكون بشكل مباشر، ولا تحتاج إلى كتمان أو تعريض، فكل يعرّف بدينه، واستشهد في أمريكا بشهود يهوة والمورمون مثلا، بينما محمود يرى الدّعوة بإظهار القيم وليس بالشّريطة أن تكون مباشرة، بل الحكمة مطلوبة، وهنا عقّب فريدون جواهري، وقال العديد من أصحاب الأديان ليسوا بهائيين، ولكن يحملون نفس القيم الّتي يدعو إليها البهائيّة، فنحن جميعا في طريق واحد، وإن اختلفت مسميات ديننا، وأمّا الخلاف بينكما – أي بيان ومحمود – ليس كبيرا، فيختلف حسب الوضع، لكن علينا أن نتمسك مع المبادئ الّتي تدعو إليها جميع الأديان في رقي الإنسان.

وفي السّاعة الثّالثة والرّبع كانت ورقة الدّكتور فريدون جواهري، وهو مع كونه عضوا سابقا في بيت العدل الأعظم؛ إلا أنّه عظيم المستشارين لمنظمة الأغذية والزّراعة للأمم المتحدة في زاميبا، وشارك في تأسيس مدرسة بناتي الثّانوية الدّوليّة، وتحدّث في ورقته حول السّلام العالمي والفرد، وبين أهميّة الفرد أيّا كان دينه ومركزه في تحقيق هذا السّلام العالمي، والمرتبط بالماهيّة الإنسانيّة.

ثمّ كانت دردشة مع الأستاذة ألحان رحيمي كنعاني، وقد ولدت في الدّوحة، بكالوريوس لغة عربيّة، ماجستير ترجمة، كما عاشت في الإمارات وتونس وبريطانيا ثمّ كندا، وهي مترجمة ومؤلفة ثلاث كتب للأطفال، تهتم في قصصها بشؤون اللّاجئين والانخراط المجتمعي في المجتمع الغربي، ومن قصصها الثّلاثة قصّة: يارا صديقتي من سوريا، وكانت في أسلوب قصصي على شكل رسومات بريشة أناهيت أليكسانيان، وأدارت الأستاذة سنا روحاني الدّردشة، وتدور القصّة حول يارا بنت سوريّة، جاءت من سوريا إلى كندا بسبب الحرب، حيث قبل أربع سنوات أتى عدد كبير من اللّاجئين السّورين إلى كندا، وتتناول القصّة أول يوم لها في المدرسة، وهي تشعر بالخجل لكونها لا تتكلم الإنجليزيّة، مع وجود طلاب يرحبون بها، وهي لا تفهم لهم، وهنا شاهدت تفاحة في يد أحد الطّلاب، فتذكرت شجرة التّفاح في بيتها في سوريّة، فهي لم تسطع أحضار العديد من ألعابها وملابسها من سوريّة بسبب الحرب، لكن أحضرت أوراقا من شجرة التّفاح، ثمّ أحضرتهم لأصداقائها ليشاهدوها، وكوّنت لها علاقة مع أنجلا من أصول أروبيّة، وأليفر من أصول كنديّة.

وفكرة التّفاحة أنّ اللّاجئ ليس فقيرا أو مسكينا كما يتصوّر، بل جاء ومعه ثقافة قد تشترك في جوانب مع الآخر، فهو إنسان له ثقافته، لهذا تحاول الكاتبة غرس هذا الجانب في الأطفال أن ينظروا إيجابيّا مع اللّاجئين، لهذا تكونت علاقة بين ثلاثة أطفال يختلفون في أصولهم، لكنّهم يشتركون في بناء الحياة والإنسان.

ولقت القصّة قبولا كبيرا من وزارة التّعليم في المقاطعة الّتي تسكن فيها الكاتبة في كندا، وكان طلب كبير على القصّة، مع إقامة حلقات حولها للأطفال في المدارس.

ومن أسباب كتابة القصّة كما تقول الكاتبة: أنّ مقاطعتهم في كندا أول مدينة تستقبل عائلتين سوريتين، فشكلوا لجنة، ووطلب منّي أنا وزوجي خدمة العائلتين، وهذه المدينة لا يوجد بها تعدد كبير، والأغلبيّة فيها من أصول أروبيّة، فكنّا نحن أيضا محط أنظار لهم، ولهذا قد يعاني أطفالهم من بعض المصاعب، ووجدت سابقا عائلة سورية أطفالهم يتقنون الفرنسيّة لأنّهم عاشوا في لبنان قبل المجيء إلى كندا، فاللّاجي جاء من بلد له تراثه الزّاخر؛ وليس مجرد لاجئ فقير أو مسكين، والعائلة الأخرى كان لها مصنع شوكلاته في سوريّة، فلمّا أتوا إلى كندا بدأوا المشروع ذاته في بيتهم، وشيئا فشيئا أصبح لديهم مصنع في بيتهم، وقاموا بتطويره، حتّى رئيس الوزاراء الكندي تحدّث عنهم.

ثمّ كانت جلسة راحة، وبعدها كان جدول ورشات العمل، فكانت ورشتان: الأولى عن المشورة: بحث جماعي عن الحقيقة، مع الدّكتورة صبا حداد، والثّانية حول تسخير حرية الإرادة للتّغلب على العادات الجماعيّة المدمرة، مع الأستاذة سويدا معاني يوينغ، واخترت الورشة الأولى؛ لأنّها تهمني في العمل المجتمعي.

وبعد الورشة حضرنا عرض فني شامي مع الفنان بهاء الدّين عسّاف والفرقة الموسيقيّة، وكان جوّا موسيقيّا رائعا، لنذهب بعده إلى العشاء وصاحبنا الأستاذ محمود روحاني في مطعم عربي في شيكاغو، لنرجع إلى النّزل ونستعد ليوم جديد، ومع اليوم الثّاني من المؤتمر، وتسجيل حلقة مع الدّكتورة سوسن حسني حول اللّغة العربيّة وتعليم غير النّاطقين بها كما سنرى في الحلقة القادمة.

اليوم الثّاني للمؤتمر وتسجيل حلقة حول اللّغة العربيّة وتعليم غير النّاطقين بها

في صباح يوم السّبت في الرّابع والعشرين من أغسطس كان الأصل زيارة المعبد البهائيّ (مشرق الأذكار) في ويلمت في شيكاغو، إلا أنني اعتذرت لثلاثة أسباب: الأول: لأنّ تعب السّفر لا زال باقيا، خاصّة كان اليوم الأول من المؤتمر مزدحما بالأعمال كما رأينا، والثّاني: لكوني زرت المعبد مرتين سابقا وكتبت عنه، والأصل أزوره للدّعاء ولكن لم يتسع الوقت، والثّالث: لكي أضع تصورا لحلقات يوتيوبيّة مقبلة في وقت ضيّق، لهذا أخذت شيئا من الرّاحة مع التّأمل والبحث، ثمّ ذهبت إلى فندق المؤتمر، وبعد الغداء كانت صورة جماعيّة، وطُلِبَ من الحضور أن يكون باللّباس الشّعبي، إلا أنني فضلت شخصيّا خلافه، واعتذرت منهم.

ثمّ كانت الورقة الأولى في اليوم الثّاني للمؤتمر مع الأستاذة رباب كمال من مصر، وهي إعلاميّة في الإذاعة، وكاتبة وناشطة ضّد التّطرف الدّيني، ومهتمة بالتّعايش وحقوق المرأة والإنسان في الوطن العربي، وكانت ورقتها بعنوان: الثّورات النّاعمة وآليات التّغيير المجتمعي: قضايا المساواة بين الجنسين، والحريات العقائديّة كركيزة لمواجهة التّعصب، وقد شدني عبارتها "التّسامح الانتقائي"، وهو تسامح مرتبط بالهوّيّة لا بالإنسان، وفعلا كلامها عين الصّواب، فأغلب الدّول والمتأدلجين يمارسون التّسامح الانتقائي، وقلّ من يمارس التّسامح بمفهومه الإنساني الواسع، خصوصا مع الانفتاح الإعلامي الواسع اليوم، لهذا بينت المحاضرة أنّ الثّورات الرّقميّة جعلت سقف الحريّة أعلى، فليس بحاجة أن يتعاقد مع صحيفة أو مؤسسة، أو أن يكون على تواصل مع أصحاب القرار، فقط عنده قلم ومدونة لا أكثر، ليعبر بهما عن حريته، وبهذا كانت نتائج جيدة على المستوى العملي، وهنا ضربت نموذجين في مصر، الأول لشاب مصري بسيط من الفلاحين اسمه نعيم، شارك في مبادرة لإلغاء الدّيانة من خانة البطاقة الشّخصيّة أو بطاقة الهوّيّة، ولمّا انتهت الوقفة شطب على مكان الدّيانة في بطاقته، ثمّ

نزل إلى الرّيف وأخبرهم: لماذا تطلب النّاس هذا؟ قائلا لهم: الصّحة والتّعليم أهم من الدّيانة في البطاقة، إنّهم وضعوا الدّيانة في البطاقة ولم يضعوا فصيلة الدّم، ولو وقعت حادثة هل يحتاجون حينها إلى اسم ديانتك أم إلى فصيلة دمك؟!!

والنّموذج الثّاني لفتاة مصريّة اسمها سهام عثمان، أتت من مجتمع قبليّ متشدد ضدّ المرأة، وتقدّمت لانتخابات المجلس النّوبي كأول امرأة في مصر، وأصبحت لهنّ مناهضة نسويّة ضدّ العنف ضدّ المرأة، والعنف الجسدي، مع تغيير الصّورة النّمطيّة للمرأة، وإشراك المرأة في العمل المدني والحزبي، ولهنّ مدونات، مثل مدونة مصريات، ونشاطهنّ بني على اللّامركزيّة واللّاسلطويّة، أي ليس حكرا على منطقة، ولا تتبع أي سلطة.

وبعد هذه الورقة كانت استراحة سريعة، وفيها ذهبت إلى الأستاذة رباب كمال، وشكرتها على كلمتها، وأهديتها كتابي فقه التّطرف، وسرت به، وكان بيننا بعض النّقاش في جوانب التّطرف.

ثمّ كانت ورقة الدّكتور نبيل إلياس، وهو عضو فخري في جامعة كارولينا الشّماليّة في شارلوت، وأستاذ سابق في جامعة مانيتوبا في كندا، ويعمل حاليا في منصب عميد التّعليم في مؤسسة الأعمال الأخلاقيّة لبناء المستقبل (EPPF)، وكانت ورقته حول مبادئ إقتصاديّة وتجاريّة لعصر جديد، وفيها تحدّث عن المبادئ الاقتصاديّة الّتي ترقى بالوضع الإنساني، وتحقق له كرامته ومكانته الإنسانيّة، أيّا كان دينه وعرقه، وأيّا كانت جغرافيّة عيشه.

ثمّ كانت الحلقة النّقاشيّة تحت إدارة الأستاذة تماره إبراهيم، وأتبعت بدردشة مع الأستاذة إلهام كرم، وهي ناشطة اجتماعيّة، ومهتمة بشأن الحوار التّعايشي مع قادة الفكر في المجتمع الكويتي، وذكرت نماذج لذلك من المجتمع الكويتي[1].

وبعد الحلقة كان لدي موعد مع الدّكتورة سوسن حسني، وهي مصريّة مستقرة في بريطانيا، لأسجل معها حلقة حول اللّغة العربيّة وتعليم غير النّاطقين بها، ضمن برنامج حوارات الحلقة السّادسة والخمسين، وبثت على قناة أنس اليوتيوبيّة يوم الاثنين 26 أغسطس.

وسبق الحديث عن الدّكتورة سوسن في الرّحلة الشّيكاغيّة فقلت فيها: "الدّكتورة سوسن خريجة الدّفعة الأولى من الفتيات من جامعة الأزهر، بعدها حصلت على الماجستير [ودكتوراه] في اللّغة العربيّة، ودرّست هذه اللّغة لمدة أربعة عقود في مصر والإمارات والسّودان والصّين ونيوزيلندا، وأخيرا في بريطانيا".

في البداية قالت: رحلتي مع النّاطقين بغير اللّغة العربيّة بدأت مع غير العرب في الإمارات والسّودان، وبعدها تطورت بذهابي إلى الصّين، فهي رحلة طويلة زمنيّا، فقد دعيت أنا زوجي لتدريسها في جامعة بكين في الصّين، وعشنا في الصّين حوالي أربعة عشر عاما، وتخرج على أيدينا العشرات من الطلبّة الجامعيين، وطلبة الدّراسات العليا، والجميل في الصّين اهتمامها بذلك، فإذا ذهبت إلى أيّ سفارة صينيّة في الدّول العربيّة تجد السّفير والقنصل يتحدّث بهذه اللّغة، ومن الصّينيين من نبغ فيها نبوغا كبيرا.

ولي عشق قديم مع اللّغة العربيّة، فأنا منذ الصّغر عشقت القراءة، ومن القراءة أحببت الأدب والشّعر، ومع دخولي إلى الأزهر تعرفت كثيرا على هذه اللّغة، وهي

[1] في كتابنا إضاءة قلم: الحلقة الأولى، خصصنا الحديث حول التّعايش، ومنها كانت رحلتنا إلى الكويت، ووضعنا الرّحلة الكويتيّة كاملة في الكتاب.

وإن كانت لغة قريش؛ إلا أنّ الّذي أعطاها الحياة هو القرآن الكريم، فجعلها تعيش حتّى يومنا هذا، ومن خلال الدّراسة والتّعمق وجدت أنّ اللّغة العربيّة من أغنى اللّغات، وقادرة على استيعاب أيّ تطور، ولكن للأسف أكثر العرب لا يعرفون قيمتها!!

لهذا محبتي وعشقي لهذه اللّغة جعلني أسعى إلى إحيائها ونشرها، فلمّا دعينا أنا وزوجي كخبراء للغة العربيّة في الصّين؛ هذه التّجربة عمّقت لدي فكرة أنّ هناك الكثير من غير العرب يرجون تعلمها، وذكرني هذا وقت انتشار الإسلام في بداياته في مناطق لا تتحدّث العربيّة، فعندموا دخلوا في الإسلام تبنوا لغة الإسلام وتعلموها، لهذا معظم علماء العربيّة من غير العرب، هنا أدركت أنّ هذه اللّغة تستحق أن تنشر، وأن يتمتع بجمالها أكبر عدد من البشر.

وفي الصّين تلقيت فرصة للمشاركة في مركز كبير لتدريس اللّغة العربيّة، وهو من أكبر المراكز في آسيا، واسمه مركز الإمارات للغة العربيّة، وكان منحة من الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان [ت 2004م]، وكان للمركز دور كبير في نشر اللّغة العربيّة هناك، وعموما نجد الصّين في الخمسينيات من القرن العشرين بعد مؤتمر الحياد الإيجابي بدأت تأسيس أقسام للغات المختلفة، ومنها اللّغة العربيّة، لشرح قضيتها للعالم، وقد كتبتُ كتابا عن اللّغة العربيّة في الصّين عام 1995م، حيث وجدت أنّ اللّغة العربيّة وصلت إلى الصّين قبل الإسلام [البعثة المحمديّة]، كما لي بحوث أخرى عن تحليل اللّغة وفي المناهج.

ثمّ ذهبنا إلى نيوزيلندا، وفيها كانت الفرصة في تأسيس أول كورس أكاديمي للغة العربيّة في جامعات نيوزيلندا، وكانت البداية في جامعة كانتربري، ووجدت في الغرب أنّ المتحدثين باللّغة الإنجليزيّة لا يحتاجون إلى تعلم لغة أخرى؛ لأنّهم يستطيعون بلغتهم الحديث في معظم أجزاء العالم، بيد أني اندهشت لمّا أسست أول كورس أكاديمي في نيوزيلندا أقبل إليه عدد كبير لتعلم هذه اللّغة لم أكن أتوقعه، وفاقت اللّغات الأخرى،

وكان هذه محل تساؤل للجامعة والأقسام فيها: لماذا هذا الإقبال إلى تعلم اللّغة العربيّة؟ واعتقد حينها ليس السّبب دينيّا؛ حيث الازدهار الّذي بدأ في الخليج، والثّورة النّفطيّة، أحدث نوعا من الطّفرة الاقتصاديّة، وبالتّالي جعل البعض يفكر بالعمل في الخليج، فضلا عن الدّراسات الاستشراقيّة لا زالت باقية ومستمرة أيضا لم تتوقف، وأنا ضدّ نظريّة أنّ الآخر يتعلّم اللّغة العربيّة لأجل تشويه الإسلام من الدّاخل، فسوء النّية لا تصل إلى هذه الدّرجة لكي يقضي عمره في دراسة لغة ليست سهلة، أي بالنّسبة للأجانب لغة صعبة، فلها تراكيبها ونظامها وكتابتها المختلفة عن اللّغات اللّاتينيّة واللّغات الأخرى.

وهناك صعوبات يواجهها غير النّاطق بالعربيّة، وقد وضعت بحثا في تحليل الأخطاء اللّغويّة للطّلبة الصّينيين لأجل وضع مناهج تناسبهم، وأحيانا المعوّقات من اللّغة العربيّة نفسها كأسلوب الكتابة، ومخارج الحروف مثل الحاء والهاء، ومعوّقات من اللّغة الأم الّتي يتحدّث بها الدّارس للعربيّة، تعوق تعلم لغة أخرى، حيث تجعل الطّالب يخطئ.

ومن متطلبات الوحدة في الجنس البشري وجود لغة مشتركة، حيث تشكل لغة التّفاهم بين الجميع، وقد لا يحتاج الإنسان إلى لغة، مثلا نجد أطفالا من خلفيات مختلفة يجتمعون ويتفاهمون ويلعبون وهم لا يفهمون لغات بعضهم، بيد أنّ اللّغة أساس يختصر هذا التّفاهم، وأنا أشجع على وجود لغة عالميّة يتكلمها الجميع، ولغة خاصّة في حدود الوطن أو الجنس أو الدّين، فوجود لغة مشتركة يحلّ العديد من المشاكل المترتبة من سوء الفهم، فالطّفل يعلم من الصّغر لغته القوميّة، ثمّ يعلم اللّغة العالميّة المتفق عليها، ولا يتعلمها كلغة ثانويّة؛ بل كلغة أصليّة مع نعومة أظافره، ولمّا يكبر ستكون لغته الثّانويّة كلغة الأم تماما، وحاليا تقريبا هي اللّغة الإنجليزيّة.

ففي العالم العربي والإسلامي مثلا توجد لغات ولهجات مختلفة، إلا أنّ اللّغة العربيّة الفصحى وحدت التّفاهم إلى حدّ ما، وفي الصّين مثلا توجد ست وخمسون قوميّة، لهم خلفيات ولغات مختلفة، ولمّا بدأت جمهوريّة الصّين الشّعبيّة قررت أن تدرس اللّغة الصّينيّة الفصحى [الماندرينيّة] في جميع المدارس في كل مناطق الصّين، بالإضافة مع لغة الطّفل الخاصّة به، فأصبح وجود تفاهم واتّحاد بين جميع هذه القوميات، وفي الماضي الكتابة واحدة، لكنّهم لا يفهمون معنى الكلمات، ووجدت مثلا الجدّة لا تفهم حفيدها؛ لأنّه يتكلم بالفصحى وهي لا تفهم الفصحى، وتقريبا هذه المشكلة انتهت في الصّين.

وسابقا ارتبط انتشار اللّغة بالقوّة الاقتصاديّة والاستعماريّة، واللّغة الإنجليزيّة اليوم لغة التّكلنوجيا والاقتصاد، فأصبح حتّى الفرنسيين والإيطاليين والأسبان مضطرين إلى تعلم هذه اللّغة، ولو خيرت في اختيار لغة عالمية أرى من وجهة نظري أنّ اللّغة الوافية الكافية هي اللّغة العربيّة، لكونها لغة غنيّة بالمفردات، تحتوي على جميع المكونات لكي تكون لغة عالميّة، ولا أقول هذا تعصبا منّي لكون العربيّة لغتي الأم، بل من خلال دراساتي وأبحاثي، وقد قضيت عمرا طويلا في هذا في الخليج والدّول العربيّة والصّين وأروبا، ووجدتها لغة غنيّة، وليس هذا رأيي فقط؛ بل هو رأي الكثير من الكتّاب والباحثين.

وأنا اليوم أتأسف أن أجد الشّباب العربي يضع مصطلحات أو مفردات إنجليزيّة أثناء التّحدث بالعربيّة، مع أنّها وافية وكافية، وأنا عشت أكثر من أربعين سنة خارج الوطن العربي، إلا أنني أحاول دائما أن أتحدث بالعربيّة كاملة، ولا أمزج بين الإنجليزيّة والعربيّة مثلا، وعموما اللّغات تتطور، فاللّاتينيّة خرج منها العديد من اللّغات، والعربيّة قوّتها في مكوّناتها وأسلوبها [وهي متطورة أيضا]، وسهلة التّطوير والتّبسيط والتّطويع، ولكن أنا ضدّ الكتابة بالعاميّة، فهذا إماتة للغة وتضييع لها ولجمالها، أمّا الحديث فلا بأس.

وأمّا الجانب الجمالي فلكل لغة لها جمالها، فجميع اللّغات لها خصوصيات ومشتركات جمالية، والّذي لا يتكلم لغة الآخر قد لا يشعر بالجمال الموجود في تلك اللّغة، واللّغة الإنجليزيّة مثلا فيها جمال وأدب ورقيّ أيضا، وهذا لا يقارن بين لغة وأخرى، فلكل لغة خصوصياتها.

وفي اللّغة الإنجليزيّة عموما العديد من المفردات أخذت من العربيّة، وهذا مثبت في القواميس الإنجليزيّة، كما أنّ العديد من المفردات في الإنجليزيّة أضيفت الآن إلى العربيّة، وثلث اللّغة الأسبانيّة أخذت من العربيّة.

وفي الختام تقول الدّكتوره: رسالتي للجميع أن نحافظ على هذه اللّغة الجميلة، وأن نتحدّث بها دائما، وأن نفتخر بها، وهي اللّغة السّادسة من لغات الأمم المتحدة.

وبعد تسجيل الحلقة ذهبنا إلى المشي أنا والأستاذ بيان النّوري بصحبة الأستاذ محمود روحاني، حيث يوجد ممشى تجاري جميل ومنظم قريب الفندق من الجهة الأخرى، فيه ممشى طويل مزود بكراسي للجلوس ودورات مياه، مع محلات عديدة ومطاعم، وذهبت هناك إلى مكتبة كبيرة من طابقين تشبه في خدماتها مكتبة جرير، أغلب كتبها باللّغة الإنجليزيّة، كذلك ذهبنا إلى أحد المطاعم، وتناولنا العشاء في مطعم للوجبات السّريعة، ثمّ ذهبنا إلى محل الآيسكريم، حيث يصنع بالفانيلا، وكأنّه طحين خبز وضع في صحن مستدير، الفارق هنا الصّحن بارد جدّا، ويستخدم ذات أدوات طبخ الخبز، فالّذي يراه من بعيد يتصوره يطبخ خبزا، ثمّ يقطعه إلى قطع مستطيلة، وبعدها يلفها على شكل دائري في كوب الآيسكريم، وهذا الشّاب في بداية العشرين، وأصله من إيران، وسألنا هل حضرتم للمؤتمر، قلتُ له: نعم، قال: يوجد بعد أسبوع ذات المؤتمر ولكنّه بالفارسيّة وأنا أحضر، وأخبرت أنّ المؤتمر بالفارسيّة يحضره عدد كبير يتجاوز ألفين شخصا.

ثمّ بعدها رجعنا إلى الفندق، وحضرنا عرض فيلم "محبس"، وكما جاء في الموسوعة العالميّة ويكبيديا: فيلم سوري لبناني يعود إلى عام 2017م من إخراج صوفي بطرس، يناقش قضيّة الصّراع السّياسي بين لبنان وسوريا وأثره على الواقع الاجتماعي سلبا، متمثلا في أم لبنانيّة تحمل كرها للسّوريين بسبب فقدان أخيها نتيجة الوصاية السّوريّة على لبنان، فهو يغرس قيمة التّسامح، ويطرح إشكاليّة التّعصب والكراهيّة ورفض الآخر من خلال محاكاة الواقع السّوري اللّبناني.

وبعد الفلم رجعنا إلى النّزل، لنستعد ليوم جديد ومع اليوم الأخير من المؤتمر، وتسجيل حلقة مع الأستاذ بارازان باران رشيد حول تجربة كردستان العراق في التّعايش الدّيني كما سنرى في الحلقة القادمة.

اليوم الأخير من المؤتمر وتسجيل حلقة حول تجربة كردستان العراق في التّعايش الدّيني ثمّ الرّجوع إلى تكساس

في صباح يوم الأحد في الخامس والعشرين من أغسطس عملنا THECK OUT في نزل MOTRL 6، ثمّ ذهبنا إلى فندق المؤتمر للفطور، وقبل بداية جدول عمل اليوم الأخير من المؤتمر طلبت من الأستاذ بارازان باران رشيد تسجيل حلقة يوتيوبيّة حواريّة حول تجربة كردستان العراق في التّعايش الدّيني، في برنامج حوارات الحلقة السّابعة والخمسين، في السّاعة التّاسعة صباحا، وبثت على قناة أنس اليوتيوبيّة يوم الثّلاثاء السّابع والعشرين من أغسطس.

وسبق ترجمة الأستاذ بارازان باران، وما حدث بيننا من تواصل حتّى اليوم، وهو شخصيّة وحدويّة كثير التّواضع، وعظيم المعرفة، وكردستان العراق كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة فيها ثمان ديانات، فضلا عن الطّرق الصّوفيّة، والتّوجهات المعاصرة، وبينهم تعايش كبير، لهذا أردنا توثيق هذه التّجربة من العالم العربي.

في البداية تحدّث الأستاذ بارازان باران أنّ كردستان العراق جزء من الحكومة العراقيّة المركزيّة، وهو أيضا أقليم خاص له حكومة خاصّة، وبرلمان ورئاسة إقليم خاصّة أيضا، وعدد سكان كردستان العراق حوالي خمسة ملايين نسمة، خمس وتسعون بالمائة، وقيل سبع وتسعون بالمائة حسب المصادر الأخرى من المسلمين، وأغلب هؤلاء على الفقه الشّافعيّ، وفيه الطّرق الصّوفية المتنوعة أشهرها النّقشبنديّة والقادريّة، والنّاس هناك بطبيعتها متصوّفة، منهم من لديه شيخ أو طريقة، ومنهم من يحمل تصوّفا داخليّا بعيدا عن الطّرق.

وفيه مكوّنات أخرى من الزّرادشتيين والمسيحيين والصّابئة المندائيّة والكاكائيين والإيزيديين والبهائيين والقليل من اليهود، كما يوجد العرق التّركماني

النّازحين إلى أربيل بعد حرب داعش من بغداد والفلوجة والأنبار والمناطق السّنيّة بشكل عام، وأعدادهم كبيرة.

وعاصمة كردستان العراق أربيل، ويتكون من أربع محافظات: محافظة كركوك وهي متنازع عليها دوليا، وتشمل مكوّنات دينيّة وعرقيّة متنوعة من العرب والكرد والتّركمان، ومن الشّيعة والسّنة والكاكائيّة، ثمّ محافظة أربيل وهي كما أسلفنا عاصمة كردستان العراق، والمحافظة السّليمانيّة، ومحافظة دهوك.

واللّغة الرّسميّة في الأقليم عموما اللّغة الكرديّة، كما توجد مدارس باللّغات الأخرى كالعربيّة والفارسيّة والتّركيّة والإنجليزيّة، وعموما يوجد تداخل كبير في المفردات بين العربيّة والكرديّة، خصوصا كانت أغلب المدارس من الستينيّات حتّى بداية التّسعينيات من القرن العشرين باللّغة العربيّة، [أدّى إلى تداخل كبير في المفردات بين اللّغتين]، وبعد انتفاضة شعب كردستان أصبح التّعليم باللّغة الكرديّة.

ولغة الخطابة في المساجد عموما اللّغة الكرديّة، ولكن عند بعض المساجد الّتي يكثر فيها النّازحون تكون نصف الخطبة بالعربيّة، ونصفها الآخر بالكرديّة، والخطب في الأقليم مكتوبة من قبل وزارة الأوقاف، حيث فيها لجنة خاصّة لخطب الجمعة، وفي كلّ جمعة ثلاثة عناوين للخطيب حريّة اختيار المناسب له وللجامع، وله حق الإضافة على الخطبة المكتوبة في إطار العنوان، وتركز الخطبة على القواسم والعنوانات المشتركة بين أفراد المجتمع كالإنسان والسّلم والصّدق ونحوها، شريطة أن لا تكون بعيدة عن واقع النّاس؛ لأنّ الخطبة تجسّد هذا الواقع.

وللفتوى في كردستان العراق لجنة خاصّة تابعة لاتّحاد علماء المسلمين الكردستاني، وفي داخل الاتّحاد لجنة افتاء كردستان، والفتوى لا تكون فرديّة وإنّما بشكل جماعي حيث يتجاوزن عشرين مفتيا من كبار العلماء والمجتهدين.

ووزارة الأوقاف في الأقليم في بداية التّسعينيات كانت باسم وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ثمّ تحولت إلى وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، لتشمل الأديان الأخرى، وكانت للمسيحيّة فرع خاص في الوزارة، وفي 2011م فتحت مديريتان: مديريّة الشّؤون المسيحيّة، ومديريّة الشّؤون الإيزيديّة، وفي عام 2013م فتحت مديريّة خاصّة لشؤون الأديان، مسجل فيها ثمانية أديان رسميّة، تتضمن هذه المديريّة على التّسلسل التّالي: المديريّة العامّة لشؤون المسلمين، والمديريّة العامّة لشؤون المسيحيين، والمديريّة العامّة لشؤون الإيزيديين، وتوجد فيها ممثليات لباقي الأديان المتبقية؛ لأنّ أعدادهم قليلة جدّا في الإقليم.

وتعتبر الدّيانة الإيزيديّة الدّيانة الثّانية بعد الإسلام في الإقليم؛ لأنّ أغلب المسيحيين بعد حرب داعش هاجروا إلى خارج العراق، وقد كانت الثّانية بعد الإسلام.

وأمّا مع التّيارات المعاصرة الخارجة عن الأديان كالرّبوبيّة و اللّاأدريّة؛ فالشّعب الكردي متسامح في داخله، ويتعايش مع الآخر، مهما كان توجهه العقدي.

ومع هذا توجد أصوات نشاز تدعو إلى الكراهيّة مع الآخر، ونتخوّف منها كأي مجتمع آخر متعايش، إلا أنّها قلّة لا يتقبلها الشّعب الكردي، حيث اعتاد من داخله على التّعايش والتّسامح، خاصّة كما أسلفنا النّاس بفطرتهم متصوّفة، والتّصوف يدعو إلى المحبّة والتّعايش مع الآخر، لهذا نعيش حالة من الاطمئنان والتّفاؤل.

وبعد تسجيل هذا اللّقاء السّريع حضرنا ورقة الأستاذة سويدا معاني يوبنغ، وهي محامية متخصّصة في القانون الدّولي، ومديرة مؤسسة السّلام والحكم العالمي، وكانت ورقتها في التّاسعة والنّصف صباحا بعنوان: الحلول المبدئيّة للمشاكل العالميّة، وأدارت الجلسة الأستاذة هند التّميمي.

وتحدّثت الأستاذة سويدا معاني يوبنغ أنّ العالم يعاني من أزمات متجدّدة وبشكل مستمر كالإبادة الجماعيّة، والتّغيير المناخي وتهديده لحياة النّباتات

والحيوانات والبشر، فمليون صنف من النّباتات مهدّدة بالانقراض، فضلا عن الأوبئة وتهديداتها، والأزمات المالية، والهولوكست النّووي، ومشكلة اللّاجئين والتّشريد والفقر، والتّعامل مع هذا الأزمات يكون عن طريق النّفعيّة يزيدها ضررا تحت مسميات كالوطنيّة والأنانيّة والانعزاليّة والتّحيزات الفئويّة.

مثلا: قرار حكومة الإكوادور في استدانة أموال كبيرة من الصّين لبناء سد يلبي احتياجات الدّولة من الطّاقة، وبالتّالي تخفيف درجة الفقر بين السّكان، ولكن لم تنتبه الإكوادور والصّين أثناء التّوقيع أنّ السّد بني أسفل منطقة بركانيّة، وبعد عامين من انتهاء بنائه حدث للسّد تصدّعات تجاوزت سبعة آلاف تصدّع، ممّا جعله غير فعال، ولم يساهم في حلّ الفقر بل زاد من معدّله، فلم تستطع الإكوادور سداد الدّين المترتب عليها مع الصّين، واحتفظت الصّين اليوم بقيمة ثمانين بالمائة من صادرات الإكوادور من النّفط.

والمثال الثّاني القرار الّذي اتخذته اليابان بعد كارثة هورشيما النّوويّة، ورغبة منها في تخفيف الهلع والقلق الّذي أصيب به اليابانيون بعد هذه الحادثة وعدت اليابان بإغلاق تسع وثلاثين من أصل أربع وخمسين محطة للطّاقة النّوويّة، ووفرت ثلاثين بالمائة من الكهرباء عن طريقها، وهذا جعلها تبحث عن وسائل بديلة للطّاقة، فهي ثالث مستهلك للكهرباء بعد الصّين وأمريكا، ولكونها لا تملك المصادر الطّبيعيّة للطّاقة كالنّفط والغاز بدأت تستورد ذلك من الخارج، ولكن هذا ساهم بشكل أكبر في الانحباس الحراري الّذي يهدد الحياة البشريّة اليوم، فكانت اليابان نموذجا في دفع ذلك إلى أن أصبحت جزءا من المشكلة.

والسّؤال: ما الحل بدل النّفعيّة؟ الحل وجود منهج عالمي جديد مبني على تأسيس مبادئ مشتركة للعلاقات الدّوليّة، أي تحت مسمّى الأخلاقيّات العالميّة المشتركة، وأهم هذه المبادئ وحدة الشّعوب والدّول، وهذا ينبني أنّ منفعة الجزء

(الدّولة) لا يتحقق إلا بمنفعة الكل (جميع الدّول)، وينبني أيضا أنّ الوطنيّة غير المقيدة أصبحت من الماضي، أي الوطنية القائمة على مصلحة دولة معينة بعيدا عن مصلحة الدّول الأخرى، ويتضح هذا مثلا من التّوزيع غير العادل للثّروات الطّبيعيّة، فنجد من الدّول الّتي تملك هذه الثّروات تمنع الدّول الأخرى من الاستفادة لكونها تملك الموقع الجغرافي، وهذا يعني لابدّ من تحقيق المساواة والعدالة المتمثلة في حكومة وطنيّة عالميّة عليها أن تجعل جميع الشّعوب والدّول تستفيد من هذه الثّروات، وهذه الحكومة الوطنيّة الواحدة منتخبة ديمقراطيّا من جميع الدّول، همّها مصلحة العالم أجمع بعيدا عن الأحادية، ولابدّ من حل أزمة الفيتو الّتي جعلت لخمس دول فقط من أصل مائة وثلاثة وتسعين دولة، حيث يملك أعضاؤها سلطة غير عادلة فيما يتعلق بالدّول الأخرى، فالفيتو يجسّد النّفعيّة السّلبيّة واستخدامها بشكل متكرر.

وتحدّثت أنّ اللّجوء إلى القوة لا يستخدم إلا في حالة تحقيق العدالة فقط، فعلى الدّول أن تتنازل في استخدام القوة في العلاقات الدّولية، وتكون لأجل منفعة جميع الدّول وليس لهيمنة دول معينة يدعمها حق الفيتو أو المصالح النّفعيّة السّلبيّة.

ثمّ كانت جلسة الاستراحة، وبعدها حلقة النّقاش بإدارة الأستاذ عمرو حسني، ثمّ تأملات المشاركين وكلمة ختام المؤتمر، وبعدها ودعنا الجميع، ولكون الأستاذ بيان مرتبطا عملت جولة مشي طويلة في المنطقة مع الغداء، وفي العصر انطلقنا من شيكاغو متوجهين إلى تكساس، وشاركنا الرّجوع الأستاذ بارازان باران، ورجونا أن يشاركنا الأستاذ محمود روحاني أيضا لكنّه اعتذر لظرف الطّيران مع رغبته في المشاركة، وعموما استفدنا كثيرا من الأستاذ بارزان، وكان بيننا حديث طويل حول جوانب فكريّة ودينيّة اختصر لنا الطّريق، لنصل دالاس قبيل المغرب يوم الاثنين في السّادس والعشرين من أغسطس، لنستعد لزيارة الأستاذ توم مور، وتسجيل حلقة حول التّناسخ وعالم الأرواح كما سنرى في الحلقة القادمة.

تسجيل حلقة حول التّناسخ وعالم الأرواح

رأينا سابقا أننا وصلنا دالاس يوم الاثنين في السّادس والعشرين من أغسطس مساء، فأخذنا نوم التّعب، إلا أنّه كان عندنا صباح الثّلاثاء في السّابع والعشرين موعد في السّاعة التّاسعة صباحا في منطقة بلينو مع الأستاذ توم مور حول التّناسخ وعالم الأرواح، فذهبنا والتّعب يصاحبنا.

والأستاذ مور مؤلف لثلاثة كتب: Firest Contact، وThe Gentle Way ، وAtlantis and Lemuria، وفي أمريكا توجد حريات حتّى للأفكار الّتي نراها شاذة، وهناك عجائب التّناقضات، فمن أقصى العلمويّة الماديّة، الّتي لا تؤمن إلا بالماديّة التّجريبيّة إلى أقصى عالم الخيال والخرافة، ولهذا أحببنا التّعرف على شيء من هذا العالم الثّاني، فكما نجد النّاس يقبلون إلى العلوم الأولى ولا يتجاوزونها، نجد أيضا هناك من يؤمن بالعالم الثّاني، ويتقبل أيّ شيء يشبع حاجاته الرّوحيّة، ونجدها مرتعا للتّكسب في الكثير من الأحيان، وهذا ما وجده الأستاذ توم مور، حيث لقي إقبالا شديدا لدرجة أنّ صفحته الشّهريّة الّتي يدعمها في المجلات تحولت إلى أسبوعيّة لكثرة الطّلب.

وعموما وصلنا إلى منزله في منطقة بلينو في دالاس قرب التّاسعة صباحا، ووجدناه قد أعدّ لنا إضاءات التّصوير، وتصوّر في الابتداء لديّ كامرات وأجهزة وطاقم إعلامي، فتعجب أنّي فقط أصور بهاتفي، وقلت له الغاية هي المعرفة وتكفي عن طريق الهاتف، ومع ذلك سر كثيرا، ونشر منشورا في صفحته على الفيس بوك يشكر فيه هذا العمل، وأبدى سعادته أن يسمع له من العالم العربي، إلا أنّه كتب عني أني من عمان في الأردن، ولعلّه تصوّر عمّان عاصمة الأردن، وكثيرا ما يحدث هذا الخلط.

وكان بيننا حديث طويل قبل التّسجيل، حيث سجلنا ضمن برنامج حوارات الحلقة الثّامنة والخمسين في العاشرة صباحا، وبثت يوم الأثنين الثّاني من سبتمر على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في الابتداء بيّن أنّ كتبه قريبة من الأديان، ولا تخالفها وتناقضها، ولكن كلّما خرجنا من الأديان إلى الكون؛ نجد حقيقة ذلك بشكل أكبر، ولهذا لمّا كتبت أفكاري، وجدت هنا قبولا كبيرا لها من قبل المهتمين في الجانب الرّوحاني، وقد تواصلت مع الملائكة، وكتبت أول كتبي الطّريقة المحترمة The Gentle Way.

وقد كنت تاجرا فسمعت نداء أن أكتب هذه الكتب، فاعتذرت بداية لشغلي بالتّجارة، إلا أنني قررت كتابة كتابي الأول بعد تسعين يوما، وبعد ثلاث سنوات وجدت ما كتبته كان أكثر انتشارا عندنا، وكثر الاتّصال مع النّاس، وحصلت على شهادات خصوصا ممّن يعملون في القطاع الصّحي، وترجمت كتبي إلى اليونانيّة والأسبانيّة والألمانيّة، والآن كتابي الأول صوتيّا باللّغة الإنجليزيّة.

ولمّا كنتُ اختلي مع نفسي وأدعو، ولمّا كنت أتواصل مع الملائكة؛ توصلت أنّ للكون إله، ولكن عندنا أيضا ملايين الأكوان، وليس كونا واحدا، ولكل كون إله، ولهذه الملايين من الآلهة فوقها إله واحد، وأرى خالق هذا الكون هو من أقوى وأذكى الخمسة الأوائل من الآلهة، وأرى الّذي يؤمن بهذا أو يؤمن بإله واحد أو حتّى الّذي ينكر هو في النّهاية لا يخرج عن دائرة الاعتقاد والإيمان بشيء ما إثباتا أو نفيا.

ونحن لدينا أرواح قويّة، لهذا نستطيع التّواصل مع الملائكة، فيوجد من خمسة آلاف إلى مليون من الملائكة في العالم، والملائكة الّتي تواصلت معها كبيرة في السّن من الأرواح القديمة، لها لون ذهبيّ، وهم متطوعون لخدمة العالم، وعندهم آلاف الأرواح، والملك الّذي جاءني: قال اختر اسما لك، ففكرت في الأمر، حيث اختار إمّا توم أو ثيو، فقال له: توم اسمك، فاختر ثيو، وهو اسم يوناني، فاخترت هذا الاسم، ولم أكن

أعرف معناه، وبعد فترة كنتُ في الكنيسة المعمدانيّة سألوني: هل تعرف اللّغة اليونانيّة؟ فقلت: لا.

وكما يوجد ملائكة يوجد أرواح كاملة، وهذه تشرف على الأرواح غير الكاملة كأرواح النّبات والحيوانات والإنسان، وأنا متواصل مع روح كاملة على شكل امرأة اسمها جايا، وهذه المرأة متواصلة مع أربعة ملايين من الأرواح في العالم خصوصا من الحيوانات.

والهندوسيّة من أقدم الدّيانات، وفيها النّاس العاديون تحولوا إلى آلهة، [وعندهم التّناسخ]، وفي نظري الأرواح تنتقل من رحلة إلى أخرى؛ فلا استبعد أن تنتقل من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان، فأنا أصلي نمر، ثمّ تطوّرت، ورجوع الرّوح مرة أخرى يجعلها تكتسب صفة السّرعة والقوّة والذّكاء، فتندمج هذه الأرواح مع بعضها لتصبح كقوّة الخالق، وبالتّالي الخالق الّذي أكبر منها يُعطى وظيفة أخرى.

وكنتُ أرى في البداية توقف أدوار التّحول، ولكن تبين لي أنّها حالة مستمرة تتشكل في مجموعات لها اهتمامات مختلفة، وهي معقدة جدّا؛ لأنّ الكون معقد بطبيعته، وكما عندنا أثني عشر وقتا؛ عندنا أيضا اثنتي عشرة مرحلة، أصعبها المراحل الأولى، وأسهلها المراحل الأخيرة، وأنا في المرحلة الأولى والثّانية تعرضتُ لسكتة قلبيّة؛ لأنّي كنت بالجيش، والجنود لهم أسر، وبقتلهم تأثرت كثيرا، فأصبت بهذه السّكتة القلبيّة، ولهذا أدعو يوميّا في الصّباح لمن ظلمتهم ماديّا أو معنويّا، وأرجو السّعادة للبشر، والملاك قال ينبغي أن يدعو النّاس بمثل دعائي، ولمّا كنت امرأة تزوجتُ وطلقت في المرحلة الثّالثة والرّابعة، وفي المرحلة الخامسة إلى الثّامنة كنت جنديّا، ولم أشارك في حرب فيتنام، وإنّما ذهبت إلى كوريا، ومن تسعة إلى اثنتي عشرة أصبحتُ كاتبا.

والرّوح عبارة عن طاقة، وفي الأديان لمّا نتوفى نرجع إلى عالم الآخرة، ولكن أرى نذهب إلى عالم آخر لتحضير الأرواح في شكل آخر في الحياة، وأنا عشت آلاف السّنين

قبل هذا الكوكب، وسيأتي زمن وأرجع مرة أخرى إلى كوكب تسعون بالمائة منه ماء، وعشرة بالمائة منه يابسة، وسأكون من البرمائيّات، كما سأرجع مرة أخرى بعد ثلاثة آلاف سنة أيضا على شكل امرأة فضائيّة، وقد أرجع إلى الماضي إلى عام ستمائة، واعتنق ديانة الجمايقي، وأصلها من أثيوبيا، وكذلك الدّيانة العلميّة الّتي أسّسها ال رول هايبر، وأكون زوجته الثّانية، وكلا الدّيانتين لم اعتنقهما سابقا، ولمّا ولدت في اليونان سنة ثلاثة وستين قبل الميلاد كنت باسم شخص علمي مشهور، كما عشت في زمن المسيح كأم ليوحنا، وعند المسيح ثلاثة أضعاف من الأرواح العاديّة، ولا اتصور الرّوح القدس هي الخالق.

وأرى أنّ الإنسان يولد من ستمائة إلى ثلاثمائة مرة في تشكل مختلف في دينه وجنسه وعرقه، وتوجد منطقة خلف المخ حسب العلماء تقوم بعمل واحد، لكن في الحقيقة لها قدرة في التّواصل مع جميع الأشياء، وبعد النّوم العميق يقوم بطرح الأسئلة.

وتوجد أربع طاقات لا نعرفها، والبشر منذ تسعة آلاف سنة حاولوا اكتشاف هذه الطّاقات، ونحتاج إلى مئات السّنين لاكتشافها، وتوجد عموما أربع طاقات سلبيّة، وعشر طاقات إيجابيّة، وأراد الخالق أن تكون الطّاقة الإيجابيّة خارج الكون، والطّاقات السّلبيّة تدمر البشريّة، وفعلت ذلك مرتين سابقا، مرة في اليابان عن طريق القنابل الهيدروجينيّة، ومرة قارة في المحيط الهادي دمرت، ولن يحدث ذلك مستقبلا، لهذا في المستقبل ستتضائل الحروب.

وقد بدأتُ أكتب أسئلة النّاس في الصّحافة، وأنشرها بشكل شهري من 2007م وحتّى يومنا هذا، ومع الإقبال الكبير جعلتها بشكل أسبوعي، ونشرت العديد من الصّفحات.

وبعد اللّقاء ودعنا الأستاذ توم مور، ثمّ ذهبت إلى مول نورث بارك للغداء، وأعمل برمجة للحلقة، ولكوني أراجع كتاب الجمال الصّوتي كما أسلفت، ولابدّ من إرساله إلى الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، ولنستعد ليوم جديد مزدحم أيضا، حيث نسجل حلقتين حول واقع المسلمين في أمريكا مع الدّاعية الشّهير عمر سليمان، وحول الكنيسة المعمدانيّة مع القس مايك جريد كما سنرى في الحلقة القادمة.

تسجيل حلقتين حول و اقع المسلمين في أمريكا وحول الكنيسة المعمدانيّة

في صباح الأربعاء في الثّامن والعشرين من أغسطس ذهبنا إلى مدينة أرفينج في تكساس، وتبعد عن النّزل حوالي خمسا وعشرين دقيقة، وفيها زرنا مؤسسة يقين للإبحاث والدّراسات الإسلاميّة، ومع المؤسس ورئيسها الدّاعية الشّهير في أمريكا الدّكتور عمر سليمان، وهو من أصل فلسطيني، حيث وصلنا قرب التّاسعة صباحا، وبحثنا قليلا عن المؤسسة حتّى اهتدينا إليها، وهي في الطّابق العلوي، ورحب بنا الدّكتور عمر سليمان، لنسجل معه حلقة يوتيوبيّة عن واقع المسلمين في أمريكا ضمن برنامج حوارات، الحلقة التّاسعة والخمسين في العاشرة صباحا، وبثت يوم الخميس في التّاسع والعشرين من أغسطس على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث أنّ الهدف من هذه المؤسسة هو إعادة صياغة الخطاب الفكري والدّيني تحت مظلّة القرآن والسّنة والآثار وفق المنظومة الإسلاميّة، لأنّ العديد من المتشددين يفسرون هذه المنظومة تفسيرا خاطئا، وننطلق من قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم: 24 – 25]، وكما ندرّس هذه المنظومة في جوّها التّقليدي؛ أيضا ندرسها في ضوء الوحدة الإنسانيّة، لنعمّق الصّفات الحسنة منها، كما في حديث: "خير النّاس أنفعهم للنّاس"، فنقدّم المنفعة العامّة على المنفعة الشّخصيّة، وهذه المنفعة مرتبطة بالإنسان على اختلاف دينه وجنسه وهوّيّته.

والمؤسسة غايتها التّنقل من مرحلة الشّك إلى الإيمان ثمّ اليقين، ولهذا سميت مؤسسة "يقين"، والمؤسسة ليست مقتصرة على ولاية تكساس أو أمريكا فقط، بل مشروعنا في العالم أجمع، ونستقبل جميع الأفراد مهما كان عددهم ولو قل في أماكن ما، ولدينا مناهج مخصّصة في هذا، وعملنا ينطلق من قوله تعالى في وصف نبيّه محمّد

– صلّى الله عليه وسلّم -: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، فهو رحمة للعالم أجمع.

والمتشددون عموما يعطون صورة سيئة عن الإسلام، حيث يقفون شكليّا مع النّصوص، ويتشددون في أمور واسعة، لهذا نحن نظهر دائما أنّ الإسلام دين محبّة وسلام، ونحث على الانفتاح على الآخر، ولهذا نجد في هذه المؤسسة احتراما كبيرا من الحاخامات والقساوسة وغيرهم؛ لأنّها تعطي صورة حسنة عن الإسلام وروحه.

وفي الرّواية عن النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -: "سألتُ ربي ثلاثا، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمّتي بالسّنة أعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمّتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها"، ويجسّد هذا قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:46]، وفي هذا دعوة إلى عدم الفرقة والاختلاف.

وأكبر الاختلافات بين التّيارات الإسلاميّة في أمريكا شخصيّة أكثر منها مذهبيّة، كما يتعلّق بطريقة الخطبة والخطابة مثلا، مع الاتّفاق على الغاية، وأنّ للمسلمين هنا لقاءات مستمرة، خصوصا في المدرسة السّنية، كما يوجد لقاءات بين السّنة والشّيعة، ومؤسّستنا تعمّق الألفة والوحدة بين المسلمين أيضا، كما تعمّق ذلك مع الأديان والتّوجهات الإنسانيّة الأخرى، ومع غير الدّينيين والرّبوبيين أيضا، ونتعاون جميعا بلا تفريق في العمل الاجتماعي، وفي مساعدة الفقراء والمشردين.

وفي نظري الشّخصي أنّ العلمانيّة واللّبراليّة قادت إلى العديد من المشاكل كمشاكل الحربين العالميتين الأولى والثّانية، وهذه الحرب ليست بسبب الأديان، وقد راح ضحيتها أكثر من مائتين وخمسين مليون قتيل وجريح ومشرد، فضلا عن خراب الشّعوب، وهكذا إذا جئنا إلى التّخلف في العالم الإسلامي مثلا؛ ليس بسبب الإسلام،

بل أحيانا العلمانيّة الغربيّة يهمّها وتسعى إلى تخلف العالم الإسلامي وخرابه، للاستفادة من خيرات هذه الشّعوب.

والإسلام عموما ساهم على طول التّأريخ في الجوانب العلميّة كالطّب والأدوية والهندسة والفيزياء، وكما ساهم الإسلام في الماضي؛ فهو قادر على المساهمة في الحاضر، ومؤسستنا تقوم ببيان ذلك، وردّ مثل هذه الشّبهات والإساءات على الإسلام، مع تقديم الإسلام الصّحيح أيضا [وليس المشوه من الدّاخل].

وأنا أرى أنّ الظّلم والطّغيان واحد، جاء من قبل العلمانيين أو من قبل أصحاب الأديان، فإذا أردنا محاربة الظّلم والطّغيان علينا أن نحاربها من جميع الجوانب، لا أن نجعل الأديان الضّحيّة دائما.

وعموما من باب {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7] أجد حال المسلمين في أمريكا أفضل من حالهم في العديد من الدّول الإسلاميّة من حيث الحريّات، ويتجسّد هذا في حديث النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء"، والشّخص هنا يمكن أن يبدي رأيه بكل حريّة حتّى في القضايا السّياسيّة، فضلا عن القضايا الدّينيّة والمذهبيّة، وأنا كأمريكي - [وإن كنتُ مسلما من أصول عربيّة] - لي الحريّة الكاملة في نقد الحكومة الأمريكيّة وسياساتها، ولي الحق في تقديم الآراء والمقترحات، كما لنا الحريّة الكاملة في ممارسة الشّعائر والطّقوس.

نحن نعيش هنا مع العنصريّة ضدّ الأديان عموما من داخلها، وليس الإسلام فقط، فهناك من يمارس العنف والتّفجير ضدّ دور العبادة باسم الأديان، ونحن نناصر المستضعفين في كلّ مكان، في فلسطين وكشمير وبورما وغيرها.

وأنا أجلس شخصيّا مع جميع الأديان في أمريكا كإنسان مسلم، لا أتشكل من دين لآخر، وقد عورضت من قبل البعض من باب {وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ

ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 42]، لكني أنا أجسّد القرآن، فأجلس وأتحاور واحترم الجميع، وبهذا أمر القرآن الكريم: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64]، فنحن ننطلق جميعا من أشياء متفقة، ونعيش في مجتمع واحد، وهناك قضايا مجتمعيّة تهمنا جميعا، مثل قضايا الفقر والمشردين، وإذا جئنا إلى حلف الفضول قبل البعثة نجد النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – تعاون مع المشركين في المبادئ الكبرى في تحقيق المنفعة بين النّاس جميعا.

وأنا أيضا اقتدي بالإمام أحمد بن حنبل [ت 241هـ] عندما زاره قسيس في مرض موته، ردّا للجميل الّذي قدّمه هذا الإمام لغيره من البشر، وإن كانوا غير مسلمين، وأنا شخصيّا شاركت في فيلم وضعت فكرته بنفسي مع قسيس مسيحي، والفيلم بعنوان: شيخ وقسيس وحلم، والحلم أي المحبة والألفة والتّعاون بين الجميع، ووقفت داعش ضدّي، واتّهمتني بالرّدة، وأنزلوا عليّ قوله تعالى: {وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ} [التّوبة/ 12].

وفي ختام اللّقاء بيّن محبّته لعمان، وأنّه زارها أكثر من مرة، ولمّا كان ساكنا في الشّارقة زار عمان أكثر من مرة، فمسقط يزورها مرتين في السّنة، ويزور خريف صلالة، ومعجب بأخلاق أهل عمان.

بعد هذا ودعنا الدّكتور عمر سليمان لنتجه إلى منطقة رويل في دالاس، حيث عندنا موعد مع الكنيسة المعمدانيّة، أي المذهب البروتستانتي الكالفني المعمداني، والمعمدانيّة تعود إلى عام 1609م في إنجلترا إلى جون سميث وتوماس هلويز.

وصلنا الكنيسة في السّاعة الواحدة ظهرا، واستقبلنا القس مايك جريج، وهو القائم في الكنيسة، وهو رجل أنيق مبتسم، استقبلنا بترحيب كبير، وعرّفنا على الكنيسة، وتشبه الكنيسة المشيخيّة، ولا يوجد فيها تصاوير، وخيرنا في أيّ مكان نحب التّصوير، فاخترنا داخل الكنيسة أسفل المحراب، فسجلنا معه حلقة حواريّة يوتيوبيّة حول الكنيسة المعمدانيّة ضمن برنامج حوارات من الحلقة ستين في الثّانية ظهرا، وبثت يوم الأربعاء في الرّابع من سبتمر على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث أنّ جون سميث وتوماس هلويز عاشا قريبا من فترة جان كالفن [ت 1564م]، ثمّ جاء روجر وليامز [ت 1683م]، وهو أمريكي نشر المعمدانيّة في أمريكا، وله مكانة كبيرة في الكنائس المعمدانيّة في أمريكا بشكل خاص.

وفكرة جون سميث وتوماس هلويز أنّ التّعميد يكون بعد البلوغ؛ لأنّ الشّخص عندنا له ولادتان: الولادة الأولى ولادة الخروج إلى هذه الحياة، والولادة الثّانية الإيمان والدّخول في المسيحيّة، وهذا يتطلب أن يكون حرا في دخوله في المسيحيّة، لهذا يكون التّعميد بعد البلوغ.

وعادة أسماء الكنائس المعمدانيّة حسب الشّارع الّتي توجد فيها، وأحيانا تعطى أسماء روحانيّة كالأمل والإيمان والمحبّة، وكل كنيسة معمدانيّة مستقلة، فليست تجارة تحت اتّحاد واحد؛ بل لكل استقلاليته، ولكل كنيسة حرّيتها في طقوسها وبرامجها، وهكذا في التّرانيم والموسيقي، فبعضهم يحبذ الموسيقى العصريّة، وبعضهم يحبذ الموسيقى الكلاسيكيّة، وأنا أحبذ الكلاسيكيّة؛ لأنّها تتوافق مع الجو الروحاني، ومن أراد العصريّة يجدها في أماكن خارج الكنيسة كالسّينما والمهرجانات.

ومع الاتّفاق بين الكنائس المعمدانيّة في التّعميد وقدّاس الأحد من حيث الخبز والخمر؛ إلا أنّها تختلف في طريقة ذلك، مثلا في التّعميد اختلفوا في سن المعمّد، وهل يرش عليه الماء أو يغطس فيه، وإذا مات الطّفل ولم يعمد هل هو في الجنّة أم لا؟، وأنا

كما أسلفت قلتُ لا قيمة لهذا الاختلاف، ولا ينبغي الالتفات إليه، وكذا اللّباس عند القساوسة وطريقته يختلف من كنيسة معمدانيّة إلى أخرى.

ولا يوجد عندنا [كغالب البروتستانت] فكرة الأسرار السّبعة، فقط نركز على المعموديّة والعشاء الأخير، وتختلف الكنائس في وضع الخبز والخمر، بعض الكنائس تجعله في الأعلى أي في طاولة القربان، وبعض الكنائس توزعه على المؤمنين، وأنا أرى هذا رمزي، ولا أومن بالتّجسد الحقيقي إلى جسد ودم، إنّما هو يعطي جانبا رمزيّا روحانيّا ليصل إلى درجة الخلاص.

ولمّا دخل قسطنطين [ت 337م] المسيحيّة خصوصا، وفي الدّولة الرّومانيّة المسيحيّة عموما ظهرت خلافات عديدة، سبقها خلافات مع الآريوسيين والنّسطوريين، ثمّ بين الأرثوذوكس والكاثوليك، ونحن البروتستانت لا علاقة لنا بهذه الخلافات، ولا نهتم بها كثيرا، وليس لدينا فكرة الكهنوت أو البابا في المعمدانيّة.

وفكرة الكاثوليك الّتي تتمثل في وجود واسطة بين الله وبين النّاس عن طريق الكهنوت أو البابا، فلمّا جاء مارتن لوثر [ت 1546] نقض فكرة الواسطة، فالإنسان حر في اختياره، وهذا ما تبناه جون سميث[1]، وما يؤديه القس في الكنيسة أداء وظيفي وتنظيمي لا أكثر.

ويوجد في المعمدانيّة يمينيون أرثوذوكس، ويساريون لبراليون، ويوجد وسط بينهما، فاليمينيون الأرثوذوكس يأخذون بجميع ما في الكتاب المقدّس، ويعتبرونه أصلا لفهم حياة الإنسان، عكس اليساريين اللّبراليين وكذلك الوسط فيرون في الكتاب المقدّس ما هو ليس صحيحا، وهم يهتمون بحياة المسيح وتجسيدها [روحانيّا] في حياة النّاس.

[1] جاء في الموسوعة العالميّة ويكبيديا أنّ هناك من المعمدانيين "آمن ... بالجبريّة، متأثرين بالإيمان الكالفني".

ونحن نعتقد أنّ للمسيح طبيعة الإله والبشر معا، والجدل حول الأقانيم الثّلاثة تجد طريقها أحيانا في الكنيسة المعمدانيّة، وأنا أرى شخصيّا الأولى عدم الاهتمام بها، فليس المهم الجدليات حولها، ولكن المهم كيف وصل الله إلينا من خلال هذه الأقانيم الثّلاثة المتجسدة في رسالته إلينا.

ونحن لا نؤمن بسلطة الكتاب المقدّس، نعم بعض المعمدانيين يؤمنون بها، ويطبقونها حرفيّا، فهناك تعاليم في الكتاب المقدس لا تتوافق مع عصرنا، فلا ينبغي الأخذ بها.

وعندنا فصل كامل للدّين عن السّياسة، والغاية من ذلك حتّى لا تتدخل السّياسة في الدّين، وهذا ما وجدناه مثلا في الإنجليكانيّة تدخلت السّياسة في الدّين، وكنيستنا تهتم بالإحياء الرّوحي، ولا علاقة لها بما في السّياسة، ومن هنا يأتي مفهوم حريّة الضّمير، أي كلّ شخص حر في اعتقاده واختياره.

وفي الختام شجعنا على هذا العمل الّذي أقوم به، والتّعرف على الآخر، مبينا وجوب التّعرف والاستماع للآخر، وأن نتعلم منه، وهكذا كان السّيد المسيح – عليه السّلام -.

ثمّ ودعنا القس مايك جريج، والأصل عندنا موعد آخر مع المذهب الإسماعيلي من المسلمين الشّيعة[1]، إلا أنّه لم يصلنا يومها ردّ بتوكيد الموعد، مع موافقتهم سلفا لفكرة اللّقاء والتّسجيل، وهنا ذهبت إلى مول نورث بارك للغداء، ولأعمل برمجة للحلقتين، ثمّ نعود إلى النّزل، لنستعد للذّهاب إلى ولاية لوبوك - تكساس في ضيافة الأستاذ سعيد السّلماني، وتسجيل حلقة حول الواقع الافتائي في أمريكا مع الأستاذ سامر الطّباع كما سنرى في الحلقة القادمة.

[1] نرجو تسجيل ذلك في مشاريع أخرى ضمن حلقات إضاءة قلم.

الذّهاب إلى لوبوك في تكساس وتسجيل حلقة حول الو اقع الافتائي في أمريكا

كان الأصل يوم الخميس، في التّاسع والعشرين من أغسطس موعد رجوعي إلى عمان، ولمّا علم الأستاذ سعيد السّلماني بوجودي في تكساس ألح في زيارته، والجدول مزدحم ومعدّ مسبقا، فأجلت العودة ليومين آخرين، والأستاذ سعيد أعرفه منذ قرابة خمس عشرة سنة، وعملنا سويّا في الوعظ في وزارة الأوقاف، وجدته رجلا فاضلا متواضعا، وعالما باحثا يتقبل الآخر وإن اختلفوا عنه، وهو في أمريكا مرتبطا بدراسة زوجه، وتعليم أولاده، وهو يواصل دراساته العليا في الجامعة الإسلاميّة في ماليزيا، ويسكن في مدينة لوبوك في تكساس، وتبعد عن دالاس أكثر من ساعتين ونصف، وهي مدينة ريفيّة في الشّكل العام، وهادئة عكس دالاس، ورأيت فيها المزارع والحيوانات الرّيفيّة.

خرجنا بعد الفجر، ووصلنا منزل الأستاذ سعيد قرب التّاسعة والنّصف، ورأيته ينتظرنا، وقد أعدّ لنا الفطور العماني، وأخذنا حديث طويل عن عمان وذكريات الماضي، مع حديث في جوانب فكريّة وفقهيّة مختلفة.

ثمّ شرفنا في منزل الأستاذ سعيد فضيلةُ الشّيخ سامر الطّباع، وهو من مواليد سوريّة، ورحل إلى أمريكا منذ عشرين عاما، وهو الآن إمام مسجد لوبوك، وعضو لجنة الإفتاء في ولاية تكساس وفي أمريكا عموما، فطلبت منه تسجيل حلقة يوتيوبيّة حول الواقع الافتائي في أمريكا، فلم يتردد، فسجلت معه في الحادية عشرة صباحا ضمن برنامج حوارات الحلقة الواحدة والسّتين، وهي آخر حلقة يوتيوبيّة سجلتها في هذه الرّحلة، وبثت يوم الأربعاء في الرّابع من سبتمر على قناة أنس اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث الشّيح الطّباع أنّ موضوع الفتوى في أمريكا من الأمور الشّائكة، ولهذا أسّست مؤسسة خاصّة للفتوى في أمريكا سمّيت بفقهاء الشّريعة في شمال أمريكا، ولها موقع خاص على شبكة الأنترنت، مع هاتف خاص للمستفتين،

ولاختلاف مذاهب المسلمين في أمريكا ليس الجميع يستقي الفتوى من هذه المؤسسة، لهذا توجد مؤسسات أخرى أيضا تابعة لجمعيّات ومنظمات مختلفة، وهناك من المسلمين أيضا من يطمئن لعلماء المسلمين في المشرق، أو في بلده حسب مذهبه، وهناك من يفتي الإمام في مسجده، أو أقرب مسجد له، ولهذا يوجد تنوع كبير في الافتاء وما ينتج عنه من تنوع في الفتاوى حتّى في المسألة الواحدة، وتنوع الفتاوى رحمة للأمّة، وفيه ثراء وتوسعة على النّاس، ورفع للمشقة، فالفتوى الواحدة تحدث بها مشقة على النّاس، ويعطي للنّاس مساحة من النّظر والاطمئنانة الفرديّة.

وللأسف حتّى على مستوى المؤسسات الإفتائيّة في أمريكا لا يوجد اتّحاد أو حتّى تواصل كبير، أغلبها فقط تواصل على شكل علاقات طبيعيّة لا أكثر، لا علاقات تعامل وعمل منظم.

وعموما مؤسسة الافتاء لا تقتصر عند مذهب واحد، وتتكون من لجنة من أربعة إلى خمسة فقهاء، [لهم مكنتهم في الشّريعة]، والرّموز الافتائيّة في الجملة في أمريكا ليس شخوصا وإنّما مؤسسات له رمزيتها، مع وجود أشخاص لهم رمزيتهم الافتائيّة والدّعويّة، وقبل الافتاء يتدارسون الفتوى، ثمّ يخرجون بفتوى مناسبة للسّائل، وإذا كانت الفتوى تحتاج إلى آراء وبحث أكبر؛ تؤجل إلى اجتماع سنوي، ويحضرها حوالي ثلاثمائة إمام وفقيه، يناقشون هذه الفتاوى المؤجلة، ويخرجون بفتوى متفق عليها، وليس بالشّريطة أن يتوافق عليها الجميع؛ وإنّما حسب رأي الأغلبيّة.

وبالنّسبة لاستيراد الفتوى من الشّرق فأنا أرى أنّ لكل فتوى حكم يختلف عن الفتوى الأخرى، فبعض الفتاوى لا يمكن استيرادها؛ لأننا نعيش في مجتمع يختلف عن الشّرق، وله طبيعته الخاصّة، له نظمه وعاداته الخاصّة به، فيحتاج إلى أخذ رأي ممّن

عاش في هذا البلد، ويعرف طبيعته، ولكن لا يعني هذا الانغلاق عن المشرق، فالمشرق له علماؤه ورموزه الكبيرة، وهو أصل الشّريعة والفقه.

قلتُ: [شاع في فقه الأقليات أو فقه المغتربين عند آخرين تقديم المقاصد والمصالح في الغرب على ظاهر النّصوص، بحكم اختلاف طبيعة المكان، وكثر الاستدلال بقاعدة: المشقة تجلب التّيسير، والأمر إذا ضاق اتّسع، وإذا اتّسع ضاق، مثلا قضيّة الأطعمة، والأحكام المالية]، فعقّب الطّباع: أوافقك الرّأي، فهناك أحكام لو كانت في الشّرق الإسلامي لكانت أسهل في الحكم، بينما هنا يحدث مشقة على المسلمين، مثلا في التّعاملات المالية يوجد اتّجاه لا يؤيده كثير من الفقهاء، بينما أيده آخرون، كشراء المنازل على أقساط، فهنا من الصّعب شراء المنزل دفعة واحدة، ولابدّ أن تدخل في القرض الّذي يجر منفعة، فأجيز هنا من باب الضّرورة ورفع المشقة عن النّاس.

وبالنّسبة للأطعمة نحن نعيش في مجتمع كتابي، فإذا سألت أيّ إنسان أمريكي عن إيمانه، سيقول لك: أنا أومن بالله والمسيح والإنجيل والجنّة والنّار، ولكن العديد منهم لا يمارس تعاليم دينه، ولكن الممارسة شيء، والاعتقاد شيء آخر، فهذا لا يخرجهم عن مسيحيتهم، فالنّاس هنا مسيحيون متعصّبون لها، فلا تمشي في شارع إلا وتجد فيه أكثر من كنيسة، وترى آثار ذلك في المدارس وأماكن العمل أيضا، ولكن قضيّة الإطعمة هنا ليس لكونهم من أهل الكتاب أم لا، وإنّما الخلاف في التّسمية، فهل لحليّة الذّبح لابدّ من التّسمية قبله، وكذلك هل يذبحونه ذبحا أم عن طريق الصّعق الكهربائي، وأنا مع عموم قوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ} [المائدة: 5]، دون البحث والتّشدد في الجوانب الأخرى، ونحن زرنا المسالخ وأماكن الذّبح فوجدناهم يذبحون، والقانون هنا يمنع بيع الحيوان الميت وأكل لحمه؛ لفساد دمه.

وأمّا قضيّة رؤية الهلال القمري؛ المتعارف عليه في الشّرق الإسلامي؛ فهو يرجع إلى الدّولة، وهي الّتي تقرر ثبوته من عدمه، أمّا في أمريكا فتوجد مؤسسات لها رؤيتها المختلفة، وأشهرها في أمريكا أربعة آراء، فعندنا مؤسسات تعتمد على الحساب الفلكي فقط، ومؤسسات ترى بوحدة المطالع إذا رؤي في بلد إسلامي يأخذون به[1]، ومؤسسات ترى اختلاف المطالع، فكل بلد ورؤيته، ومؤسسات تتبع أم القرى أي السّعوديّة، وهذا رأي ضعيف جدّا في أمريكا، هذا على مستوى المؤسسات، كما يوجد على مستوى الأفراد من يتّبع بلده [أو مرجعيّته الدّينيّة كما عند الشّيعة الإماميّة]، وأمّا مؤسستنا الفقهيّة فيرون وحدة المطالع، فإذا ثبت في أيّ بلد إسلامي يعتمدون عليه، وشرطه أن يكون سابقا لأمريكا، وأن لا يتعارض مع الحساب الفلكي إذا أثبت استحالة الرّؤية في هذا البلد، أمّا في مسجد في لوبوك، والعديد من المساجد يأخذون بالحساب الفلكي، لكونه أسهل على النّاس، خصوصا الموظف في أمريكا لابدّ من تحديد يوم إجازته، فلا يمكن أن تخيّر صاحب العمل بأنّك تريد الإجازة يوم كذا أو يوم كذا.

وأمّا ساعات الصّيام في أمريكا متوسطة إلى العالية قليلا، فنصوم تقريبا سبع عشرة ساعة، لهذا لا يسبب الصّوم حرجا على النّاس، بيد أنّه إذا توجد مشقة في العمل بسبب الصّيام، فعندما يكون رمضان في الصّيف، فبعض العمال يعمل في البناء في الخارج، أو يعمل في حقول نفطيّة، فله حرية الإفطار ابتداء، ويقضي في الشّتاء[2].

وأمّا الزّواج من غير الكتابيات كهندوسيّة أو بوذيّة أو ملحدة لا نتعرض له هنا؛ لأنّ غالب الزّواج من أهل الكتاب بحكم المكان، ولا أذكر تعرضنا لمثل هذه الحالات،

---

[1] هنا يوجد خلاف هل إذا رؤي في أي بلد في العالم يؤخذ به، أم يشترط في ذلك شرط الاشتراك في جزء من اللّيل.

[2] ناقشت القضيّة في كتابي **أيام رمضان**، طبع مكتبة مسقط 2019م، وخلصت أنّ عليه الفدية فقط دون القضاء، لظاهر قوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ} [البقرة/ 184].

وأمّا فقه الأسرة فتوجد قوانين في أمريكا تلزم الجميع، مثلا القانون الأمريكي يمنع تعدد الزّوجات.

وأمّا العمل في محلات فيها بيع للخمور، هناك من المؤسسات الإفتائيّة عندنا من أجازها، وهناك من منعها، وهناك من أجازها لشرط الضّرورة مثلا، وعندنا أجيزت للضّرورة، فإذا لم يجد مكانا آخر يعمل فيه، وهو مضظر لذلك، فلا حرج عليه.

وكما أسلفنا للمسجد دور إفتائي، فالعديد من النّاس يستفتي إمام المسجد، وتختلف نوعيّة الفتوى حسب الإمام، أو مذهب المسجد، أو المؤسسة الإفتائيّة الّتي يرجع إليها المسجد.

والمساجد في أمريكا عموما ليست أماكن للصّلاة فحسب، فهي أيضا مراكز تحوي أنشطة للعائلة والمجتمع، وأنشطة للأطفال والنّاشئين والشّباب، كما تشمل أنشطة تعليميّة وترفيهيّة ورياضيّة ودعويّة.

والمساجد هنا لها دور كبير في تحقيق التّعايش مع غير المسلمين، فهناك اجتماعات مع اليهود والنّصارى، ونتناقش في مواضيع عامّة تخدم الأديان والمجتمع، ونتعاون جميعا في ذلك، وإذا حدث ضرر للمسلمين تجد الدّعم من غير المسلمين، وكذلك العكس إذا حدث ضرر لليهود والنّصارى أو غيرهم من الأديان، نقوم جميعا بدعمهم، مثلا حدث قبل سنوات تفجير في كنيس يهودي في ولاية بنسيلفانيا، وقتل بعض اليهود، وذهب مجموعة من مسجدنا إلى كنس لوبوك، مبينين لهم تضامننا معهم، وإنكارنا لمثل هذه الجرائم، ودعمنا لهم، وكذلك لمّا حدث تفجير المسجد في فنزويلا ضدّ المسلمين؛ أتى العديد متضامنا معنا من اليهود وغيرهم.

وكذلك كما يوجد هنا تعايش مع غير المسلمين؛ أيضا يوجد تعايش بين المسلمين أنفسهم، فلا ننظر إلى الحواجز المذهبيّة، كانت عقديّة أو فقهيّة، ففي مسجدنا سنّة وشيعة، وأنا شخصيّا غدا مسافر، وغدا الجمعة، وسيخطب نيابة عنّي

صديقي الشّيعي، ومسجدنا تابع لأهل السّنة، ومع هذا التّعايش بين المسلمين؛ لكن للأسف سببه الحريّات في أمريكا، وإن كنت أرجو أن ينبع من داخل المجتمع المسلم، ولكن ليس على العموم، فهناك من يتقبل لأنّ دينه يأمره بذلك.

وفي الختام قال أنا سعيد أن أجد مسلما، يقطع هذه الطّرق، ويجلس مع الآخر، ويستمع له، ولا يتعصّب لذاته ودينه ومذهبه، فوقت التّعصب تجاوزه الزّمن.

وبعد تسجيل الحلقة كان موعد الصّلاة فالغداء، وكما فطرنا الفطور العماني؛ كان الغداء كذلك، ثمّ أطلنا الحديث والحوار، وبعد الظّهر رجعنا إلى دالاس، وكانت لدي ملابس أخذتها إلى محل غسيل الملابس، وهذه أول مرة أحملها، فهناك بذاتك تقوم بغسلها وكيها، ولكن أصيبت آلة الغسيل بخلل، ولأنّي أحتاج الملابس للرّجوع، وخشيت أن أتأخر عن المحل، إذ يغلق السّادسة مساء، والسّيارة أصيبت بخلل، وهؤلاء لا يتقدّمون دقيقة في عملهم ولا يتأخرون دقيقة، والحمد لله وصلنا قبل الغلق بأقل من خمس دقائق، لنعود إلى النّزل بعد جهد كبير، ونستعد ليوم آخر مع لقاء مع شهود يهوة، ثمّ الرّجوع إلى أرض الوطن، كما سنرى في الحلقة القادمة.

لقاء مع شهود يهوه والرّجوع إلى أرض الوطن

في صباح يوم الجمعة في الثّلاثين من أغسطس كان لدينا موعد مع شهود يهوه، والتقينا بهم في ستار بكس في بلينو، وأتى إلينا شابان أحدهما إيراني من أصول مسيحيّة أصبح من شهود يهوه، والثّاني أمريكي، وكما أسلفت في الرّحلة الشّيكاغيّة يهتمون بهندامهم وجمال جسمهم ونظافته، وهم مرحون ومبتسمون، إلا أنّهم لا يحبّون أن تجادلهم نقديّا، أو تعرض لهم دينك ومذهبك، فقط تسألهم عن مذهبهم ويجيبون، ويرفضون التّسجيل الصّوتي أو المرئي، ولا يحضرون مكانا لا يذكر فيه اسم "يهوه"، ويعتبرونه مكانا للشّيطان، وكنت قد ناقشتهم فيما كتبته في الرّحلة الشّيكاغيّة عنهم، فأغلبه أقروه، والبعض كان لديهم ملحوظات وتحفظ، وكتبت ذلك في مذكرة، إلا أنني فقدتها.

وأهدوني الكتاب المقدّس: ترجمة العالم الجديد، الكتاب الّذي يعتمده شهود يهوه للكتاب المقدّس، إلا أنني لم أجد فيه تقسيم العهدين القديم والحديث، وكأنّه كتاب واحد، وجاء في مقدّمته: "الكتاب المقدّس كتاب أوحى به السّيد الرّب يهوه من أجل كلّ النّاس على هذه الأرض، ولهذا الكتاب الموحى به جاذبيّة عالميّة؛ لأنّه يحتوي على بشارة ملكوت الله الّذي سيبث السّلام والبر، فتصير الأرض فردوسا للجميع، ويظهر الكتاب المقدّس أنّ الله خلّص بمحبّته عالم البشريّة الخاطئة من الموت، وذلك بواسطة ذبيحة ابنه يسوع المسيح الفدائيّة"، وهذا الكتاب ترجم عن الإنجليزيّة عام 1984م.

كما أهدوني منشورة "بشارة من الله" باللّغة العربيّة، وفيها يركزون على فكرة البشارة، وفيها يرون أنّه "لم تنجح حكومة قطّ في إزالة العنف والمرض والموت، ولكن .... سيبدل الله بعد فترة وجيزة كلّ الحكومات البشريّة بحكومته هو، وسينعم رعايا هذه الحكومة بالسّلام وتمام العافية"، حيث يرون وجود حكومة سماويّة برئاسة المسيح، وبعدها تتحقق بشارة تحقق الحكومة الأرضيّة مع السّماوية، وإسقاط

الحكومات الأرضيّة، وفيها يعيشون بسلام، لهذا – فيما يبدو لي – لا يرون الحكومات المعاصرة حاليا، ولديهم نظرة سلبيّة حول النّشيد الوطني والعمل في الجيش، وبهذا يختلفون مع كنيسة الله القدير[1]، أو ما تسمّى بالبرق الشّرقي، وهي طائفة جديدة تنتسب إلى المسيحيّة ظهرت الصّين عام 1991م، وهؤلاء يقسّمون العصور إلى ثلاثة: عصر النّاموس أي العهد القديم واسم الله فيه يهوه، وعصر النّعمة أي ولادة المسيح والفداء، واسم الله فيه يسوع، وعصر الملكوت الّذي بدأ بالبرق الشّرقي في الصّين، واسم الله فيه الله القدير، ولهم كتاب مقدّس: "الكلمة يظهر في الجسد"، أي أنّ يسوع المسيح قد جاء في الجسد في عصر النّعمة.

وفي المنشور يرون أنّه "لا يوجد أحد من البشر رأى الله لأنّه روح، والرّوح شكل من أشكال الحياة، أسمى من المخلوقات الماديّة"، ويرون التّعرف على الله من خلال مخلوقاته، ولله ألقاب كثيرة واسم واحد هو يهوه، وأمّا الله ويسوع هما ألقاب لا اسم.

ويرون أنّ الأسفار الخمسة من الكتاب المقدّس كتبها موسى منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، والسّفر الأخير أي الرّؤيا كتبه يوحنّا منذ ألف وتسعمائة سنة، فالله نقل أفكاره إلى الكتبة بواسطة الرّوح القدس، والكتبة كتبوا أفكار الله لا أفكارهم، وبالتّالي يهوه هو مؤلف الكتاب المقدّس، والدّليل أنّه كتاب يهوه النّبوءات المستقبليّة فيه والمتعذرة على أيّ إنسان، وهذه البلايين من النّسخ الّتي تداولت قديما وحديثا لا يوجد بينها تناقض، والمدار الّذي يدور عليه الكتاب المقدّس البشارة بالحكومة الأرضيّة، وهي أرض الفردوس.

ويرون حسب النّشرة أنّ يسوع أول خليفة خلق مباشرة من يهوه، فدعي مولوده الوحيد، وعاش حياة روحانيّة في السّماء، وكان ناطقا باسم الله فهو الكلمة، أرسله الله إلى رحم العذراء مريم، ليحقق مشيئة الفداء في الأرض، وهو الآن عن يمين الله، باسطا

[1] عسى في الحلقات المقبلة من إضاءة قلم نفصّل أكثر عن هذه الطّائفة، وقد تواصلت معهم، إلا أنّهم فيما يبدو لا يرحبون كذلك بالتّسجيل، ولهم نشاط كبير في وسائل التّواصل الاجتماعي.

سلطتة السّماويّة، وقريبا يبسط سلطته الأرضيّة بعد معركة هرمجدون، ويقود المعركة الملائكة، ويسجن الشّيطان ألف سنة، ويحكم يسوع ألف سنة، ويحكم معه فريق يدعى القدّوسين، وهم رسل يسوع الأمناء، وعددهم مائة وأربعة وأربعون ألفا، وسينجو شعب الله، وينتهي الألم والمرض والشّيخوخة من الأرض.

ويرون أنّ الإنسان ليس روحا يعيش في جسم لحمي، بل هو مخلوق مادي، فلمّا نموت لا يبق أيّ جزء منّا حيّا بعد الموت، فنكون في حالة عدم وعي، لهذا لا يوجد نار وعذاب بعد لحالة عدم الوعي، ولكن سيعودون إلى الحياة على الأرض وهي القيامة، والمقصّرون سيعربون عن إيمانهم بيسوع، والصّالحون ينعّمون بالحياة على الأرض إلى الأبد.

ويرون هناك دين واحد فقط، وهو الدّين الحق الّذي يؤدي إلى الحياة الأبديّة، وقليل من يجده، وهناك أنبياء دجالون يفسدون المسيحيّة، وصفة الدّين الحقيقي الخضوع لمبادئ الكتاب المقدّس والإيمان به بصفته كلمة الله، وتكريم اسم الله يهوه، ويكرزون [أي يبلغون] بملكوت الله، وليسوا جزءا من العالم الشّرير، كالصّراعات السّياسيّة والاجتماعيّة، ويحبّون بعضهم من كافّة الأعراق.

ويرون "أنّ كلّ الأديان تضمّ أشخاصا مخلصين .... ولكن هناك من يستغل الدّين لتحقيق غاياته الشّريرة"، كالإرهاب، والإبادة الجماعيّة، والحروب، وستنقضي قريبا جميع هذه الأديان، ويهوه لن ينس الأشخاص المخلصين في الأديان الباطلة، وسيعلّمهم الحق.

ويرون أنّ الله نظّم المنحدرين من إبراهيم، وجعلهم أمّة باسم إسرائيل، وجعلهم شهودا له، ولمّا فقد إسرائل رضا الله استعاض يهوه عنهم بالمسيحيين، وأمّا الآن هذا الرّضا يتمثل في شهود يهوه، وهم من سيوحدوا جميع الأمم عن طريق الكرازة، وبدأوا في سبعينيّات القرن التّاسع عشر في فريق صغير من تلاميذ الكتاب المقدّس، لتبدأ

الكرازة بالملكوت على نطاق عالميّ، واليوم يطبعون كتبهم لأكثر من ستمائة لغة، وعندهم أكثر من مائة ألف جماعة حول العالم، وفيها رجال أكفاء كشيوخ روحيين.

كما أعطوني نشرة "من يفعلون: مشيئة يهوه اليوم"، والعدد الأول لعام 2019م من مجلتهم برج المراقبة، وكانت بعنوان: من هو الله؟، وبعد الجلوس مع شهود يهوه ذهبنا إلى مول نورث بارك، ثمّ استأذنت الأستاذ بيان نوري، وعملت جولة في دالاس عن طريق سيارة أوبر.

وفي صباح يوم السّبت في الحادي والثّلاثين من أغسطس كان موعد رجوعنا إلى عمان، فخرجنا الثّامنة صباحا من النّزل في ويكوري ميدو، ثمّ ذهبنا إلى سوبر ماركت ول مارت لشراء بعض الأغراض، وفي الطّريق كان الشّارع شبه متوقف بسبب حادث سير، فتأخرنا حوالي ساعة وزيادة، ووصلنا إلى مطار مطار دالاس فورت ورث الدّولي، وكان موقع الإقلاع عن طريق الطّيران الألماني في الثّالثة والنّصف مساء، وكان لدي وقت، وودعت بيان نوري، وشكرته على ما بذله من وقت ومال وتنسيق، فكان نعم الأخ، ونعم الصّديق المثقف الخلوق المتواضع، وما رأيته من أبيه وأمّه، وكأنّي فرد من عائلتهم، لم ينقطعوا عن الضّيافة والسّؤال، فلهم جزيل الشّكر والثّواب.

ومن مطار دالاس إلى فرانكفورت في ألمانيا، ومنها إلى مسقط عن طريق الطّيران العماني، لأصل مسقط صباح يوم الأحد الأول من سبتمبر، وأختم بذلك رحلة من أجمل رحلات العمر، رأيت فيها الإنسان في أبهى صوره، والحضارة في أعظم تجلياتها، والمعرفة في أرقى بهائها، رأيت التّنوع الّذي يقود إلى البناء، لا إلى الشّقاق والنّزاع، ورأيت الدّولة الّتي لا تخاف من التّنوع والاختلاف، ورأيت القانون العادل بين الجميع، وقد أثبت في هذه الرّحلة كما رأيت، وركزت على الإنسان من حيث التّعارف، وجعلت للقارئ مجال التّأمل والنّقد، لأختم كتابتها في مكتبتي في الموالح الجنوبيّة بولاية السّيب – محافظة مسقط، في ظهيرة السّبت، التّاسع من محرم 1443هـ/ الثّامن والعشرون من

أغسطس 2021م، وبدأت كتابتها في منتصف يوليو 2021م، حيث تأخرت في كتابتها لسبب كورونا، مع فقد مذكرتي، ولكن حاولت ما استطعت تذكره، والحمد لله على كلّ حال.

الأنشطة

رسالة صادق جواد إلى تلميذه بدر العبري

العزيز الشيخ بدر بن سالم:

سلام عليك ودمت بخير.

ها قد مضى أسبوع على قدومي إلى الهند والأمور كما خططت لإقامتي هنا سالكة بشكل مرض: السكن مريح ومتيح المشي ترددا عبر طوله الممتد عشرين مترا، كما أن رعاية أسرة ابن أخي (منور)، المقيمة على الطابق الثاني من البناية، كريمة بامتياز في تلبية جميع احتياجاتي الحياتية.

لم أخرج من المنزل حتى الآن، ولم يطرأ بعد ما يستدعي الخروج. كان علي أن أجري بعض فحوص الدم تمهيدا لزيارة الطبيب بعد أسبوع، لكن هذا تيسر باستدعاء ممرض للمنزل لسحب الدم وإجراء الفحوص في مختبر قريب.

موسم الأمطار قد بدأ، لكنه في مدينتنا (بلغاوي) بولاية (كرناتكا) الجنوبية ليس بعد بالغزارة التي عهدتها في زيارات سابقة. إنما السماء غائمة طوال الوقت والمؤمل أن يجود الغيث كالمعهود عما قريب.

معظم الوقت أقضيه في خلوة مع النفس، بين تأمل وقراءة وكتابة ومتابعة للأحداث. أحيانا يخطر أنني قد حظيت بعناية كونية تتيح لي التمهل في وتيرة الحياة، وتفسح لي فرصة تعريض النظر ما أمكن في طبيعة هذا الوجود، عبر هذه المرحلة الأخيرة قبل الوفاة.

بصدد الكتابة رأيت أن أكتب في أربعة موضوعات خلال إقامتي هنا، وهي: 1) العقل المؤمن، 2) القوي الأمين، 3) المسؤول المساءلة، 4) مراحل الحياة... وأرحو أن أوفق في إنجاز هذا او جله حتى موعد العودة إلى الوطن أوائل نوفمبر المقبل.

مودتي وتقديري لك ولجميع الأصدقاء، مع الدعاء بالتوفيق في جميع الأمور.

صادق حواد سليمان

8 يونيو 2021

رسالة اطمئنان إلى صادق جواد

الأستاذ العزيز والمفكر الجليل صادق جواد

تحيّة طيبة وبعد،،،

اشتقنا لكم كثيرا، واعتذر عن تأخر الإرسال لسبب البحث ولأنّ مسابقة الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء لطباعة الكتب كانت يوم الأحد الماضي 13 يونيو.

وعلى العموم الأخوة يسألون عنكم كثيرا، ويسلّمون عليكم، وزرت الأستاذ أحمد الفلاحي قبل يومين وأخبرته برغبة الأستاذ صادق لزيارته لولا سفر الهند، وهو يثني عليك، ويبلغك السّلام، ويرجو زيارتك عاجلا بعد عودتك بعون الله تعالى.

كما كنت بالأمس مساء في زيارة الأستاذ أبي أحمد محمود اللّواتي، وبصحبتي الأستاذ زهران العبريّ، وأخبرته بشأن موضوع ابن أخيك في وزارة الدّاخليّة، وقال تواصل مع مكتب الوزير، فأخبروه أنّه في إجازة، ويحاول الآن أن يلتقي به شخصيّا؛ لأنّ بينهما علاقة مسبقة، ولكي يطمئن أنّ الرّسالة وصلت إليه، ويوضح له أكثر.

عموما نرجو أن تكون أوضاعكم جيدة، ونحن في شوق لكم، وبخدمتكم في عمان.

محبّكم/ بدر العبري

صباح الخميس

17 يونيو 2021م.

رسالة إلى جامعة الأديان في طهران

الأفاضل: جامعة الأديان والمذاهب المحترمين،،،

الجمهوريّة الإسلاميّة الإير انيّة

قسم مقارنة الأديان

<u>طلب الالتحاق في سلك الدّكتوراه/ قسم مقارنة الأديان</u>

يسرني أنا الطّالب: بدر بن سالم بن حمدان العبريّ، من سلطنة عمان/ مسقط، بالتّشرف بالالتحاق في جامعتكم المباركة، لنيل شهادة الدّكتوراه في مقارنة الأديان إذا كان نظام الجامعة يسمح بذلك، ملتزما بما يطلب، حيث أنني أحمل بكالوريوس فقه ودعوة/ معهد العلوم الشّرعيّة – سلطنة عمان 2003/2002، ودبلوم في الماجستير، إسلاميات، كلّية القديس يوسف/ لبنان 2006/2005م، ولي العديد من الأبحاث ومنها لقاءات مع أديان ومذاهب مختلفة، بجانب عشرات المقالات، مرفقا لكم عناوين ذلك مع صور الشّهادات، شاكرا لكم سلفا جهودكم في خدمة العقل والمعرفة والإنسان.

محبّكم/ بدر بن سالم بن حمدان العبري

مسقط/ سلطنة عمان

صباح الأربعاء 12 ذو القعدة/ 1442هـ يوافقه 23 يونيو 2021م.

جدول الرّحلة التّكساسيّة

اليوم	التّأريخ	الجدول	المطلوب
الجمعة	8/9	مغادرة مطار مسقط – فرانكفورت ألمانيا 1: 55ص	مع مؤيد السّيابي تأخر الطّائرة عن الاقلاع
		الوصول إلى فرانكفورت 8: 35 تأخرنا ما يقترب من السّاعة الأصل ننطلق من فرانكفورت إلى شيكاغو ومن شيكاغوا إلى تكساس	التّعرف على عماني قص تذكرة جديدة عن طريق الألمانية 9: 25 السّاعة الحادية عشر ظهرا
		الوصول إلى دالاس: 6 صباحا	المسافة من دالاس إلى بيت بيان اسم المنطقة والقرية ومميزاتها
		أخذني النّوم موعد مع والد ووالدة بيان	اسم منطقة والد ووالدة بيان وكم تبعد عن بيت بيان أين وماذا يعمل أبو بيان في عمان؟ وماذا يعمل الآن في تكساس
السّبت	8/10	راحة صباحا الذّهاب إلى المطعم المكسيكي بعد 2 ظ	اسم المطعم المكسيكي
		الذّهاب إلى معبد جورد نيكشام سيفا جوارا بمدينة أرفينج في تكساس	كم تبعد المدينة عن السّكن؟
الأحد	8/11	صلاة عيد الأضحى توجد الخطبة في اليوتيوب	مكان المركز وكم تبعد
		(الواحدة ظهرا) الذّهاب إلى بيت بيان وتسجيل حلقة مع رابي دايفيد حول اليهوديّة 12ظ	تناول الغداء + تسجيل الحلقة

		حضور دوري النّاشئين	فكرة الدّوري
الاثنين	8 /12	حضور مشرق الأذكار 7ص تناول الفطور	
		زيارة رابي دايفيد وتسجيل حلقة حول مؤسسة MDHA في علاج قضيّة المشردين في مؤسسة Metro Dallas Homeless allane في 2 ظ	كم تبعد
		الذّهاب إلى في مول نورث بارك	مكان المول وكم يبعد
الثّلاثاء	8 /13	الذّهاب إلى ستار بكس	اسم المول الّذي يقع فيه ستار بكس وكم يبعد عن السّكن
		حوار حول الكنيسة البروتستانيّة اللّيبراليّة (كاتدرائيّة الأمل) مع القس نيل سيزر تومس 12ظ	اسم منطقة الكنيسة وكم تبعد
		حضور جلسة الملحدين 7 – 9م	مكان الجلسة وفكرتها
الأربعاء	8 /14	جلسة حوارية حول كتابي إضاءة قلم (لم تتم)	
		حوار مع مؤسسة التّعاطف والتّعايش في دالاس مع الأستاذ تشالرلز 3ظ	اسم المنطقة وكم تبعد
الخميس	8/15	حوار الكنيسة الأرثذوكسيّة مع القس البابا جراسر 2ظ	اسم المنطقة وكم تبعد
		زيارة الأستاذين مورك وفيك النزل وتسجيل حلقة حول المساواة من خلال مؤسسة دالاس 8م	
الجمعة	8/16	مشرق الأذكار في النّزل	
		حوار حول حلقات النّاشئين مع الأستاذ إليكس 8 ص	

		حوار حول فلسفة الوحدة والحوار مع الأديان في مول نورث بارك مع البرفسور توماس مكفول 1ظ	
السّبت	8/17	حضور مؤتمر التّبليغ بعد الكنيسة اللّوثريّة	معلومات عن المؤتمر
		حوار حول المذهب اللّوثري مع القس روسيل في الكنيسة اللّوثريّة 10ص	اسم المنطقة وكم تبعد
		حوار حول كنيسة المورمون مع الدّكتور تيد آساي 8م	اسم المنطقة وكم تبعد
الأحد	8/18	حلقات النّاشئين / النّزل	
		الذّهاب إلى كنيسة الأمل لحضور قدّاس الأحد	
الاثنين	8/19	زيارة المكان الّذي قتل فيه كينيدي والمنطقة	اسم المنطقة والمتحف
الثّلاثاء	8/20	حضور ضيافة 19	فكرة الضّيافة – مكان الضّيافة – الأشخاص الّذين التقينا بهم – المشورة
		الذّهاب إلى شيكاغو	المول الّذي يمارس فيه القمار + اسم الولاية الولايات الّتي مررنا بها من تكساس حتى شيكاغو الفترة الزّمنيّة تقريبا أهم المعالم الطّبيعيّة الّتي مررنا بها
الأربعاء	8/21	الوصول إلى شيكاغو	
		النّزل MOTRL 6	
الخميس	8/22	افتتاح المؤتمر 7م	

الجمعة	8/23	جلسات اليوم الأول	
السّبت	8/24	زيارة مشرق الأذكار	
		جلسات اليوم الثّاني	
		تسجيل حلقة حول اللّغة العربيّة مع سوسن حسني 6م	
		التّمشي في شيكاغو بصحبة محمود البحريني	اسم المشى التّجاري القريب من فندق المؤتمر
الأحد	8/25	الجلسة الختاميّة للمؤتمر	
		تسجيل حلقة حول تجربة كردستان العراق مع بارازان رشيد 9ص	
		THICK OUT	
		الرّجوع إلى تكساس بصحبة بارازان	
الاثنين	8/26	الوصول مساء إلى دالاس	
الثّلاثاء	8/27	تسجيل حلقة حول التّناسخ وعالم الأرواح مع توم مور 10ص	اسم المنطقة وكم تبعد
الأربعاء	8 /28	تسجيل حلة مع عمر سليمان في مؤسسة يقين 10ص	اسم المنطقة وكم تبعد
		الأصل تسجيل حلقة مع الإسماعيليّة	
		تسجيل حلقة حول الكنيسة المعمدانيّة مع القس مايك جريد 2ظ	اسم المنطقة وكم تبعد
الخميس	8/29	الذّهاب إلى ولاية لوبوك في ضيافة سعيد السّلماني	الفترة الزّمنيّة من دالاس إلى لوبوك أهم معالم لوبوك أهم المعالم الّتي مررنا بها
		تسجيل حلقة حول الواقع الافتائي مع سامر الطّباع 10ص	
		الرّجوع والوصول إلى دالاس قبل	

		المغرب	
		أخذ ملابس من الكواي	اسم المنطقة
الجمعة	8/30	تسوّق وراحة	
		الجلوس مع شهود يهوه	اسم المنطقة والمقهى واسم الشّخصين وجنسيتهم
السّبت	8/31	الرّجوع من مطار دالاس 4ع	
الأحد	9/1	الوصول إلى فرانكفورت 10:35ص	
		الوصول إلى مسقط 7:15	

الأجوبة

جواب على أسئلة الشّيخ الباحث الجليل: سعيد بن يعقوب القرني من المملكة العربيّة السّعوديّة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأخ الكريم الشيخ بدر العبري أسعد الله اوقاتك بكل خير وسعادة وسرور وصحة وعافية وسلامة

حفظك الله ورعاك ونفع بك حيثما كنت

سعيد جدا بالتواصل معك، ونسأل الله تعالى أن يجعل محبتنا فيه ونصرة لدينه وسنة رسوله، وباذن الله أننا نسعد برؤيتكم قريباً.

أخي الكريم

كما ذكرت لك سابقا، بحثت في بعض المسائل في المذهب الاباضي ووجدت أن البعض منها مسائل تخضع للاجتهاد ويسوغ فيها الخلاف ولا يجوز ان تكون سببا للفرقة والتنازع والاتهام بالضلال والبدعة، مثل:

١ .مسالة خلق القرآن

٢ .مسألة انكار الرؤية

٣ .التأويل في باب الصفات وغيرها من المسائل

شخصيا أكره التعصب وأحب اجتماع الأمة الاسلامية وأتفهم واحترم اختلاف وجهات النظر، لكن لي بعض التساؤلات حول بعض المسائل، فاسمح لي في طرحها

١ . مسألة سب بعض الصحابة مثل عثمان او علي او معاوية او لعنهم جميعا او بعضهم فهل هذا السب او اللعن منهج عند المذهب الاباضي او أنه عند بعضهم دون بعض لانه ينقل عنهم هذا الكلام ويعزى الى كتبهم فهل هذا صحيح وهو ما يراه أصحاب المذهب الاباضي، او ان هذا غير صحيح على الاطلاق، او ان هذا هو رأي

بعضهم فقط، او ان هذا رأي المتقدمين منهم ولا يراه المتأخرون.

٢ .هل يوجد عند أصحاب المذهب الاباضي غلاة ومتشددون كما هو عند غيرهم من المذاهب الاسلامية الاخرى وبالتالي يوجد أصحاب وسطية واعتدال.

٣ .هل يوجد مراجعات عند اصحاب المذهب الاباضي وتصحيح يمكن من خلالها التقارب مع الواعين والمعتدلين من المذاهب الاخرى؟

٤ .من هو الذي يمثل المذهب الاباضي سلطنة ال تيمور او امامة الخروصي والخليلي وغالب او أمارة الحارثي، او انها جميعا لا تمثلهم؟

٥ .هل تغير موقف الاباضية في مسألة حكم المتغلب وسار معترف به عندهم وتأثروا بغيرهم من المذاهب الاخرى في هذه المسألة أم ماذا حدث؟

٦ .هل يوجد علاقة بين الاباضية والاسلاميين في الاوطان والمجتمعات العربية والإسلامية يمكن من خلالها التقارب والتعاون والتفاهم؟

واعذرني فقد اطلت عليك

تحياتي وتقديري ودعائي

الجواب

الشّيخ الباحث الجليل: سعيد بن يعقوب القرني من المملكة العربيّة السّعوديّة وفقك الله.

وعليكم السّلام ورحمة الله وبركاته، شاكرا لك رسالتك حول المذهب الإباضي، وسعيد بانفتاحك على إخوانك، ودعوتك إلى الوحدة والمحبّة والإصلاح، وهذا شأن أصحاب العقول الرّاجحة أمثالكم.

ثمّ إنّي أعتذر عن تأخر الرّد، لبعض الشّغل، وتزامن المرض، فمثلك يقبل العذر ويصفح.

وما ذكرت من مسائل خلافيّة هي من مسائل فروع الدّين، وسبق أن ذكرت ذلك في جواب سابق لعلّك اطّلعت عليه، وللأسف أصبحت من مسائل الدّين وأصوله عند الغالب، فرتبوا عليها التّفسيق المذهبي، وللإمام الرّازي [ت 604 – 606هـ] كلام نفيس في تفسيره حول هذه، إذ يقول في معرض تفسيره للآية السّادسة من سورة البقرة: "فأمّا الّذي يعرف بالدّليل أنّه من دينه مثل كونه عالما بالعلم أو لذاته وأنه مرئي أو غير مرئي، وأنّه خالق أعمال العباد أم لا، فلم ينقل بالتّواتر القاطع لعذر مجيئه عليه السّلام بأحد القولين دون الثّاني، بل إنّما يعلم صحة أحد القولين وبطلان الثّاني بالاستدلال، فلا جرم لم يكن إنكاره، ولا الإقرار به داخلا في ماهيّة الإيمان فلا يكون موجبا للكفر، والدّليل عليه أنّه لو كان ذلك جزء ماهية الإيمان لكان يجب على الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم - أن لا يحكم بإيمان أحد إلا بعد أن يعرف أنّه هل يعرف الحق في تلك المسألة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر قوله في تلك المسألة بين جميع الأمّة، ولنقل ذلك على سبيل التّواتر، فلمّا لم ينقل ذلك دل على أنّه عليه السّلام ما وقف الإيمان عليها، وإذا كان كذلك وجب أن لا تكون معرفتها من الإيمان، ولا إنكارها موجبا للكفر، ولأجل هذه القاعدة لا يكفر أحد من هذه الأمّة، ولا نكفر أرباب التّأويل".

وأمّا سؤالك: "مسألة سبّ بعض الصّحابة مثل عثمان أو عليّ أو معاوية أو لعنهم جميعا أو بعضهم فهل هذا السّب او اللّعن منهج عند المذهب الإباضي، أو أنّه عند بعضهم دون بعض، لأنّه ينقل عنهم هذا الكلام، ويعزى إلى كتبهم، فهل هذا صحيح وهو ما يراه أصحاب المذهب الإباضي، أو أن هذا غير صحيح على الإطلاق، أو أنّ هذا هو رأي بعضهم فقط، أو أنّ هذا رأي المتقدمين منهم ولا يراه المتأخرون".

الجواب: لا يوجد عند الإباضيّة سب أو لعن إلا من لعنه الله قطعا في كتابه، وحكم عليه بالهلاك وفق دليل قطعي، كإبليس وفرعون وهامان، فلهذا لا يبنى على دليل ظنيّ ثبوتا، ولو ظاهره قطعي الدّلالة، وهذا يدخل في مباحث الولاية والبراءة عند

الإباضيّة، أفرط العديد منهم في بعض مباحثها، ويدخل في ولاية وبراءة الحقيقة، أي ورده بنص قطعيّ ثبوتا ودلالة، وبالتّالي ما حدث من أحداث الصّحابة لا تدخل في هذا، وإنّما يدخلونها في ولاية وبراءة الأشخاص، أي على الاطمئنانة، فهنا لا يحكمون باللّعن، ولا يجوز عندهم السّب للأموات ولا لعنهم، ولكن وجدت طائفة تبرأت ظنّا لا قطعا من عثمان [ت 35هـ] وعليّ [ت 40هـ] مثلا، وهذا كان في سابق عهدهم، وهي براءة ليس بمعنى تكفيرهم ولعنهم، وإنّما نتيجة ما من أحداث تأريخيّة في الماضي، ومع هذا يرونهم عدولا، ويأخذون عنهم دينهم وفقههم، وحتّى معاوية [ت 60هـ] يأخذون عنه، ثمّ مالوا إلى الوقوف، وترك الأمر لله، وعدم إشغال النّاس به، واعتبروا الدّخول فيه ولاية وبراءة أحدّ من السّيف، فحكّموا قوله تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ، وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة/ 134]، وقوله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء/ 36]، وجاء من المتأخرين كالإمام محمّد بن عبد الله الخليليّ [ت 1954م] ومنع تدريسها، واكتفى بما يسع النّاس علمه، واتّفقوا من عهدهم الأول أنّ هذا ممّا يسع جهله، ولا يجوز إشغال النّاس به، لهذا لا تجد هذه المسألة حاضرة عند النّاس، بل يغضبون إذا ذكرتهم بسوء، ويتيمنون بهم في تسمية أبنائهم ومدارسهم ومساجدهم، حتّى جاء الشّيخ إبراهيم بن عمر بيوض [ت 1980م]، في كتابه فضل الصّحابة والرّضا عنهم، فقرر مسألة التّرضي عن جميع الصّحابة، والوقوف عن أحداث الفتنة، وهو قول عموم الإصلاحيين المتأخرين، وما حدث من إحياء كردة فعل لمرحلة الصّحوة، وإحياء ما في الكتب الصّفراء، وعدم قراءتها في ظرفيتها الزّمنيّة، وفي نظري هذا الموضوع شبه أقفل، وانتهى في الماضي، ولا يحييه إلا من تطرف من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، والله المستعان. [لي مقالان في ذلك: ماذا نريد من معاوية وعليّ؟ وهو رد على من يحاول إحياء الفتنة، ومقال قصاصات الكتب الصّفراء، وهو موجود في كتابي فقه التّطرف، ممكن ترجع إليهما].

سؤالك: "هل يوجد عند أصحاب المذهب الإباضي غلاة ومتشددون كما هو عند غيرهم من المذاهب الاسلاميّة الأخرى، وبالتّالي يوجد أصحاب وسطية واعتدال".

الجواب: لا يوجد مذهب أو طائفة ولو قلّت، أيّا كان هوّيتها، دينيّة أو عرقيّة أو فكريّة أو سياسيّة ونحوها لا يوجد فيها غلاة ومتطرفون، يقابلهم أكثرا اعتدالا ووسطيّة، والتّطرف من الطّرف، وهو التّعصب لظاهر الشّيء، وهم الأرثذوكس من كلّ مذهب، وهوؤلاء عادة قلّة، ولكن قد يرتفع صوتهم إذا استغل سياسيّا، وغالب النّاس وسطيون، يشيع بينهم روح الدّين قبل المذهب، وينطلقون بها إلى فضاء الإنسان الواسع، والإباضيّة كغيرهم في هذا، إلا أنّهم كمنهج معتدلون، ومنفتحون على المذاهب والمصادر الإسلاميّة، خصوصا السّنيّة، ممّا ساهم في اعتدالهم، وبعدهم عن الصّراع، وومكن تقرأ في هذا كتابات عليّ يحيى معمّر [ت 1980م]، كالإباضيّة في موكب التّأريخ، والإباضيّة مذهب إسلامي معتدل.

سؤالك: "هل يوجد مراجعات عند أصحاب المذهب الإباضي وتصحيح يمكن من خلالها"؟

الجواب: وجود مراجعات بالمعنى المنهجي والتّفكيكي النّقدي لا زالت ضعيفة؛ إلا كتابات معدودة بين فينة وأخرى، ولأنّ المراكز التّعليميّة الدّينيّة عند الإباضيّة كغيرها من الحوزات الدّينيّة الأخرى يغلب عليها الوصف أكثر من النّقد، والتّلقين أكثر من البحث والتّفكيك، ومع هذا توجد آراء ناقدة كما أسلفت لك، وتساهم ولو على المدى البعيد في التّدافع والتّهذيب.

سؤالك: "من هو الّذي يمثل المذهب الإباضي سلطنة ال تيمور أو إمامة الخروصي والخليلي وغالب او إمارة الحارثي، أو أنها جميعا لا تمثلهم"؟

الجواب: لا يوجد عند الإباضيّة مرجعيّة دينيّة توارثيّة تمثلهم، ولكن قد يظهر رموز كما عند السّنة يرجعون إليها، ومسائل التّقليد والاجتهاد عند الإباضيّة لا تختلف

كثيرا عن مسائل السّنة، نعم في بلاد المغرب وجدت هيئة العزّابة بعد سقوط الدّولة الرّستميّة الإباضيّة منذ ألف سنة، وهي هيئة دينيّة انتخابيّة تعنى بشأن التّعليم الدّيني والافتاء والإصلاح بين النّاس ومساعدة الفقراء والإشراف على الأوقاف والزّكاة والصّدقات ونحوها، وانحصرت الآن في وادي ميزاب بالجزائر، ومع وجود الدّولة الحديثة في سلطنة عُمان وجد مفتي رسمي إباضي في عمان ومؤسسة إفتائيّة يرجع إليها، وسابقا لكلّ بلدة عادة علماؤها وشيوخها.

وأمّا آل سعيد فهي دولة أو دولة الإمامة الّتي سقطت عام 1957 فهي مرتبطة بالشّأن العام، لا بالهوّيّة والمذهبيّة والدّينيّة، فهي لا تشكل مرجعيّة دينيّة، وإنّما تعنى بالصّالح العام كأي حكومة أو دولة أخرى.

سؤالك: "هل تغير موقف الاباضيّة في مسألة حكم المتغلب وسار معترف به عندهم وتأثروا بغيرهم من المذاهب الاخرى في هذه المسألة أم ماذا حدث"؟

الجواب: لا توجد نظريّة المتغلب عند الإباضيّة في الجملة، نظريتهم الشّورى المطلقة غير المقيدة بالنّص الجليّ كما عند الإماميّة والجارودية من الزّيديّة وغالب مدارس الشّيعة، ولا النّص الخفي كما عند جمهور الزّيديّة من الشّيعة، ولا القرشيّة كما عند غالب المدارس السّنيّة، وكتبت عن هذا مقالا طويلا ممكن ترجع إليه.

وأمّا عمليّا فهو واقع في الدّول الملكيّة كالنّباهنة والبوسعيديين، وأحيانا يحدث تزاوج بينهما كما عند اليعاربة، فهؤلاء في الجملة إمّا أن تكون بدايتهم تغلبا، أو عن طريق الشّورى ثمّ تتحول إلى شبه وراثيّة أو شبه وراثيّة، ولكن كتنظير نظريّة المتغلب تخالف النّظريّة السّياسيّة عند الإباضيّة.

سؤالك: "هل يوجد علاقة بين الإباضيّة والاسلاميين في الأوطان والمجتمعات العربيّة والإسلاميّة يمكن من خلالها التّقارب والتّعاون والتّفاهم"؟

الجواب: نعم، العلاقة كبيرة جدّا، تقريبا في جميع العالم الإسلامي، فهم ضمن منظمة التّقريب بين المدارس الإسلاميّة في إيران وسابقا مصر، واتّحاد علماء المسلمين في قطر، ورابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرمة، ولهم كراسي علميّة في الأزهر في مصر، والجامعة الإسلاميّة في ماليزيا، وجامعة آل البيت في الأردن، كما لهم حضور في الزّيتونة في تونس وغيرهم، وفي عمان ندوة تطور العلوم الفقهيّة تعقد سنويّا خلا السّنوات الماضية بسبب الجائحة المالية وكورونا، ويحضرها عشرات العلماء والفقهاء من كافة الأقطار والمذاهب الإسلاميّة، كما كلياتهم الدّينيّة تدرس الفقه المقارن، ويدرّس فيها العلماء خصوصا السّنة، ومنهم مثلا سماحة مفتي مصر الحالي شوقي علّام، حيث درّس فيها حوالي اثنتي عشرة عاما.

وفي الختام، هذا ما لزم الجواب، شاكرا لك تواضعك وحسن ظنّك، معتذرا عن قلّة البضاعة، وضعف المعرفة، ونحن تلاميذ لكم، نتعلم منكم، والحمد لله رب العالمين.

تمّ الجواب عصر الثّلاثاء

3 من شهر ذي الحجّة 1442هـ/ 13 يوليو 2021م

محبّك وتلميذك بدر العبري

سلطنة عمان/ محافظة مسقط، الموالح الجنوبيّة بولاية السّيب

الفهرس

Contents

مقدّمة الأجزاء..... 2

مقدّمة الجزء الثّلاثين..... 3

المقالات..... 5

الهوّيّة من حيث الماهيّة والأنسنة..... 5

الاتّجاهات الخمس في مفهوم الدّولة العلمانيّة في العالم الإسلامي..... 10

الأضحية ومقتضى دائرة الإلزام في الخطاب..... 15

الأيام الأخيرة مع صادق جواد..... 20

العقل السّياسي الدّيني الإسلامي وما بعد الإمامة والخلافة..... 28

الهوّيّة من حيث النّزعة الفردانيّة..... 34

الهوّيّة والرّؤية الوجوديّة..... 39

اليوم العالمي لمكافحة الاتّجار بالبشر بين عبوديّة الماضي وعبوديّة الحاضر..... 44

سنّة الاقتضاء عند المفكر صادق جواد سليمان..... 50

عيد القربان في الأديان الإبراهيميّة..... 54

في ذكرى رحيل المفكر صادق سليمان جواد..... 60

ليف تولستوي وسؤال جوهر الدّين: المساواة أنموذجا..... 64

هوّيّة الدّولة القطريّة وتقاطعها مع هوّيّة الهوّيّة..... 69

الحوارات واللّقاءات..... 74

أسئلة محاضرة الإباضيّة والخوارج من خلال الظّرفيّة التّأريخيّة..... 74

المذهب المسيحي الماروني مع الأب الدّكتور حنّا أسكندر من لبنان..... 81

ديانة الصّابئة المندائيّة مع الدّكتور بهادر قيّم من إيران..... 90

الرّحلات..... 93
الرّحلة التّكساسيّة..... 93
الغاية والوصول..... 93
الغداء في المطعم المكسيكي وزيارة معبد جورد نيكشام سيفا جوارا وتسجيل حلقة تكميليّة حول الدّيانة السّيخيّة..... 100
صلاة عيد الأضحى وتسجيل حلقة حول الدّيانة اليهوديّة وحضور الدّوري النّهائي للنّاشئين 106
حضور مشرق الأذكار وزيارة مؤسسة MDHA في علاج قضيّة المشردين..... 115
زيارة كاتدرائيّة الأمل والمشاركة في جلسة الملحدين..... 121
زيارة مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW..... 126
زيارة وتسجيل حلقة مع كاتدرائيّة الأرثوذوكس وتسجيل حلقة مع مؤسسة دالاس مساواة.. 131
تسجيل حلقة حول حلقات تدريس النّاشئين عند البهائيّة، وحلقة أخرى حول فلسفة الوحدة والحوار مع الأديان..... 140
المشاركة في مؤتمر التّبليغ، وتسجيل حلقة مع الكنيستين اللّوثريّة والمورمون..... 147
حضور قدّاس الأحد في كنيسة الأمل وزيارة المتحف الّذي يحكي قصة اغتيال الرّئيس الأمريكي جون كينيدي 1963م..... 159
حضور ضيافة تسعة عشر في مدينة دينسون ثمّ الذّهاب إلى شيكاغو..... 165
حضور جلسة افتتاح مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي الثّامن واليوم الأول منه..... 168
اليوم الثّاني للمؤتمر وتسجيل حلقة حول اللّغة العربيّة وتعليم غير النّاطقين بها..... 175
اليوم الأخير من المؤتمر وتسجيل حلقة حول تجربة كردستان العراق في التّعايش الدّيني ثمّ الرّجوع إلى تكساس..... 183
تسجيل حلقة حول التّناسخ وعالم الأرواح..... 188
تسجيل حلقتين حول واقع المسلمين في أمريكا وحول الكنيسة المعمدانيّة..... 193
الذّهاب إلى لوبوك في تكساس وتسجيل حلقة حول الواقع الافتائي في أمريكا..... 200

لقاء مع شهود يهوه والرّجوع إلى أرض الوطن..... 206
الأنشطة..... 211
رسالة صادق جواد إلى تلميذه بدر العبري..... 211
رسالة اطمئنان إلى صادق جواد..... 213
رسالة إلى جامعة الأديان في طهران..... 214
جدول الرّحلة التّكساسيّة..... 215
الأجوبة..... 220
جواب على أسئلة الشّيخ الباحث الجليل: سعيد بن يعقوب القرني من المملكة العربيّة السّعوديّة..... 220
الفهرس..... 227